



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

# مِيقَاتُ الْحَجِّ

١٤

مِيقَاتُ الْحَجِّ وَالْحَجُّ  
بِأَنَّهَا مِنْ أَسْمَاءِ الْحَجِّ  
وَالْحَجُّ وَالْحَجُّ وَالْحَجُّ  
وَالْحَجُّ وَالْحَجُّ وَالْحَجُّ  
وَالْحَجُّ وَالْحَجُّ وَالْحَجُّ

عبدك فاضلاً  
بمستجاباً عامم التوسل  
والترسيخ في التوسل

- المدة والوقت الذي يفي به الحجاج في الحج
- من كان في مكة أو المدينة في الحج
- المدة التي يفي بها الحجاج في الحج
- من كان في مكة أو المدينة في الحج
- من كان في مكة أو المدينة في الحج
- من كان في مكة أو المدينة في الحج
- من كان في مكة أو المدينة في الحج
- من كان في مكة أو المدينة في الحج

# وَلْيَذْكُرُوا لِلَّهِ أَسْمَاءَ الْحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# دو فصلنامه « ميقات الحج »

کاتب:

محمدي ري شهري

نشرت في الطبعه:

مشعر

رقمي الناشر:

مركز القائميہ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٦	ميقات الحج المجلد ١٦
٦	اشارة
٦	مناسك الحج لصاحب المعالم (٢)
٣٤	فكرة المؤتمر المكى
٥٦	الركن العراقى حجر إسماعيل
٧٩	لَيْشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ
١٠٥	منهج الرشاد لمن أراد السداد (٢)
١٣٤	طواف النساء ونبذة من أحكامه فى فقه الشيعة
١٥٣	موقف رسالى من أسرى بدر، وبنى قريظة
١٩٢	حوار مع رئيس بنك التنمية الاسلامى
٢٠٢	الحج فى الأدب العربى
٢٠٨	شخصيات من الحرمين الشريفين (١٢) خِيَابِ بن الأَرْتِ من الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
٢٣٠	اسرار وعلوم الحج
٢٤٨	علل الحج فى كتب الصدوق (٢) ابواب علل الاحكام وغيرها
٢٧٤	تعليق على رسالة ابن باز
٢٩١	معجم ما كتب فى الحج و الزيارة (١١)
٣١٦	تعريف مركز

## میقات الحج المجلد ۱۶

## اشاره

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج [بیابند: مجله]  
 مشخصات نشر : تهران: منظمه الحج و الزیارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -  
 فاصله انتشار : شش ماه یکبار

یادداشت : عربی

فهرست نویسی براساس سال ۳ شماره ۵ سال ۱۴۱۷ق.

یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می شود

یادداشت : مدیرالمسؤول: محمد محمدی ری شهری

رئیس التحریر: علی قاضی عسکر

یادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی ... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص : ۱

مناسک الحج لصاحب المعالم (۲)









ص: ٥

العدد السادس عشر

مناسك الحج لصاحب المعالم (٢)

تأليف: جمال الدين العاملي

تحقيق: هادي القيسي

فصل: وبالتلبية ينعقد الإحرام، ويتعلق بالمحرم أحكام ينقسم إلى فروض وآداب:

أما الفروض: فاجتناب صيد البرّ المحلل الممتنع بالأصالة، والمشهور اجتناب سته من المحرم: الأسد والثعلب والأرنب والضب واليربوع والقنفذ، والرواية المتضمنة لحكم الأسد ضعيفة، وكذا الثعلب، نعم حكم الأرنب مروى في الصحيح، وبالثلثة الأخيرة رواية حسنة لمسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام، وظاهر بعض الأخبار الصحيحة المنع من قتل الزنبور، لكنه مخصوص بما لم يرد قتله بأذى. للتصريح في جملة من الأخبار بالإذن في قتل كل ما يخافه المحرم على نفسه.

وفي حكم الاصطياد الأكل والذبح والدلالة والإغلاق، واجتناب الاستمتاع بالجماع ومقدماته حتى العقد.

والفسوق، وهو الكذب والسباب والمفاخرة والجدال، وهو قول: لا والله، وبلى والله.

ص: ٦

والطيب بأنواعه على الأحوط، ولو في الطعام، إلتفى خلق الكعبة. ولا بأس بشم الإذخر والشيخ والقيصوم والخزامى (١) وأشباهها. روى ذلك معاوية بن عمّار في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام (٢).

ولا بأس أيضاً بالريح الطيبة بين الصفا والمروة من ریح العطارين، ولا يمسك على أنفه. رواه هشام بن الحكم في الصحيح عنه عليه السلام (٣).

وفي خبر صحيح لابن سنان عنه عليه السلام: «المحرم إذا مرّ على جيفة فلا يمسك على أنفه» (٤).  
 وفي صحيح آخر للحلي عنه عليه السلام: «المحرم يمسك على أنفه من الريح الطيبة، ولا يمسك على أنفه من الريح الخبيثة» (٥).  
 واجتناب الاكتحال بالسواد، والإدهان مطلقاً، وإخراج الدم، وقلم الأظفار، وإزالة الشعر، ولبس الخاتم، والحناء للزينة، والنظر في المرأة، ولبس السلاح اختياراً، وقتل هوام الجسد كالقمل. وهذا كلّه يشترك فيه الرجل والمرأة.  
 ويختصّ الرجل بوجوب اجتناب لبس المخيط في المشهور. والأخبار إنّما تفيد المنع من خياطة مخصوصه، ولكن التعميم أحوط. وفي معناه ما يُحيط بالبدن كالدرع، لا الطيلسان، فيجوز لبسه لكن لا يزّره. وله أن يعقد الإزار ويلبس المنطقة والهميان، ولا يعقد الرداء ولا يزّره ولا يخلّله على الأحوط.

وفي صحيح عمران الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام: «المحرم يشدّ على بطنه العمامة،

١-١ هذه الأربعة نباتات معروفة ذكية الرائحة.

- ٢-٢ الوسائل ١٢: ٤٥٣، باب ٢٥، من أبواب تروك الإحرام، حديث ١.
- ٣-٣ الوسائل ١٢: ٤٤٨، باب ٢٠، من أبواب تروك الإحرام، حديث ١.
- ٤-٤ الوسائل ١٢: ٤٥٣، باب ٢٤، من أبواب تروك الإحرام، حديث ٣.
- ٥-٥ الوسائل ١٢: ٤٥٣، باب ٢٤، من أبواب تروك الإحرام، حديث ١.

ص: ٧

وإن شاء يعصبتها على موضع الإزار ولا يرفعها إلى صدره» (١).

واجتناب التظليل سائراً إلّا للضرورة من أذى الشمس أو المطر أو من مرض، فيظلل ويكفر بشاء. وظاهر صحيح محمّد بن اسماعيل بن بزيع، عن الرضا عليه السلام: «أنها تذبح بمنى مطلقاً» (٢) والعمل به أولى، وإن استفيد من بعض الأخبار المعتمدة التخيير في العمرة المنفردة بينه وبين الذبح بمكة، وإن جعله بمكة أفضل.

روى موسى بن القاسم في الصحيح عن عليّ بن جعفر أنّه قال لأخيه عليه السلام:

أظلل وأنا محرم؟ فقال: «نعم وعليك الكفارة»، قال موسى بن القاسم: فرأيت عليّاً - يعني ابن جعفر عليه السلام - إذا قدم مكة ينحر بدنّة لكفارة الظل (٣).

وهذا الحديث ربما عارض حديث ابن بزيع فيجمع بالتخيير خصوصاً في العمرة إلّا أن ذلك أرجح.

وأما المشى في ظل المحمل ونحوه فجائز.

واجتناب تغطية الرأس ولو بالارتماس، وستر ظهر القدم بالخف ونحوه إلّا مع الضرورة ولا كفارة حينئذ.

وتختص المرأة بالمنع من التنقيب - ويجوز لها سدل الثوب على وجهها من أعلاها إلى الذقن، وإذا كانت راكبة فإلى النحر - ومن لبس مالم تعتده من الحلّى ومن المعتاد بقصد الزينة أو مع إظهاره للزوج.

وإذا فعل المحرم شيئاً من هذه المحرمات، فإن كان جاهلاً أو ناسياً فلا شيء عليه، إلّا في الصيد، ومع التعمّد يآثم وتلزمه الكفارة، إلّا في الاكتحال والأدهان بغير الطيب.

١-١ الوسائل ١٢: ٥٣٣، باب ٧٢ من أبواب تروك الاحرام، حديث ١.

٢-٢ الوسائل ١٣: ١٥٥، باب ٦ من أبواب بقیة كفارات الاحرام، حديث ٦. مضمون الخبر.

٣-٣ الوسائل ١٣: ١٥٤، باب ٦ من أبواب بقیة كفارات الاحرام، حديث ٢. باختلاف يسير.

ص: ٨

وإخراج الدم، ولبس الخاتم والحناء، والنظر في المرأة، ولبس الحلّي، والفسوق. ولا فرق في لزوم الكفارة بالصيد بين العامد وغيره. ولتفصيل الكفارات محل آخر.

وأما الآداب: فروى معاوية بن عمار في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«إذا أحرمت فعليك بتقوى الله، وذكر الله كثيراً، وقلة الكلام إلباخير، فإن من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلامن خير، كما قال الله تعالى عز وجل، فإن الله يقول: فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ (١) (٢)»

وفي خبر آخر لمعاوية أيضاً عنه عليه السلام: «اتق المفاخرة، وعليك بورع يحجزك عن معاصي الله، فإن الله عز وجل يقول: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ (٣)»

. ومن التفث أن تتكلم في إحرامك بكلام قبيح. فإذا دخلت مكة وطف بالبيت تكلمت بكلام طيب، وكان ذلك كفارة لذلك» (٤).  
روى حماد بن عيسى [في الصحيح] عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس للمحرم أن يلبي من دعاه حتى ينقضى إحرامه، قلت: كيف يقول؟ قال يقول: ياسعد» (٥).

روى حريز بن عبد الله في الصحيح عنه عليه السلام أنه قال: «لا بأس أن يؤدّب المحرم عبده ما بينه وبين عشرة أسواط» (٦).  
روى معاوية بن عمار في الحسن عنه عليه السلام أنه قال: «إذا أحرمت فاتق قتل الدواب كلها إلّا الأفعى، والعقرب، والفأرة فإنها توهى السقاء وتحرق على أهل

١-١ البقرة ٢: ١٩٧.

٢-٢ الوسائل ١٢: ٤٦٣، باب ٣٢ من أبواب تروك الاحرام، حديث ١. باختلاف يسير.

٣-٣ الحج ٢٢: ٢٩.

٤-٤ الوسائل ١٢: ٤٦٥، باب ٣٢ من أبواب تروك الاحرام، حديث ٥. بتصرف.

٥-٥ الوسائل ١٢: ٥٦١، باب ٩١ من أبواب تروك الاحرام، حديث ١. وما بين المعقوفين زيادة من الاصل.

٦-٦ الوسائل ١٢: ٥٦٤، باب ٩٥ من أبواب تروك الاحرام، حديث ١.

ص: ٩

البيت. وأما العقرب فإن نبي الله صلى الله عليه وآله مدّ يده إلى الحجر فسلعته عقرب فقال: لعنك الله لبراً تدعين ولا فاجراً. والحيّة إذا أراذتك فاقتلها، فإن لم تردك فلا تردّها» (١).

فصل [في أن الحيض غير مانع للإحرام] (٢):

الحيض غير مانع من الإحرام، فلو اتفق في وقت انشائه أحرمت غيرها، لكن لا تصلى السنّة (٣). وإن كان ميقاتها مسجد الشجرة أنشأت الإحرام مجتازة فيه.

وينبغي لها أن تغتسل وتحتشى بالكرسف، وتستتفر وتلبس ثوباً دون ثيابها لإحرامها. ثم إن طهرت قبل وقت الطواف فلا بحث، وإلا تنظرت الطهر ما بقيت سعة الوقت للتلبس بالحج، فإن ضاق الوقت ولما تطهر عدلت إلى حج الافراد (٤)، وخرجت إلى عرفة بإحرامها الأول، ثم تعتمر بعد إتمام الحج عمرة مفردة كما هو شأن المفرد. ولو انقضت عاداتها قبل تضييق وقت الحج ولكن استمر الدم ولم تبلغ العادة العشرة استظهرت بيومين أو ثلاثة، وهو أولى إن اتسع لها الوقت وأمكن قبل انقضاء العشرة، ثم تغتسل وإن بقي الدم، وتأتي ببقية أفعال العمرة مراعية لأحكام الاستحاضة، وتكتفى بالوضوء الواحد للطواف وركعتيه. وتحرم بعد فراغها من العمرة بالحج غيرها. ثم إن اتفق تجاوز الدم العشر فلا إشكال، وإن انقطع عليها أو على ما دونها ففي الحكم إشكال بناءً على ما ذكره جمع من الأصحاب من وجوب قضاء الصوم الواقع فيها بعد الاستظهار وقبل العشرة إذا لم

١-١ الوسائل ١٢: ٥٤٥، باب ٨١ من أبواب تروك الاحرام، حديث ٢. بتصرف.

٢-٢ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

٣-٣ في ن الستة بدل السنّة.

٤-٤ في هامش ن: ونية العدول: أعدل من إحرام عمرة التمتع عمرة الاسلام إلى حج الافراد حج الاسلام لوجوبه قربة إلى الله.

ص: ١٠

يتجاوزها الحيض نظراً إلى انكشاف الحال بانقطاعه على العشرة فما دونها (١)، وظهور كون الجميع حياً، فتكون العبادة الواقعة فيه فاسدة، ولم أف على نص في ذلك ولا فتوى (٢). وكلام الجماعة في قضية الصوم منظور فيه، ولا يبعد القول بصحة العبادة الواقعة بعد الاستظهار مطلقاً؛ لاقتضاء الأدلة له، وعدم ثبوت المخصص.

هذا كله على تقدير اتساع الوقت للاستظهار والأتیان ببقية أفعال العمرة.

وإلا عدلت إلى الحج عند ظهور الضيق.

فصل [في آداب دخول مكة] (٣)

وإذا بلغ المتمتع الحرم فليغتسل حين يدخله وهو بالخيار بين أن يقدم الغسل من بئر ميمونة أو من فح، وبين أن يؤخره فيغتسل من منزله بمكة.

والمقدم للغسل إذا نام قبل أن يدخل الحرم أعاده، وليأخذ نعليه بيده ويمشى ساعة في الحرم، ويأخذ من الإذخر فيمضغه. وإذا نظر إلى بيوت مكة فليقطع التلبية، وعليه بالتكبير والتهليل والتمجيد والثناء على الله عز وجل بما استطاع. وإذا دخل مكة فليدخلها بسكينة غير متكبر ولا متجبر. فإذا دخل المسجد الحرام فليدخله حافياً على السكينة والوقار والخشوع، فمن دخله بخشوع غفر الله له.

روى ذلك معاوية بن عمارة في الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام، ثم قال: «فإذا انتهيت إلى باب المسجد فقم وقل: السّلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، بسم الله وبالله، ومن الله وما شاء الله، والسّلام على أنبياء الله ورسله، والسّلام على رسول الله، والسّلام على إبراهيم والحمد لله رب العالمين.

١-١ هذا هو المشهور بل ربما حكى عليه الاجماع كما في الرياض ١: ٣٧٥.

٢-٢ ذهب إليه في المدارك ١: ٣٣٦، وقريب منه في الرياض ١: ٥٣٥.

٣-٣ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

ص: ١١

«إذا دخلت المسجد فارفع يديك واستقبل القبلة وقل: اللهم إني أسألك في مقامى هذا فى أول مناسكى أن تقبل توبتى وأن تجاوز عن خطيئتى، وتضع عنى وزرى، الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام. اللهم إني أشهد (١) أن هذا بيتك الحرام الذى جعلته مثابة للناس وأمناً مباركاً وهدياً للعالمين. اللهم إني عبدك، والبلد بلدك والبيت بيتك، جئت أطلب رحمتك، وأؤم طاعتك مطيعاً لأمرك، راضياً بقدرك، أسألك مسألة المضطر إليك، الخائف لعقوبتك، اللهم افتح لى أبواب رحمتك واستعملنى بطاعتك ومرضاتك» (٢).

[فى استلام الحجر وتقبيله] (٣) القواعد: فإذا دنوت من الحجر الأسود فارفع يديك واحمد الله واثن عليه وصل على النبي صلى الله عليه وآله وأسأل الله أن يتقبل منك ثم استلم الحجر وقبله، فإن لم تستطع ان تقبله فاستلمه بيدك، فإن لم تستطع فأشر إليه وقل (٤): اللهم أمانتى أديتها، وميثاقى تعاهدته، ليشهد لى بالموافاة، اللهم تصديقاً بكتابك وعلى سنه نبيك صلى الله عليه وآله أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، آمنت بالله، وكفرت بالجبث والطاغوت وباللات والعزى وعبادة الشيطان، وعبادة كل نداء يدعى من دون الله، وقل: اللهم إليك بسطت يدي، وفيما عندك عظمت رغبتي، فاقبل سبحتى (٥)، واغفر لى وارحمنى، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقير ومواقف الخزى فى الدنيا والآخرة» (٦).

١- ١ فى التهذيب ونسخة ن: «اشهدك».

٢- ٢ الوسائل ١٣: ٢٠٤، باب ٨ من أبواب مقدمات الاحرام، حديث ١.

٣- ٣ ما بين المعقوفين من هامش ن.

٤- ٤ توجد زيادة فى ن: اللهم إني أؤم بوعدك وأوفى بعهدك، ولم توجد فى المصدر.

٥- ٥ فى هامش ن: السبحة: التطوع فى الذكر والصلاة، تقول: قضيت سبحتى.

٦- ٦ الوسائل ١٣: ٣١٣، باب ١٢ من أبواب الطواف، حديث ١. بتصرف. رواه الكلينى عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، وعن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبى عمير وصفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمارة، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:..



ص: ١٢

وسياتى فى حديث لمعاوية بن عمّار أيضاً، فى زيارة البيت يوم النحر فإن لم تستطع أن تقبل الحجر الأسود فاستلمه بيدك وقبل يدك (١).

وفى كلام بعض قدماء الأصحاب أن من لم يستطع أن يقبل الحجر الأسود أو يستلمه أشار إليه بيده وقبلها (٢).  
روى الكلينى عن يعقوب بن شبيب قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: ما أقول إذا استقبلت الحجر؟ فقال: «كبر وصل على محمد وآله، قال: وسمعه يقول إذا أتى الحجر الأسود: الله أكبر والسلام على رسول الله (٣).

فصل [فى الطواف] (٤)

وإذا أراد الطواف لعمرة التمتع فليراع حصول شرائط صحّة الطواف، وهى:

ستر العورة، والطهارة من الحدث والخبث بنحو ما يُعتبر فى الصلاة، والاختتان للرجل، ثم يقف بإزاء الحجر مستقبلاً له جاعلاً أول جزء منه مما يلي الركن اليماني محاذياً لأول كتفه الأيسر ولوظناً على المعروف فى كلام متأخرى الأصحاب (٥).  
ولا بأس بالتزام ما ذكره خروجاً من خلافهم، وإلّا فأحاديث أئمتنا عليهم السلام خالية من التعرض لهذا التحرير، ظاهرة فى نفي المضايقة بهذا المقدار [والمفهوم منها مجرد الإبتداء من الحجر والانتهاه إليه، وليس يفهم تعيين الجزء الأول من الحجر] (٦).

- ١- ١ الكافي ٤: ٥١١، باب الزيارة، والغسل فيها، حديث ٤.
- ٢- ٢ ذهب إليه الصدوق فى الفقيه ٢: ٥٣١، وأبو الصّلاح الحلبي فى الكافي: ٢١٠.
- ٣- ٣ الكافي ٤: ٤٠٧، باب الطواف واستلام الأركان، حديث ٤.
- ٤- ٤ ما بين المعقوفين زيادة من ن.
- ٥- ٥ الظاهر أن أول من ذهب إليه العلامة فى التذكرة ٨: ٨٧ مسألة ٤٥٤. وتبعه الشهيد الأول فى المنسك الكبير المنشور فى هذه المجلة عدد ٤: ١٠٣، والشهيد الثانى فى المسالك ٢: ٣٣١.
- ٦- ٦ ما بين المعقوفين زيادة من م.

ص: ١٣

وفى بعض الأخبار المعتبرة ما يعطى أحسنية افتتاح الطواف بالتكبير (١)، فإذا استحضر تية الطواف على الوجه الذى أسلفناه كبر إن شاء، ثم يفتل (٢) ويجعل البيت على يساره، ويطوف به سبعة أشواط فى القدر الذى بين البيت والمقام على الأحوط، والأولى مُدخلاً للحجر فى الطواف مخرجاً لجميع بدنه عن البيت والشاذران؛ لأنه من أساس الحائط القديم فى المشهور. والأحوط أن لا يمس الحائط ماشياً، بل يقف إذا أراد، ولا ينتقل (٣) من مكانه حتى يخرج يده عنه.

ويراعى فى آخر الشوط السابع الختم بما بدأ به، فيحاذى بأول بدنه أول جزء من الحجر على نحو ما ذكر فى الابتداء، والحال ههنا نظير ما قلناه هناك من عدم الدليل على اعتبار هذا التضييق، لكنه المعروف فى كلامهم، ولا بأس بوفاقهم، ولولاه لكان الظاهر أن نكتفى بقصد الاتمام عند محاذاة الحجر، وجعل مازاد على الشوط خارجاً عن الطواف.

والأولى موالاة الأشواط السبعة وإن كان المشهور هو الاقتصار فى اعتبار الموالاة على الأربعة وتجويز تفریق الباقي لضرورة أو قضاء حاجة أو صلاة فريضة أو نافله يخاف فوتها، فإن الدليل غير ناهض بإثبات هذه الجملة، والاحتياط فى مثله أهم.

وإذا حصل الشك فى عدد الأشواط فإن لم يدر أسبعت طاف أو سبعة؟ أعاد الطواف. وإن لم يدر أسبعت طاف أو ثمانية؟ بنى على السبعة. ولو حصل الشك قبل إكمال الشوط أو تعلق بما دون السبعة استأنف. ولا يلتفت إلى الشك الواقع بعد

---

١-١ كما فيصحيح يعقوب بن شعيب المتقدم وأمثاله الدالة على التكبير عند استقبال الحجر، ولما كان افتتاح الطواف من الحجر، كان الأحسن افتتاح الطواف بالتكبير.

٢-٢ فى ن: «ينتقل».

٣-٣ فى ص: «ولا يفتل».

ص: ١٤

الفراغ مطلقاً. وإذا عرض الشك في طواف النافلة بنى على الأقل.

ويستحب استلام الحجر وتقبيله في كل شوط، فإن لم يستطع أشار إليه كما مرّ. واستلام الأركان كلها. وفي بعض الأخبار المعتبرة أنّ استلام الركن هو إصاق البطن به (١).

وروى الكليني عن معاوية بن عمار في الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تقول في الطواف: اللهم إني أسألك باسمك الذي يمشى به على [طلل] (٢) الماء، [كما] (٣) يمشى به على جدد الأرض، وأسألك باسمك الذي يهتّر له عرشك، وأسألك باسمك الذي تهتّر له أقدام ملائكتك، وأسألك باسمك الذي دعاك به موسى من جانب الطور الأيمن فاستجبت له وألقيت عليه محبة منك، وأسألك باسمك الذي غفرت به لمحمد صلى الله عليه وآله ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وأتممت عليه نعمتك، أن تفعل بي كذا وكذا ما أحببت من الدعاء. وكلّما انتهيت إلى باب الكعبة فصلّ على النبي صلى الله عليه وآله وتقول فيما بين الركن اليماني والحجر الأسود: ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وقل في الطواف: اللهم إني إليك فقير، وإني خائف مستجير، فلا تغير جسمي ولا تبدل اسمي (٤).

وروى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن نعيم في الحسن أيضاً قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: دخلت طواف الفريضة فلم يفتح لي شئ من الدعاء إلا الصلاة على محمد وآل محمد فسعيت فكان كذلك، قال: «ما أعطى أحد ممن سأل أفضل مما أعطيت» (٥).

١-١ الوسائل ١٣: ٣٢٤، باب ١٥ من أبواب الطواف، حديث ٢. و ٣٣٨، باب ٢٢ حديث ٤.

٢-٢ في تمام النسخ ظل وما أثبتناه من المصدر، وطلل الماء أي ظهره.

٣-٣ في تمام النسخ: «ويمشى» وما أثبتناه من المصدر.

٤-٤ الوسائل ١٣: ٣٣٣، باب ٢٠ من أبواب الطواف، حديث ١.

٥-٥ الوسائل ١٣: ٣٣٦، باب ٢١ من أبواب الطواف، حديث ١.

ص: ١٥

وروى الشيخ في الصحيح عن عاصم بن حميد، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «كان على بن الحسين عليهما السلام إذا بلغ الحجر قبل أن يبلغ الميزاب رفع رأسه فقال: اللهم أدخلني الجنة برحمتك، وعافني من السقم وأوسع عليّ من الرزق الحلال، وادراً عني شرّ فسق الجنّ والإنس، وشر فسق العرب والعجم» (١).

روى الكليني عن عمر بن أذينة في الحسن، قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لما انتهى الى ظهر الكعبة حين يجور الحجر: «يا ذا المنّ والطول، والجود والكرم، إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي وتقبله مني إنك أنت السميع العليم» (٢).

وروى معاوية بن عمار في الحسن عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الركن اليماني باب من أبواب الجنة لم يغلقه الله منذ فتحه» (٣).

روى العلاء بن المقعد في الحسن أيضاً، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ ملكاً موكلاً بالركن اليماني منذ خلق الله السماوات والارض، ليس له عمل إلّا التأمين على دعائكم. فلينظر عبد بم يدعو» (٤).

وعن عبدالله بن سنان، في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «يستحب أن تقول بين الركن والحجر الأسود: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. وقال: إنّ ملكاً موكلاً يقول: آمين» (٥).

ويستفاد من حديث معاوية بن عمار المتضمن للدعاء في الطواف أنّ المراد بالركن هاهنا اليماني.

- ١-١ التهذيب ٥: ١٠٥، باب الطواف، حديث ١٢. الوسائل ١٣: ٣٣٥، باب ٢٠ من أبواب الطواف ذيل حديث ٥.
- ٢-٢ الكافي ٤: ٤٠٧، باب الطواف واستلام الحجر، حديث ٦. الوسائل ١٣: ٣٣٥، باب ٢٠ من أبواب الطواف، حديث ٦.
- ٣-٣ الوسائل ١٣: ٣٤٢، باب ٢٣ من أبواب الطواف، حديث ٤.
- ٤-٤ المصدر السابق، حديث ٢، بتصرّف.
- ٥-٥ الوسائل ١٣: ٣٣٤، باب ٢٠ من أبواب الطواف، حديث ٢.

ص: ١٦

وعن حفص بن البختری فی الحسن عنه علیه السلام، قال: «إنّ فی هذا الموضع - یعنی حیث یكون (١) الركن الیمانی - ملكاً اعطی سماع أهل الارض، فمنصلی علی رسول اللّهلصلى الله علیه و آله [حین یبلغه] أبلغه إیاه» (٢).

عبدالله بن سنان [فی الصحیح] (٣)، قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: «إذا كنت فی الطواف السابع فأت المتعوذ وهو إذا قمت فی دبر الكعبة حذاء الباب، فقل: اللهم البيت بیتك والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النار، اللهم من قبلك الروح والفرج، ثم استلم الركن الیمانی، ثم أت الحجر فاختم به» (٤).

روی معاویة بن عمار فی الحسن، أن أبا عبدالله علیه السلام كان إذا انتهى إلى الملتزم قال لمواليه: «أميطوا عنی حتى أقرّ لربي بذنوبی (٥) فی هذا المكان، فإنّ هذا مكان لم یقرّ عبد لربه بذنوبه فیه ثم استغفر إلّاغفر الله له» (٦).

وعنه أيضاً فی الحسن قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: «إذا فرغت من طوافك وبلغت مؤخر الكعبة وهو بحذاء المستجار دون الركن الیمانی بقلیل، فابسط یدیک علی الأرض، والصق بطنك وخذك بالبيت، وقل: اللهم البيت بیتك، والعبد عبدك وهذا مكان (٧) العائذ بك من النار، ثم أقرّ لربك بما عملت، فإنه لیس من عبد مؤمن یقرّ لربه بذنوبه فی هذا المكان إلّاغفر الله له إن شاء الله. ویقول: اللهم من قبلك الروح والفرج والعافية، اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لی واغفر لی ما اطلعت علیه

١- ١ فی م: حین یجوز بدل حیث یكون.

٢- ٢ الوسائل ١٣: ٣٣٧، باب ٢١ من أبواب الطواف، حدیث ٣، وما بین المعقوفین زیادة من م.

٣- ٣ ما بین المعقوفین زیادة من م.

٤- ٤ الوسائل ١٣: ٣٤٤، باب ٢٦ من أبواب الطواف، حدیث ١.

٥- ٥ قال فی الوافی ١٣: ٨٢٦: یعنی به الذنب الذی ألقى علیه من شیعة علی علیه السلام ضمناً من الله تعالی له بالمغفرة، وإلّا فالرسول صلى الله علیه و آله معصوم من الذنب. كذا عن الصادقین علیهما السلام.

٦- ٦ الوسائل ١٣: ٣٤٦، باب ٢٦ من أبواب الطواف، حدیث ٥.

٧- ٧ فی ن: مقام.

ص: ١٧

منى وخفى على خلقك. ثم تستجير بالله من النار. وتخير لنفسك من الدعاء ثم استلم (١) الركن اليماني ثم اتت الحجر الأسود» (٢).  
وروى معاوية في الحسن أيضاً، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا فرغت من طوافك فأت مقام ابراهيم عليه السلام فصل ركعتين واجعله أمامك، وقرأ في الأولى منهما سورة قل هو الله أحيى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، ثم تشهد واحمد الله واثن عليه، وصل على النبي صلى الله عليه وآله وأسأله أن يتقبل منك» (٣).

وهاتان الركعتان هما الفريضة ليس يكره لك أن تصليهما في أى الساعات شئت، عند طلوع الشمس وعند غروبها، ولا تؤخرهما ساعة تطوف وتفرغ فصلهما.

وأعلم (٤) أنه لا بأس بالقران بين الأسابيع في طواف النافلة، وتأخر الركعتين حينئذ.

روى ذلك زرارة في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنما يكره أن يجمع الرجل بين الاسبوعين والطوافين في الفريضة، فأما في النافلة فلا بأس» (٥).

قال زرارة: ربما طفت مع أبي جعفر عليه السلام- وهو ممسك بيدي- الطوافين والثلاثة، ثم ينصرف ويصلي الركعات ستاً (٦).  
روى زرارة أيضاً في الصحيح قال: طفت مع أبي جعفر عليه السلام ثلاثة عشر اسبوعاً قرنهما جميعاً وهو آخذ بيدي، ثم خرج فتنحى ناحية فصلى ستاً وعشرين

١-١ في المصدر: استقبل.

٢-٢ الوسائل ١٣: ٣٤٧، باب ٢٦ من أبواب الطواف، حديث ٩، بتصرف.

٣-٣ الوسائل ١٣: ٢٣، باب ٧١ من أبواب الطواف، حديث ٣، باختلاف يسير.

٤-٤ ورد في هامش ن قبل واعلم: «في عدم البأس بالقران بين الطوافين وما زاد بدون الصلاة في طواف النافلة».

٥-٥ الوسائل ١٣: ٣٦٩-٣٧٠، باب ٣٦ من أبواب الطواف، حديث ١ و ٢.

٦-٦ الوسائل ١٣: ٣٦٩-٣٧٠، باب ٣٦ من أبواب الطواف، حديث ١ و ٢.

ص: ١٨

ركعة، وصليت معه (١).

وروى معاوية بن عمار في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تدعو بهذا الدعاء في دبر ركعتي طواف الفريضة، تقول بعد التشهد: اللهم ارحمني بطواعيتي إياك وطواعيتي رسولك صلى الله عليه وآله، اللهم جنبني أن أتعدى حدودك، واجعلني ممن يحبك ويحب رسولك وملائكتك وعبادك الصالحين» (٢).

وفي الحسن قال: «إذا فرغت من الركعتين فائت الحجر الأسود فقبله واستلمه وأشر إليه فإنه لا بد من ذلك.

وقال: إن قدرت أن تشرب من ماء زمزم قبل أن تخرج إلى الصيفا فافعل، وتقول حين تشرب: اللهم اجعله علماً نافعاً واسعاً وشفاءً من كل داء وسقم». قال: وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين نظر إلى زمزم: «لولا- أنى أشق على أمتي لأخذت ذنوباً أو ذنوبين» (٣).

وروى الحلبي في الحسن أيضاً عنه عليه السلام، قال: «إذا فرغ الرجل من طوافه وصلى ركعتين فليأت زمزم ويستق منه ذنوباً أو ذنوبين، وليشرب منه وليصب على رأسه وظهره وبطنه، ويقول: اللهم اجعله علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء وسقم. ثم يعود إلى الحجر الأسود» (٤).

وفيصحيح عبد الله بن سنان عنه عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل زمزم بعد أن صلى ركعتي الطواف، فشرب منها ثم قال: «اللهم إنى أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء وسقم. فجعل يقول ذلك وهو مستقبل الكعبة، ثم قال لأصحابه: ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر، فاستلمه ثم خرج

١-١ الوسائل ١٣: ٣٧١، باب ٣٦ من أبواب الطواف، حديث ٥.

١-٢ الوسائل ١٣: ٤٣٩، باب ٧٨ من أبواب الطواف، حديث ١.

١-٣ الوسائل ١٣: ٤٧٢، باب ٢ من أبواب السعي، حديث ١.

١-٤ الوسائل ١٣: ٤٧٣، باب ٢ من أبواب السعي، حديث ٢.

ص: ١٩

إلى الصفا» (١).

وروى الحلبي في الصحيح عنه عليه السلام أنه قال: «يستحب أن تستقي من ماء زمزم دلوّاً أو دلوين، فتشرب منه وتصب على رأسك وجسدك، وليكن ذلك من الدلو الذي بحذاء الحجر» (٢).

روى علي بن مهزيار في الصحيح أنّ أبا جعفر الثاني عليه السلام دخل زمزم فاستقى منها بيده بالدلو الذي يلي الحجر وشرب منه وصبّ على بعض جسده، ثم أطلع في زمزم مرتين. قال: وأخبرني بعض أصحابنا أنه رآه بعد ذلك بسنة فعل مثل ذلك (٣).

فصل [في السعي بين الصفا والمروة] (٤)

و ينبغي المبادرة بعد الفراغ من الطواف إلى السعي، إلّا مع العذر كشدّة الحر، فيؤخره إلى أن يبرد، أو الإعياء فإلى أن يزول، أو دخول وقت الفريضة (٥) للصلاة فإلى أن يصلها، ولا بأس بالتأخير في العذرين الأولين من النهار إلى الليل لا إلى الغد.

وفي خبر من الحسن لمعاوية بن عمّار أنّ أبا عبد الله عليه السلام قال: «ثم اخرج إلى الصفا من الباب الذي خرج منه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الباب الذي يقابل الحجر الأسود حتى تقطع الوادي، وعليك السكينة والوقار، فاصعد على الصفا حتى تنظر إلى البيت وتستقبل الركن الذي فيه الحجر الأسود، واحمد الله واثن عليه، ثم اذكر

١-١ الكافي ٤: ٢٤٩، باب حج النبي صلى الله عليه وآله حديث ٧.

٢-٢ الوسائل ١٣: ٤٧٤، باب ٢ من أبواب السعي، حديث ٤.

٣-٣ المصدر السابق، حديث ٣.

٤-٤ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

٥-٥ في ن: وقت الفضيلة.



ص: ٢٠

من آلائه وبلائه وحسن ما صنع اليك ما قدرت على ذكره، ثم كبر الله سبعاً واحمده سبعاً وهلله سبعاً، وقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير، ثلاث مرات. ثم صل على النبي صلى الله عليه وآله وقل: الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا، والحمد لله الحى القيوم، والحمد لله الحى الدائم، ثلاث مرات.

وقل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون، ثلاث مرات. اللهم إني أسألك العفو والعافية واليقين فى الدنيا والآخرة، ثلاث مرات. اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ثلاث مرات. ثم كبر مائة مرة وهلل مائة مرة واحمد مائة مرة وسبح مائة مرة. وتقول: لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فله الملك وله الحمد وحده وحده. اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت، اللهم إنى أعوذ بك من ظلمة القبر ووحشته، اللهم أظننى فى ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلا ظلك. وأكثر من أن تستودع ربك دينك ونفسك وأهلك. ثم تقول: استودع الله الرحمن الرحيم الذى لا تضيع ودائعه نفسى ودينى وأهلى [ومالى وولدى] (١)، اللهم استعملنى على كتابك وسنة نبيك وتوفنى على ملته وأعدنى من الفتنة. ثم تكبر ثلاثاً. ثم تعيدها مرتين. ثم تكبر واحدة. ثم تعيدها، فإن لم تستطع هذا فبعضه.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقف على الصفا بقدر ما تقرأ سورة البقرة ترتيلاً (٢). وفى بعض نسخ كتب الحديث مترسلاً (٣)، والمعنى متقارب، وأحد اللفظين تصحيف. كما أن استحباب قراءة سورة البقرة [فى هذا

١-١ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

٢-٢ الكافى ٤: ٤٣١، باب الوقوف على الصفا والدعاء، حديث ١. فى ن: مرتلاً.

٣-٣ فى ن: مرسلًا بدل مترسلاً.

ص: ٢١

الموضع بنص كلام بعض الأصحاب [١] تحريف.

وفى خبر من واضح الصحيح: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله صعد الصفا فقام عليه مقدار ما يقرأ الانسان سورة البقرة» [٢].  
وروى الشيخ فى الصحيح عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام كيف يقول الرجل على الصفا والمروة؟ قال: يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير» ثلاث مرات [٣].

وروى الكلينى فى الصحيح عن يعقوب بن شعيب، قال: حدثنى جميل، قال:

قلت لأبى عبد الله عليه السلام: هل من دعاء موقت أقوله على الصفا والمروة؟ فقال: «تقول إذا وقفت على الصفا: لا إله إلا الله» [٤].  
الى آخر ما فى حديث زرارة.

وإذا أراد الشروع فى السعى نواه كما مرّ وقارن بها الحركة، إما من الدرج إن كان قد صعد، أو مع إصااق عقبه بالصفا إذا لم يصعد.  
وروى معاوية بن عمار فى الحسن عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: «انحدر من الصفا ماشياً إلى المروة، وعليك السكينة والوقار حتى تأتى المنارة، وهى طرف المسعى، فاسع ملء فروجك، وقل: بسم الله والله أكبر، وصلى الله على محمد وأهل بيته، اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم. حتى تبلغ المنارة الاخرى فإذا تجاوزتها فقل: يا ذا المن والفضل والكرم والنعماء والجود، اغفر لى ذنوبى إنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم امش وعليك السكينة والوقار، حتى تأتى المروة، فاصعد عليها حتى يبدو لك البيت، واصنع عليها كما صنعت على الصفا،

١-١ ما بين المعقوفين لم يرد فى ن.

٢-٢ الكافى ٤: ٢٤٩، باب حج النبي صلى الله عليه وآله، حديث ٧.

٣-٣ الوسائل ١٣: ٤٧٨، باب ٤ من أبواب السعى، حديث ٢.

٤-٤ الكافى ٤: ٤٣٢، باب الوقوف على الصفا والدعاء، حديث ٢. الوسائل ١٣: ٤٨٠، باب ٢ من أبواب السعى، حديث ٤.

ص: ٢٢

وطف بينهما سبعة أشواط، تبدأ بالصفاء وتختتم بالمرءة» (١).

واعلم أنّ الشوط في السعي يحسب من الصفا إلى المرءة، ثم منها إلى الصفا وهكذا، فابتداء السبعة من الصفا وختمها بالمرءة، كما تضمنه هذا الخبر. ويتخير في ابتداء الشوط وانتهائه بين الصاق عقبيه في الأول وأصابع رجليه في الثاني بالموضعين، وبين الصعود على الصفا ولو بدرجة، ودخول المرءة بحيث يتجاوز حدّها.

والجاهل في زيادة عدد الأشواط معذور. والساهي بزيادة شوط مخير بين طرح الزيادة والاعتداد بالسبعة، وبين البناء على واحد والاكمال.

والشاك في جانب الزيادة يبني على الأقل، وفي النقصان يعيد على الأحوط.

ولا بأس بالجلوس على الصفا والمرءة عند الجهد. وبالسعي على الدابة، والمشى أفضل.

ويجزى الراكب أن يقف تحت الصفا حيث يرى البيت، وليس عليه السعي بمعنى زيادة الاسراع في موضعه الذي مرّ بيانه في حديث معاوية بن عمار. ولا على النساء كما ورد في عدة روايات ضعيفة، لكنّها معتزدة بموافقة الاصل، وانتفاء العموم في دليل استحبابه، بحيث يصلح مخرجاً عنه.

فصل [في الآداب بعد الفراغ من السعي] (٢)

وإذا فرغ المتمتع من سعيه قصّر من جوانب شعره ولحيته، وأخذ من شاربه وقلم أظفاره، ولو اقتصر على التقصير من الشعر والظفر (٣).

١-١ الكافي ٤: ٤٣٥، باب السعي بين الصفا والمرءة وما يقال فيها، حديث ٦.

٢-٢ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

٣-٣ في ن: أو الظفر.

ص: ٢٣

روى محمد بن اسماعيل في الصحيح قال: «رأيت أبا الحسن عليه السلام أحل من عمرته وأخذ من أطراف شعره كَلَّه على المشط، ثم أشار إلى شاربه فأخذ منه الحجام، ثم أشار إلى أطراف لحيته فأخذ منها، ثم قام» (١).  
 وفيصحيح جميل عن أبي عبد الله عليه السلام في محرم يقصر من بعض ولا يقصر من بعض؟ قال: «يجزيه» (٢).  
 وروى المشايخ الثلاثة في الصحيح من عدة طرق، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا فرغت من سعيك وأنت متمتع، فقصر من شعرك من جوانبه ولحيتك، وخذ من شاربك، وقلم أظفارك وابق منها لحجك، وإذا فعلت ذلك فقد أحلت من كل شيء يحل منه المحرم، وأحرمت منه. فطف بالبيت تطوعاً ما شئت» (٣).  
 وأعلم أن الأخبار المعتمدة المستفيضة تساعد هذا الخبر، وتدل بأوضح دلالة على ما تضمنه من كون التقصير بعد السعي آخر أفعال عمره التمتع، وأن به يحصل التحلل من كل ما أحرم منه، سوى الحلق كما سلف التنبيه عليه، وعدم التعرض له في الحديث اعتماداً على ظهور الحكم وتقرره (٤). فلا تصغ الى متوهم لوجوب طواف النساء فيها، فإنه تشريع بحت والقول به لم يحك إلفي الدروس (٥) واللمعة (٦) ولم يبين فيهما القائل لتعرف أهليته، لمراعاة خلافه بالنظر الى تسويغ الاحتياط للمقلد، وإلا ففساد هذا الرأي عند أهل الاستدلال في غاية الظهور،

- ١- ١ الوسائل ١٣: ٥١٦، باب ١٠ من أبواب التقصير، حديث ١.
- ٢- ٢ الوسائل ١٣: ٥٠٧، باب ٣ من أبواب التقصير، حديث ١.
- ٣- ٣ الوسائل ١٣: ٥٠٦، باب ١ من أبواب التقصير، حديث ٤.
- ٤- ٤ في ن: وتقريره.
- ٥- ٥ الدروس ١: ٣٢٩.
- ٦- ٦ الزبدة الفقهية ٣: ٤١٦.

ص: ٢٤

لأنحصار مأخذه في خبر ضعيف الطريق (١)، قاصر الدلالة على المدعى (٢)(٣)، مع مخالفته للأصل والأخبار، التي كادت بالصحة والكثرة أن تبلغ حد التواتر، ولفتاوى جمهور علماء الامامية وفقهائها المعروفين.

فصل [في احرام الحج] (٤)

ويجب على المتمتع بعد التقصير والإحلال من عمرته الاحرام بالحج من مكة. ويستحب ايقاعه يوم التروية من المسجد الحرام، وأفضله المقام أو الحجر.

وصفته كما مرّ في احرام العمرة، إلّا التي، فإنه ينوى الاحرام بالحج.

وفي خبر من مشهورى الصحيح عن أيوب بن الحرّ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

قلت له: إنا قد أطينا ونتفنا وقلمنا أظفارنا بالمدينة، فما نضع عند الحج؟ فقال:

«لا تطل ولا تنتف ولا تحرك شيئاً» (٥).

وروى معاوية بن عمار في الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا كان يوم التروية إن شاء الله فاغتسل والبس ثوبيك وادخل المسجد حافياً وعليك السكينة والوقار، ثم صلّ ركعتين عند مقام ابراهيم عليه السلام، أو في الحجر ثم أقعد حتى تزول الشمس، فصلّ المكتوبة، ثم قل في دبرصلاتك كما قلت حين أحرمت من الشجرة،

١- ١ وهو خبر سليمان بن حفص، عن الفقيه عليه السلام قال: إذا حج الرجل فدخل مكة متمتعاً فطاف بالبيت وصلّى ركعتين خلف مقام ابراهيم عليه السلام وسعى بين الصفا والمروة وقصّر فقد حلّ له كل شيء ما خلا النساء؛ لأنّ عليه لتحلّة النساء طوافاً وصلاة. الوسائل ١٣: ٤٤٤، باب ٨٢ من أبواب الطواف، حديث ٧.

٢- ٢ في هامش نسختي الاصل و ن: وجه القصور أن مدعى القائل كونه من جملة أفعال عمره التمتع وواجباتها، ولفظ الحديث لأنّ عليه لتحلّة النساء طوافاً وصلاة. وغاية ماتفيده هذه العبارة، أنّ النساء لاتحل له إلّا بطواف وصلاة، وهذا الفرض يتأتى في الواقع بعد الحج، فأين دلالة على كونه من جملة أفعاله؟! منه رحمه الله.

٣- ٢ في هامش نسختي الاصل و ن: وجه القصور أن مدعى القائل كونه من جملة أفعال عمره التمتع وواجباتها، ولفظ الحديث لأنّ عليه لتحلّة النساء طوافاً وصلاة. وغاية ماتفيده هذه العبارة، أنّ النساء لاتحل له إلّا بطواف وصلاة، وهذا الفرض يتأتى في الواقع بعد الحج، فأين دلالة على كونه من جملة أفعاله؟! منه رحمه الله.

٤- ٣ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

٥- ٤ التهذيب ٥: ١٦٨، باب الاحرام للحج، حديث ٦.

ص: ٢٥

وأحرم بالحج، ثم امض وعليك السكينة والوقار فإذا انتهيت إلى الرقطاء (١) دون الرَّدْمِ فلبّ، فإذا انتهيت [إلى الرَّدْمِ] (٢) وأشرفت على الأبطح فارفع صوتك بالتلبية حتى تأتي منى» (٣).

روى الصدوق في الصحيح عن معاوية بن عمّار والحلبى وعبدالرحمن بن الحجاج وحفص بن البخترى، عن أبى عبد الله عليه السلام، فى جملة حديث قال: «وإن أهلت من المسجد الحرام للحج، فإن شئت لبيت خلف المقام، وأفضل ذلك أن تمضى حتى تأتي الرقطاء. وتلبى قبل أن تصير إلى الأبطح» (٤).

وروى معاوية بن عمار فى الحسن عنه عليه السلام، قال: «إذا توجهت إلى منى، فقل:

اللهم إياك أرجو وإياك أدعو، فبلغنى أملى وأصلح لى عملى» (٥).

«فإذا انتهت إلى منى فقل: اللهم هذه منى، وهى مما مننت به علينا من المناسك، فأسألك أن تمنّ علينا بما مننت به على أنبيائك، فإنما أنا عبدك وفى قبضتك» (٦).

ويستحب المبيت بها ليلة عرفة إلى أن يصبح، وأن لا يجوز وادى محسّر حتى تطلع الشمس.

وروى معاوية فى الحسن أيضاً عنه عليه السلام، قال: «إذا غدوت إلى عرفة فقل وأنت متوجه إليها: اللهم إليكصممت، وإليك اعتمدت، ووجهك أردت،

١-١ قال الفيض الكاشانى فى الوافى ٨: ١٠٠٨: الروحاء وفى بعض النسخ الفضاء مكان الروحاء، وفى نسخ التهذيب والفقيه الرقطاء، قال فى الفقيه: وهو ملتقى الطريقين حين تشرف على الأبطح، وكأنهصحف فى الكافى. والرَّدْمِ السَّدّ ويقال لذلك الموضع بمكة.

٢-٢ ما بين المعقوفين زيادة من م.

٣-٣ الوسائل ١٢: ٤٠٨، باب ٥٢ من أبواب الاحرام، حديث ١.

٤-٤ الفقيه ٢: ٣٢٠، باب عقد الاحرام وشرطه، حديث ٢٥٦٢.

٥-٥ الوسائل ١٣: ٥٢٦، باب ٦ من أبواب الحج والوقوف بعرفة، حديث ١.

٦-٦ المصدر السابق، حديث ٢.

ص: ٢٦

فأسألك أن تبارك لي في رحلتى (١) وأن تقضى لي حاجتى، وأن تجعلنى اليوم ممن تباهى به من هو أفضل منى. ثم تلبى وأنت غاد الى عرفات، فإذا انتهيت إلى عرفات فاضرب خباك بمرّة دون الموقف ودون عرفه، فإذا زالت الشمس يوم عرفه فاغتسل وصل الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، وإنما تعجل العصر وتجمع بينهما لتفرغ نفسك للدعاء، فإنه يوم دعاء ومسألة» (٢).

روى معاوية في الصحيح عنه عليه السلام فيصفه حج رسول الله صلى الله عليه وآله أنه انتهى إلى نمره وهى بطن عرنه بحيال الأراك. فضرب قبته وضرب الناس أحببتهم عندها، فلما زالت الشمس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم. ثم مصلى الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، ثم مضى إلى الموقف فوقف به، فجعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته، يقفون إلى جنبها، فنحاهما ففعلوا مثل ذلك.

فقال: «أيها الناس إنه ليس موضع أخفاف ناقتى الموقف، ولكن هذا كله موقف وأوماً [بيده] إلى الموقف فتفرق الناس» (٣). واعلم: أن الواجب فى الوقوف بعرفة هو الكون بها من زوال الشمس إلى أن تغيب. ومحل نية الوقوف بعد تحقق الزوال، فيستحضرها حينئذ بصورة ما مر فى الكلام على التيات.

وفى حديث من الحسن لمعاوية بن عمار عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: «قف فى ميسرة الجبل [فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف بعرفات فى ميسرة الجبل] (٤)، فإذا رأيت

١-١ فى ن: رحلى.

٢-٢ الكافى ٤: ٤٦١، باب الغدو الى عرفات وحدودها، حديث ٣.

٣-٣ الكافى ٤: ٢٤٧، باب حج النبى صلى الله عليه وآله، حديث ٤، وما بين المعقوفين زيادة من المصدر.

٤-٤ ما بين المعقوفين لم يرد فى المصدر ووص، وما أثبتناه من بقية النسخ.

ص: ٢٧

خللًا فسده بنفسك وراحتك فإن الله عز وجل يحب أن تُسَدَّ تلك الخلال. وانتقل عن الهضاب، واتق الأراك. فاذا وقفت بعرفات فاحمد الله وهلله ومجده واثن عليه وكبره مائة تكبيرة، وقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مائة مرة، وتختر تخير لنفسك من الدعاء ما احببت، واجتهد فإنه يوم دعاء ومسألة. وتعوذ بالله من الشيطان، فإن الشيطان لن يذهلك في موضع أحب إليه من أن يذهلك في ذلك الموضع، وإياك أن تشتغل بالنظر الى الناس. وأقبل قَبِيلَ نفسك. وليكن فيما تقول: اللهم رب المشاعر كلها فك رقتي من النار وأوسع علي من الرزق الحلال وأدرأ عني شر فسقة الجن والانس، اللهم لا تمكر بي ولا تخدعني ولا تستدرجني يا أسمع السامعين ويا أبصر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين. أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي كذا وكذا. وليكن فيما تقول وأنت رافع يديك إلى السماء: اللهم حاجتي التي إن أعطيتها لم يضرنى مامنعني، وإن منعتها لم ينفعني ما أعطيتني. أسألك خلاص رقتي من النار. اللهم إني عبدك وملك يدك، وناصيتي بيدك، وأجلى بعلمك، أسألك أن توفقني لما يرضيك عني، وأن تسلم مني مناسكي التي أريتها ابراهيم خليلك عليه السلام ودلت عليها حبيك محمدًا صلى الله عليه وآله. وليكن فيما تقول: اللهم اجعلني ممن رضيت عمله وأطلت عمره وأحييته بعد الموت حياة طيبة» (١).

روى الصدوق عن معاوية بن عمار في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «ألا أعلمك دعاء يوم عرفه، وهو دعاء من كان قبلي من الأنبياء؟ فقال علي عليه السلام: بلى يا رسول الله. قال تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، ويميت ويحيى وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم لك الحمد كما تقول، وخير ما يقول



ص: ٢٨

القائلون. اللهم لكصلاتي ودينى ومحيى ومماتى ولك تراثى (١). ومنك حولى ومنك قوتى. اللهم إنى أعوذ بك من الفقر، ومن وسواس الصدر، ومن شتات الأمر، ومن عذاب النار ومن عذاب القبر. اللهم إنى أسألك من خير ما تأتى به الرياح، وأعوذ بك من شر ما تأتى به الرياح، وأسألك خير الليل وخير النهار» (٢).

وروى الكلينى عن على بن ابراهيم عن أبيه، قال: رأيت عبد الله بن جندب بالموقف، فلم أر موقفاً كان أحسن من موقفه، ما زال ماداً يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض، فلما انصرف الناس قلت له: يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك. فقال: والله ما دعوت إلا لإخوانى. وذلك أن أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، أخبرنى: «أنه من دعا لأخيه بظهر الغيب، نودى من العرش، ولك مائة ألف ضعف مثله». فكرهت أن أدع مائة ألف ضعف مضمونة لواحدة، لا أدرى تستجاب أم لا؟» (٣).

وروى أيضاً عن عبد الله بن جندب من غير هذا الطريق، أنه قال: كنت فى الموقف، فلما أفضت لقيت ابراهيم بن شعيب، فسلمت عليه وكان مصاباً بإحدى عينيه، وإذا عينه الصحيحة حمراء كأنها علقه دم، فقلت له قد أصبت بإحدى عينيك، وأنا والله مشفق على الاخرى، فلو قصيرت من البكاء قليلاً، فقال: لا- والله يا أبا محمد ما دعوت لنفسى اليوم بدعوة، قلت: فلمن دعوت؟ قال: دعوت لإخوانى، إنى سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من دعا لأخيه بظهر الغيب وكل الله به ملكاً يقول: ولك مثلاه، فأردت أن أكون إنما أدعو لإخوانى، والملك يدعو لى،

١- ١ فى ن براءتى بدل تراثى المثبتة فى هامشها أيضاً.

٢- ٢ الفقيه ٢: ٥٤٢، باب سياق المناسك، حديث ٣١٣٥، الوسائل ١٣: ٥٣٩، باب ١٤ من أبواب احرام الحج والوقوف بعرفة، حديث ٢.

٣- ٣ الكافي ٤: ٤٦٥، باب الوقوف بعرفة وحد الموقف، حديث ٧.

ص: ٢٩

لأنني في شك من دعائي لنفسي ولست في شك من دعاء الملك لي» (١).

وروى في الصحيح عن عبد الله بن ميمون قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف بعرفات، فلما همت الشمس أن تغيب قبل أن تندفع، قال:

اللهم إني أعوذ بك من الفقر، ومن تشتت الأمر، ومن شر ما يحدث بالليل والنهار.

أمسى ظلمي مستجيراً بعفوك، وأمسى خوفي مستجيراً بأمانك، وأمسى ذلي مستجيراً بعزك، وأمسى وجهي الفاني مستجيراً بوجهك

الباقي، يا خير من سئل ويا أجود من أعطى، جللني برحمتك وألبسني عافيتك، واصرف عني شر جميع خلقك» (٢).

وروى في الحسن عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام:

تركت الجهاد وخشونته ولزمت الحج ولينه؟ قال: وكان متكئاً فجلس، وقال:

«ويحك، أما بلغك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع!! إنه لما وقف بعرفة وهمت الشمس أن تغيب، قال رسول

الله صلى الله عليه وآله: قل للناس، فلينصتوا، فلما نصتوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن ربكم تطول عليكم في هذا اليوم، فغفر

لمحسنكم وشفع محسنكم في مسيئكم، فأفيضوا مغفوراً لكم» (٣).

## فكرة المؤتمر المكي

١-١ المصدر السابق، حديث ٩.

٢-٢ الكافي ٤: ٤٦٤، باب الوقوف بعرفة وحد عرفه، حديث ٥.

٣-٣ الكافي ٤: ٢٥٧، باب فضل الحج والعمرة وثوابها، حديث ٢٤.

ص: ٣٠

فكرة المؤتمر المكي

رضوان السيد

يصف محمد أسد، اليهودي النمساوي الذي اعتنق الإسلام، سعادته بالدخول إلى مكة؛ لأداء فريضة الحج عام ١٩٢٧، على النحو التالي: «.. وتتابع ركوبنا، هاجمين طائرين فوق السهل، ويخيّل إلى أننا طائرون مع الريح، منغمسون في سعادة لا تعرف نهايةً ولا حدوداً... وتزعق الريح في اذني بنشيد النصر: إنك لن تكون غريباً بعد الآن، أبداً، أبداً! اخواناً لي عن اليمين، واخواناً لي عن اليسار، كلهم لا أعرفهم، ولكن أحداً ليس غريباً عني؛ فنحن في فرحة سياقنا المضطربة جسم واحد يسعى إلى هدف واحد.

إن العالم أمامنا لفسيح، وفي قلوبنا تتألق شرارة من النار التي اشتعلت في قلوب صحابة النبي. إنهم يعرفون، إخواني عن يميني وإخواني عن يساري، إنهم قد قصروا عما كان ينتظر منهم، وأن (عزّمت) قلوبهم قد تضاءلت عبر القرون. لكن وعد الله الحق لم ينتزع منهم... ووسط الضوضاء التي تُصم الآذان من خطوات الالوف من الإبل المندفعة، والمئات من البيارق المصفقة، تنمو صرختهم إلى زمجرة منتشبة ظاهرة: الله أكبر! لبيك اللهم لبيك! (١).

ولاشك أن هذه المشاعر القوية تجاه أم القرى، والحج إلى بيتها الحرام؛ كانت

١-١ - محمد أسد: الطريق إلى مكة، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي. دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة/ بيروت ١٩٧٧: ٤٠٥-٤٠٤.

ص: ٣١

وراء اتجاه الكثيرين من دُعاة فكرة «المؤتمر»، من سياسيين ومثقفين، لعقده بمكة وأثناء موسم الحج. أما الفكرة نفسها فجديدة، بمعنى أنها لم تظهر قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وهي عندما ظهرت فإن قصدها إلى مكة كانت له أسبابه الدينية والعلمية؛ أما أهدافها أو مقاصدها فكانت سياسية وثقافية إذ اصحح التعبير.

يذهب (B. Bareilles) إلى أن الصدر الأعظم خليل باشا كان أول من دعا حوالى العام ١٨٦٥ إلى مؤتمر باسطنبول، تتوحد فيه قوى الإسلام من رعايا السلطان، ومن غير رعاياه، لمواجهة الضغوط الأجنبية. ولا نملك دليلاً على ما ذهب إليه من ارشيف الدولة، أو من أى مصدر آخر. لكننا نملك مخطوطة صغيرة بالفرنسية تعود للعام ١٨٧١ م (٢)، تحمل على فكرة «الاتحاد الإسلامى» أو «الوحدة الإسلامية»، بحجة أن ذلك إن كان فلن يكون فيصالح المسلمين، ولا فيصالح الدولة العثمانية. لن يكون فيصالح المسلمين؛ لأنه سيظهرهم بمظهر المتعصبين الذين يتوحدون على أساس دينى. ولن يكون فيصالح الدولة العثمانية؛ لأنه سيزيد من ضغوط الدول الأجنبية عليها، وبخاصة تلك التى تحتل دياراً من ديار المسلمين. وهكذا فإن دعوة الاتحاد عن طريق المؤتمر ليست فيصالح أحد. وعلى الرغم من أننا لا نعرف كاتب تلك الرسالة؛ فإن بدايات فكرة المؤتمر - كما يبدو - كانت لها علاقة وثيقة بالسلطنة العثمانية تأييداً أو معارضة. فقد كان الموقف آنذاك أن الدولة العلية خاضت عدّة حروب ضد روسيا والنمسا وبعض شعوب البلقان، وما استطاعت الانتصار فى أى منها.

وكانت تعمد بعد كل من تلك الحروب إلى عقد معاهدة هدنة أو صلح تفقد بمقتضاه أراضى أخرى، وتنحسر عن أقاليم. ومع الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت السلطنة قد فقدت أكثر أراضيه فى القوقاز وآسيا الوسطى والبلقان، وشمال افريقيا، كما كانت سيطرتها قد انحسرت عن اليونان ومصر والجزائر منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر (٣).

١-٢-٨٠٢-٧٠٢.P. ٧١٩١. B. Bareilles ,Les Turcs .Paris

٢-٣- عنوان الرسالة Unite Islamique، وقارن عنها:

noitazinagrO dna ygoledI ,malsI -naP fo scitilop ehTudnaL pocaJ

p .١٩٩٠. drofxO. ٢٢- ٢٣.

٣-٤- قارن: ٤٦٢-٤٤٣، ١٩٧٠ muz ,nehsinamsO ehTudnaL ;hcierR ni ;ecnadnopserroC D'neirO'slessurB ,II

rebarA redtatilayoL eid dnu malsI -la raD ,tafilaK ;tappetS ztirF ,١٩٦٨، ١٢٢-١٣٣، yekruT

nredoM fo ecnegremE ehT ,siweL dranreB

ص: ٣٢

وهكذا فإنه إذا كان خليل باشا قد دعا فعلاً إلى مؤتمر للتضامن مع السلطنة؛ فإن الدعوات الأخرى للمؤتمر - ومن جانب مسلمين لا يخضعون للدولة العثمانية - كان يمكن أن تكون تعبيراً عن اليأس من العثمانيين، والتفكير في بدائل لحماية وجود الإسلام ووحدة المسلمين في البلاد التي لم تصلها سيطرة العثمانيين أو انحسرت عنها مثل الهند واندونيسيا وآسيا الوسطى وغيرها.

والواقع أن ثمانينيات القرن التاسع عشر ظهر فيها كلا التوجهين. التوجه الذي يسعى للاتحاد الإسلامي أو الجامعة الإسلامية عن طريق المؤتمر الذي يتخذ شكل التضامن مع الدولة العثمانية تقويةً لجانبها في مواجهة القوى الأجنبية. والتوجه الآخر الذي لا يُصارع الدولة العلية بالعداء، لكنه يسعى عن طريق المؤتمر والاتحاد للقيام بما لا تستطيع الدولة العثمانية القيام به أو لم تعد تستطيع ذلك. وفي قلب التوجه الثاني بالذات ظهرت فكرة المؤتمر بمكة.

تحضر الدعوة لمؤتمر بمكة أثناء موسم الحج للمرة الأولى في رسالة بالتركية موجّهة للسلطان عبد الحميد الثاني، عام ١٨٨١ م عنوانها: «رسالة في الاتحاد في سبيل سعادة الملة الإسلامية» (١)، وكاتبها اسمه سليمان الحسبي (١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م). يشرح المؤلف دواعي الوحدة وبواعثها وفوائدها، ومساوي التفرق، ويدعو للسلطان عبد الحميد. لكنه يقترح فجأةً من أجل جعل الاتحاد ممكناً مؤتمراً سنوياً أثناء موسم الحج، وحثته في ذلك أن الحج يجمع سائر كبراء المسلمين ممن هم تحت السيطرة العثمانية، أو خارجها. كما أن مكة بعيدة ومحايدة وتغيب عنها مراقبة الأجانب ودسائسهم.

رسالة الحسبي هذه ليست معادية قطعاً للدولة العثمانية ولا للسلطان عبد الحميد، لكنها تتصوّر مركزاً للاجتماع والتفكير والتقدير غير اسطنبول. ونحن نعلم اليوم لماذا لم يتجاوب معها السلطان عبد الحميد. إذ كان وقتها قد حوّل اسطنبول، عاصمة السلطنة والخلافة معاً، إلى مركز للدعاية لنفسه،

ص: ٣٣

وللاجتماع حول شخصه ودولته، وباعتباره السلطان وأمير المؤمنين معاً.

وكان أكبر همّه دعوة المسلمين من خارج أقطار السلطنة للتضامن مع الدولة العلية، والولاء لسلطان أمير المؤمنين. وقد استخدم في ذلك أمثال الشيخ أبي الهدى الصيادي، ومحمد ظافر المدني، ونامق كمال، إضافةً لشخصيات أخرى من خارج إطار الدولة العثمانية، ليكونوا دُعاةً له في الداخل والخارج (١).

ومن الواضح أنه بالنسبة للسلطان العثماني فإنّ الاتحاد أو الجامعة، إنّما يكونان حول السلطان وحول الدولة؛ ولذلك فلا حاجة للمؤتمر حتى لو كان تُصره السلطان أو في عاصمة الدولة.

ويبدو ذلك، أي عدم ربط الاتحاد- كما كانوا يقولون- بالمؤتمر بل بالسلطان/ الخليفة في تحمس الهنود المسلمين الشديد للسلطان وللدولة العثمانية. فقد سقطت دولة المغول في الهند نهائياً بعد فشل تمرّد العام ١٨٥٧، وعانى المسلمون الأمرين من الحكم البريطاني. ولذلك فقد كان كثيرون من مثقفيهم يتطلعون إلى السلطان العثماني ودولته باعتبارهما مصدر أمل، ورمزاً لوحدة أمة الإسلام. وقد تجلّت مشكلة المعتدلين منهم في أنّ أواخر القرن التاسع عشر شهدت تراجعاً في علاقات بريطانيا بالعثمانيين، وتزايد التقارب العثماني مع ألمانيا، والمعروف أنّ بريطانيا كانت تسيطر على مصر أيضاً وهي من ممتلكات السلطان في الأصل.

ولذلك فإنّ الهنود (والمصريين) في الوقت الذي كانوا يتضامنون فيه مع الدولة العلية في حربها مع الروس؛ كانوا يرجون منها أن تضغط لصالحهم لدى الانجليز وعليهم. وقد أفضت جهودهم إلى إنشاء «جمعية خدام الكعبة» لمتابعة النشاطات، وتنظيم المؤتمرات، والتضامن مع الخليفة، وتحقيق الاتحاد الإسلامي في ظلّ الدولة العلية (٢). وقد أدّى بالقائمين على الجمعية جهادهم من أجل العثمانيين إلى السجن عندما وقعت الحرب الأولى، ووقع البريطانيون والعثمانيون في أحلافٍ متناقضة. فلمّا تهددت الخلافة العثمانية ثم زالت أطلق الهنود على حركتهم

١- ٦- بطرس أبو منة: السلطان عبد الحميد الثاني والشيخ أبو الهدى الصيادي؛ بمجلة الاجتهاد، العدد الخامس، السنة الثانية، خريف العام ١٩٨٩: ٥٩-٨٨. وقارن:.

٢- ٣٦٦- ٣٤٦. eht ta. hsitirB ngieroF ,eciffO ,ni /١٩١٩ J ,uadnaL ,foscitiloP ,maliI -naP .PO .tic

maliI -naP :fo noitpecreP

٢- ٧- قارن:.... ١٥٦- ١٣٣. dmahA. cimaliI ,msinredoM ,aidnI dna natsikaP -١٨٥٧ ١٩٦٤, ١٩٦٧, PP

ص: ٣٤

اسم: حركة الخلافة، وقد ظلوا يناضلون زهاء السنوات العشر من أجل إعادة الخلافة باعتبارها مناط المشروعية (١). ولهذا فإن فكرة المؤتمر التي بدا أنهم يتجهون إليها في البداية، - وإن مع ولاء للعثمانيين - ما لبثت أن ضعفت حيث انحصر جهدهم في إعادة الخلافة لاستعادة الرمز والمشروعية؛ ولم يلجأوا لإعادة النظر إلا في وقت متأخر وبعد أن تحطمت آمالهم في النصف الثاني من العشرينيات. ففي العام ١٩٢٤ م أرسلت حركة الخلافة وفداً إلى مكة للنظر في أوضاع الحرمين، وإخبار الحجازيين بمقاصد الحركة، وما استطاع الوفد الوصول إلا إلى جدة بسبب الصراع على مكة وقتها؛ لذلك اكتفى بإرسال برقية إلى حكومة الحجاز جاء فيها: أن من أهداف حركة الخلافة إقامة دولة مستقلة استقلالاً تاماً بالحجاز لرعاية الحرمين، وصونهما عن التدخل الأجنبي. وهكذا فإن الحركة تدعو إلى مؤتمر بمكة يشارك فيه مندوبون من الدول الإسلامية المستقلة، ومن الحجاز؛ لإنشاء تلك الحكومة (٢).

عادت الحركات الإسلامية بالهند وآسيا الوسطى وجاوه وسومطرة إذن، إلى فكرة المؤتمر بعد زوال الخلافة العثمانية. فقد كانت تلك الشعوب ونخبها تعاني من الوقوع في إفسار الاستعمار، وكان الكيان العثماني يمثل لها أملاً بالتحزر، ورمزاً لوحدة المسلمين وسلطتهم وقوتهم وتاريخهم العريق.

وإذا كان هؤلاء واهمين في قدرة الدولة العلية على مساعدتهم عسكرياً؛ فإنهم لم يكونوا كذلك في إحساسهم باهتمام سلطات اسطنبول بقضاياهم ومشكلاتهم، ومحاولاتها لمساعدتهم دبلوماسياً واجتماعياً. فقد دأب السلطان عبد الحميد على استقبال رسلهم ووفودهم، وإعادة إسكان لاجئهم، كما دأب على إيفاد مبعوثين إليهم لاستطلاع أحوالهم، والسعي لدى ممثلي الدول الكبرى في اسطنبول من أجل تلبية مطالبهم. وفي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر كانت اسطنبول تعج بأصحاب المشاريع والحركات من النخب الدينية والثقافية

١-٨ - قارن: ... ١٥٩٨ - ١٢٦ .p. ٣٩ - ٤٢ ;rejiemeiN ;tafilaK ehT aidnI ni tnemevoM ١٩١٩ - ١٩٢٤ , ١٩٧٢ , PP

,١٩٨٢ ,tnemevoM tafilahK ehT ,tluaniM

٢-٩ .- ١١٢ .p. cit. OP. The Politics of Pan- Islam;

ص: ٣٥

الإسلامية، من رعايا السلطنة، والدول الإسلامية الأخرى، والشعوب الإسلامية الواقعة تحت سيطرة الاستعمار (١).

ولذلك ليس من السهل تصديق دعوى ١٩٢٢ - ١٨٤٠ (W. S. Blunt)، النبيل البريطاني الذي عُرف بدعوه للثورة العرابية؛ أن جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧) (ومحمد عبده تلميذه) كان يتفهّم مشروعه (أي مشروع بلنت) لإقامة خلافة عربية بديلة بمكّة انتقاماً من الأتراك، ومن استبداد عبد الحميد، وخدمته للمصالح البريطانية، فبلنت نفسه يذكر أنه عندما استنصح الأفغاني عام ١٨٨٣ عشية زيارته للهند حول أسلوب تعامله مع المسلمين هناك، نصحه الأخير بأن لا يتحدث معهم ضدّ السلطان أو الدولة العثمانية؛ لأنّ سائر المسلمين كارهون للانجليز وشديد الولاء للدولة العلية وللسلطان (٢).

إنّ الذي أحسّبهُ أنّ Blunt لم يستطع متابعة أفكار جمال الدين الأفغاني حول الحلول الناجعة لمشكلات المسلمين مع الغرب الأوروبي. إذ كان جمال الدين وقتها قد توّصل إلى قناعه مؤداها أنّ ضعف المسلمين في مواجهة الاستعمار ليس مردّه ما يقوم به السلطان العثماني أو لا- يقوم به؛ بل لذلك عللّ وأسببّت تعلق بالأوضاع الحضارية للأمة الإسلامية أفضت إلى ضعفها وتشرذمها وتكالب الأعم المتقدّمه عليها، ولهذا فإنّ الأفغاني وعبده ما كانا يعارضان السلطان، بالدرجة الأولى، بل يريان أنّ ما يقوم به جيّد ومفيد، لكنّه غير كاف. وقد انهمكا بين العامين ١٨٨٣ و ١٨٨٧ في نشاطٍ محموم على عدّة مستويات لبلورة رؤيتهما حول «وحدة المسلمين» أو «الجماعة الإسلامية» من جهة، وحول أسباب النهوض والقوّة من جهة ثانية.

كان هناك من جهةٍ جهدهما لتصحيح المفاهيم والصّور حول الإسلام والعلم، والإسلام والتقدّم، والإسلام والسلطة الدينية (في مواجهة رينان وهانوتو، ونظريّة دارون) (٣).

وكان هناك من جهةٍ ثانية دعوة المسلمين لتفهّم أبعاد الرؤية الشاملة

P .tic .po ;malsI -nap fo scitiloP ehT ,uadnaL ;١٠ -٤ .PP .١٩٨٦ .ssergnoC milsuM .٨ -١٣١..-١٠  
eht fo tnevda ehT .delbmessa malsI ,remaK nitraM ;١١٦ -١٠٣ ,١٩٨٢ ٤ -١٠ /٢٢ ,٥ N ,malsI sed  
tleW eiD nI " .trednuhrhaJ .١٩ mi malsI sed gnureisitiloP eiD " ,ezluhcS .R

ولوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة وتعليق الأمير شكيب أرسلان، الطبعة الأولى بمطبعة المنار ١٩٣٣ م.

٢-١١- كان ويلفريد وسكاون بلنت يرى أنّ الدولة العثمانية أهمّ أسباب ضعف المسلمين، وأنّ بداية التصحيح تكون بإعادة الخلافة للعرب. وقد أتى إلى جدّة عام ١٨٨١ م محاولاً النفاذ إلى نجد من أجل كسب الوهابيين فكرته لما كان يعتقد من عداء بينهم وبين العثمانيين. قارن عنه وعن آرائه هذه، التي عبّر عنها في مذكّراته، وفي كتابه: مستقبل الإسلام ١٨٨٢ م:.

tic .PO ,delbmessa malsI ,remaK .M ;١٠٣ -٨٧ .PP .١٩٨٠ .tsaE elddiM eht dna .١٠ -٢٥ ..  
eporuEni , "tsaE eht fo laviveR eht dna dnulB newacS dirfliw ,inaruoH .A

٣-١٢- قارن بمحمد عماره: الإسلام والعروبة والعلمانية، بيروت ١٩٨١: ١٤-٩؛ ومحمد عماره: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني. مع دراسة عن الأفغاني، بيروت ١٩٦٨: ٦٦-٣٨. وعبد العاطي محمد أحمد: الفكر السياسي للإمام محمد عبده، القاهرة ١٩٨٧: ٣٠١-٢٨٩ ..

p .tic .po ;uadnaL .١٦-٢٦.



ص: ٣٦

التي يعتقنها من طريق إصدار مجلته «العروة الوثقى» التي انصبت مقالاتها على أربعة أمور: الدعوة للوحدة، والدعوة للتقدم، وقراءة أسباب الخلل والتخلف، وإيضاح خلفيات الأحداث الجارية.

وفي سياق المعالجة لأسباب الضعف، والحث على النهوض، عادت فكرة المؤتمر، وفي مكة بالذات، وأثناء موسم الحج، إلى الظهور، فقد جاء في مقدمته العدد الأول من «العروة الوثقى» (١): «.. وبما أن مكة المكرمة مبعث الدين ومناطق اليقين، وفيها موسم الحج العام في كل عام يجتمع إليه الشرقي والغربي، ويتآخى في مواقعها الطاهرة الجليل والحقير والغني والفقير، كانت أفضل مدينة تتوارد إليها أفكارهم، ثم تنبث إلى سائر الجهات، والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل..».

وفي مقالة عنوانها «الوحدة والسيادة» تقول «العروة الوثقى» (٢):

«إن الميل للوحدة والتطلع للسيادة وصدق الرغبة في حفظ حوزة الإسلام، كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين قاطبة. ولكن دهاهم بعض ما أشرنا إليه في أعداد ماضية فألهاهم عما يوحى به الدين في قلوبهم، وأذهلهم أزماناً عن سماع صوت الحق، فسهبوا وماغوا، وزلوا وما ضلوا، فمثلهم مثل جباب المجاهيل من الأرض في الليالي المظلمة، كل يطلب عوناً وهو معه ولكن لا يهتدى إليه. وأرى أن العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم لإيصال أصوات بعض المسلمين إلى مسامع بعض؛ لأمكنهم أن يجمعوا بين أهوائهم في أقرب وقت. وليس ذلك بعسير عليهم بعدما اختص الله من بقاع الأرض بيته الحرام بالاحترام، وفرض على كل مسلم أن يحجبه ما استطاع.

وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع رجال المسلمين وعشائهم وأجناسهم فما هي إلا كلمة تُقال بينهم من ذي مكانة في نفوسهم تهتز لها أرجاء الأرض، وتضطرب لها سواكن القلوب.

هذا ما أعدتهم له العقائد الدينية، فإن أضفت إليه ما أذاب قلوبهم من تعدييات الأجانب عليهم، وما ضاقت به

١-١٣- جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، العروة الوثقى، تقديم الشيخ مصطفى عبد الرازق، دار الكتاب العربى. بيروت. الطبعة الثالثة، ١٩٨٣: ٤٦.

٢-١٤- العروة الوثقى، مصدر سابق: ١١٩.

ص: ٣٧

صدورهم من غارات الغرباء على بلادهم حتّى بلغت أرواحهم التراقي؛ ذهبت إلى أن الاستعداد بلغ من نفوس المسلمين حدّاً يوشك أن يكون فعلاً...».

كانت دعوة الشيخين الأفغانى وعبدّه دعوةً للنهوض والتوحد، وقد انطلقت من باريس عبر «العروة الوثقى»، لكنّها كانت ترى أن المآل ينبغي أن يكون في مكّة ومنها، لأنّها مهوى أفئدة المسلمين. والمعروف أن «العروة الوثقى» لم تصدر غير تسعة أشهر من عام ١٨٨٤ م. بعدها عاد محمّد عبده إلى بيروت، ثمّ سُمح له بالعودة إلى وطنه عام ١٨٨٨ م.

أمّا جمال الدين فتردد بين باريس ولندن وروسيا وإيران إلى أن قبل عام ١٨٩٢ م دعوة السلطان عبد الحميد للإقامة والتحرّك من اسطنبول. وقد بقى هناك حتّى وفاته عام ١٨٩٧ م. ولا نعلم شيئاً محققاً عن مآلات فكرة المؤتمر لديه؛ فالمعروف أن السلطان ما كان يحدّث انعقاد مؤتمرٍ للبحث في شؤون المسلمين لا في مكّة ولا في اسطنبول (١). بيد أن هناك من قال: إن السلطان كلّف الأفغانى بالعمل على توحيد الكلمة بين الشيعة والسنة، وأنّه حاول الوصول لذلك عن طريق مؤتمرٍ لفقهاء الطرفين (٢).

أمّا المخزومي الذي كان يحضر مجالس السيّد جمال الدين في اسطنبول، ويسجّل خاطراته، فينقل عنه دعوته للجامعة الإسلامية، لكنّ دونما مرور بفكرة المؤتمر من أجل ذلك (٣).

على أن فكرة مؤتمر الحجّ بمكّة، بقيت حيّة فيما يبدو، لدى محمّد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥ م) تلميذ جمال الدين. ففي العام ١٨٩٧ م عُيّن محمّد عبده مفتياً لمصر. وفي السنة اللاحقة أزر المفتى الجديد السيّد محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥ م)، الشابّ المتحمّس الآتى إليه من طرابلس الشام، دعمه وآزره في تأسيس مجلة المنار، التي سرعان ما أصبحت أهمّ المجلّات الصادرة في العالم الإسلامي.

وفي مجلد المجلة الأوّل دعا السيّد محمّد رشيد رضا لتأسيس جمعية إسلامية بمكّة لها فروع في سائر أنحاء

١-١٥... ٢٢-٢٠. "II dimaH ldbAdna. tic. po. ٤٦-٤٧; .M. remarkI ,delbmessAamlS ;tic. po

.N. eiddeK " ,ehT naP -cemalsI :leippA inahgfA

٢-١٦. -٥٢-٢٢. cit. M. Kramer; op.

٣-١٧- محمد باشا المخزومي. خاطرات جمال الدين، بيروت ١٩٤٤: ٤٢-٣٨. وكان جمال الدين في سنواته الأخيرة كثير الحديث عن تحالف ممكن وضروري بين العثمانيين والإيرانيين والأفغان.

ص: ٣٨

العالم الإسلامي.

ورأى السيد رشيد أنّ تلك الفروع تُرسل كلّ عام مندوبين عنها إلى مركز المؤتمر أثناء موسم الحج، فيحضرّون الاجتماع السنوي، ثم يعودون بالمقرّرات إلى بنى قومهم، ويطمئن رضا أمير المؤمنين باسطنبول إلى نواياه ومقاصده، فيخبره أنّه اختار مكّة بدلاً من اسطنبول، لبعدها عن تدخّلات الأجانب، واستخباراتهم، ولإمكان اجتماع المسلمين بها بدون حرج سواءً أكانوا مواطنين عثمانيين أم لا (١).

ويتابع رضا (وربما محمّد عبده) أنّه آن الأوان لتصحيح أفهام المسلمين للحجّ، وذلك أنّه لا ينحصر بأداء الشعائر بدقّة وأمانة والتزام، بل هو أيضاً فرصةً لتشاور المسلمين في قضاياهم ومشكلاتهم، والتعرّف العميق على أمتهم، والإحساس بالمسؤولية عن الشأن الإسلامي العامّ؛ أفليس الحجّ عرفه؟ وأليس معنى عرفه التعارف؟! أمّا الثمرات المباشرة لهذا التعارف فينبغي أن تتمثّل في إصدار مجلة إسلامية تكافح البدع والتقاليد البالية، وتدعو للنهوض والتجدّد والتوحيد.

وإصدار كتاب يتضمّن العقائد الإسلامية الرئيسيّة ويوافق عليه السلطان (٢).

ويبدو من مقالة لرشيد رضا في المجلّد الثاني من المنار عام ١٨٩٩ م أنّ دعوته ودعوة عبده لم تلقَ ترحيباً من أنصار العثمانيين بالقاهرة (٣). وربما كان من بين هؤلاء علماء الأزهر، ودعاة الجامعة الإسلامية العثمانية من الوطنيين المصريين من وراء مصطفى كامل. فقد اقترحوا - كما يقرّر رضا - اسطنبول مقرّاً للجمعية، ومؤتمرها السنوي.

ويرد رضا بالعودة لشرح أسباب اختياره مكّة. ثم يقول: إنّ السلطان نفسه لا يريد المؤتمر باسطنبول، بدليل أنّ الصحف العثمانية كلّها لم تذكر شيئاً عن ذلك.

إنّ اطروحة المنار هذه، والتي تعتبر السلطان العثماني عضواً رئيسياً في المؤتمر المكي لا تقصد إلى مُعادته، بل هدفها القول: إنّ المشكلات التي يعاني منها المسلمون أوسع وأعمق من أن تستطيع السلطنة حلّها. ومكّة توفّر شرطين

١- ١٨- مجلة المنار، ١/ ٧٦٥: ٦٦- ٣٩ ١٧ ديسمبر، ١٨٩٨ ويذكر رشيد رضا في كتابه: تاريخ الاستاذ الإمام محمد عبده ١/ ٢٨٧-

٢٨٣ بعد ثلاثين عاماً على ذلك أنّ الشيخ عبده كان يملك مشروعاً تفصيلياً للمؤتمر المكي وفروعه في العالم الإسلامي.

٢- ١٩- مجلة المنار، ٢/ ٢١: ٣٢٥ ٥ أغسطس، ١٨٩٩.

٣- ٢٠- مجلة المنار، ٢/ ١٨٩٩: ٣٤٥- ٣٣٧؛ وبخاصّة ص ٣٤٢. وقارن: مقالات الشيخ رشيد رضا السياسية، إعداد وتحقيق يوسف

أبيش، ويوسف الخوري، دار ابن عربي ١٩٩٤: ١: ١٠٨- ١٠٠؛ الجامعة الإسلامية وآراء الجرائد فيها.

ص: ٣٩

لنجاح: إمكان اجتماع أكبر عدد ممكن من نُحَب المسلمين فيها، وإمكان الحديث والتشاور بحرية لا يتيحها جوّ العاصمة العثمانية. وما تخلى الرجلان عن المشروع رغم الاعتراضات والتحفّظات، بدليل مساعدتهما لعبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٥-١٩٠٢ م) فى نشر كتابه: أمّ القرى (١٩٠٠ م) فى طبعه سرّيه عليها تعليقات وحواش وتوسيعات لرضا، ثمّ المصير إلى نشر الكتاب نفسه على حلقات فى مجلّة المنار بدءاً بمطلع العام ١٩٠٢ م.

كان الكواكبي الذى وصل إلى القاهرة عام ١٨٩٩ م قد بدأ بنشر كتابه: طبائع الاستبداد بجريده المؤيد للشيخ على يوسف (١). وهو كتاب واضح العداء للسلطان عبد الحميد وللدولة العثمانية. أمّا فى أمّ القرى فيتحدّث الكواكبي (يسمى نفسه السيد الفراتي) عن مساعيه لعقد مؤتمر بمكّة للبحث فى أسباب «الخلل والضعف» الذى حلّ ب «كافة المسلمين» مطلع القرن الرابع عشر الهجرى. خرج الفراتي من حلب مطلع العام ١٣١٦ هـ ( / ١٨٩٨ م)، وطاف بالبلاد العربية داعياً سراتها للقاء بمكّة أثناء موسم الحج من العام نفسه. وقد التحق به سائرهم كما يقول، باستثناء الأديب البيروتى (هل هو عبد القادر القبانى صاحب ثمرات الفنون؟) الذى اعتذر. وفى مكّة ضمّ إلى العرب القادمين ممثلين لسائر الجهات الإسلامية، وعقد هؤلاء جميعاً اثنى عشر اجتماعاً سرّياً فى ناحية منعزلة من المدينة، تدارسوا فيها شؤون المسلمين، واقترحوا حلولاً وعلاجات لها، وأنشأوا سكرتيريه تنظيمية للمؤتمر لمتابعة تنفيذ المقررات (جمعية تعليم الموحديين)، ثمّ انفصوا!

ذكر الكواكبي فى المؤتمر المفترض «مجمّل أسباب الفتور» (يقصد الانحطاط)، فى ستّة وثمانين بنداً مقسّمة على ثلاثة أنواع: الأسباب الدينية، والأسباب السياسية، والأسباب الأخلاقية - معتبراً أنّ هناك حاجة لإصلاح دينى جذرى، وإصلاح سياسى قوى. وعمدته فى عملية الإصلاح: فصل الخلافة عن السلطنة، وانتخاب خليفه قرشى مقره مكّة لمدّة

ص: ٤٠

ثلاث سنوات لا تتجاوز سلطاته السياسية منطقة الحجاز. أما بقية البلدان الإسلامية فتستقل بأمرها السياسي والإداري وترعى أمورها الكبرى من خلال الجامعة الإسلامية ومؤتمرها العام الذي يترأسه الخليفة بمكة (١).

وعلى الرغم من راديكالية الحل السياسي الذي يطرحه، فلا شك أن مقترحات الكواكبي للاجتهاد والتجديد الديني تظل الأكثر لفتاً للانتباه. وهناك شبهة شديدة بين تلك الآراء وما كانت عبّرت عنه المنار، بل و«العروة الوثقى» من قبل. لكن إذا كانت رسالة «أم القرى» هي التعبير الأوضح عن أفكار الإصلاح الإسلامي؛ فإنها من ناحية ثانية أفصحت عن الوعي الجديد لُنخبٍ عربيّة ما عادت تعتبر الوجود العثماني قادراً على حلّ مشكلات شعوب الامبراطورية، أو تحقيق طموحاتها.

أما البديل الرمزي للسلطان ولاسطنبول لدى النخب أو بعض أفرادها فالقائد العربي الذي ينطلق من مكة أو يعود إليها فاتحاً كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليصبح موسم الحج في كلّ عام البيئه التي يجرى فيها التشاور، وتحديد المشكلات، واتخاذ القرارات التي تُهمُّ سائر المسلمين.

أسهمت كتابات الكواكبي في «طبائع الاستبداد» ومن خلال فكرة المؤتمر في «أم القرى» في دفع رهان الإصلاحيين المسلمين على الشورى والدستور إلى الأمام.

وبذلك لم تعدّ الصورة عن الإسلام التقليدي الداعم للاستبداد الحميدي صحيحة. بيد أن وفاة محمّد عبده عام ١٩٠٥ م، أفقدت الإصلاحيين قيادتهم العامّة المُطلّعة على سائر أجزاء ديار الإسلام؛ بحيث بدأ دُعاة الإصلاح والمعارضة لاستبداد السلطنة جماعةً شاميةً سلفية ذات عصبية عربية محلية تذكر بما كان يدعو إليه بلنت في ثمانينيات القرن التاسع عشر.

وقد ظهر ذلك واضحاً في ردّة فعل رشيد رضا على اقتراح صحافي ومؤلف تترى اسمه غاسبرنسكي (١٨٥١-١٩١٤) Gasprinskii (م) عقد «مؤتمر إسلامي عام» بالقاهرة، من

ص: ٤١

أجل مناقشة أسباب التخلف الاقتصادي لدى المسلمين عام ١٩٠٧ م. فقد أزعج رضا إسراع الشيخ على يوسف ومصطفى كامل (الموالين للخديوي) والشيخ محمد توفيق البكري (شيخ مشايخ الطرق الصوفية) للاستيلاء على اللجنة التحضيرية للمؤتمر؛ ولذلك بادر بعد تردد إلى معارضته بحجة أن الفكرة في الأصل للأفغانى، ثم لمحمد عبده وتيار المنار، وقد رأى هؤلاء جميعاً أن يكون المؤتمر بمكة (١).

وهكذا فإن الصراع على مكان المؤتمر أصبح يخفى في الحقيقة صراعاً على السلطة داخل العالم الإسلامى بين السلطنة (اسطنبول)، ومصر (الخديوي عباس الثانى)، والتحالف الإصلاحى / الشامى. وقد تراجع هذا الصراع عن واجهة الأحداث بقيام الحركة الدستورية فى إيران (١٩٠٥-١٩٠٦ م) ثم فى الدولة العثمانية (١٩٠٨ م)؛ إذ ما عاد الإصلاحيون يرون ضرورةً للاحتجاج السياسى (١٩٠٨-١٩١٢ م) ما دام العمل الداخلى ممكناً. على أن العمل الإصلاحى المرتبط بفكرة المؤتمر بمكة ما عاد له طابعه الإسلامى العام حتى فى العهد الدستورى العثمانى؛ بدليل حدوث مؤتمر باريس (١٩١٣ م)، الذى لم يشهده من الإصلاحيين غير الشوام، والذى كانت مطالبه شامية وعربية تتراوح بين اللامركزية، وبين الدعوة للانفصال عن السلطنة بحجة السياسة الطورانية والتتريكىة للدستوريين الأتراك (٢).

أما دعاة العالمية الإسلامية من بين الإصلاحيين غير الشوام؛ فإن مقترحاتهم للمؤتمر عادت للارتباط بالدولة العلية بدون تأكيد على الخلافة التى تراجعت ايدولوجيتها بتنحية السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٩٠٩ م.

فالتضامن الإسلامى كما يرى الإيراني ميرزا على آغا (ت ١٩١٨ م) يتطلب مؤتمراً يمكن أن ينعقد بمكة أو باسطنبول، والتترى محمد مراد (١٨٥٣-١٩١٢ م) يرى عقد المؤتمر باسطنبول برئاسة شيخ الإسلام وليس الخليفة. واللجنة المركزية لجمعية

١-٢٣- مجلة المنار مايو ١٩٠٨ ١١ ٣: ١٨٤-١٨١. وانظر محمد توفيق البكري: المستقبل للإسلام، القاهرة، بدون تاريخ حوالى ١٩٠٩: ١١٩-١١٦.

٢-٢٤- ما حضره السيد رشيد رضا لكن حضره أصدقاؤه: عبد الحميد الزهراوى، ومحب الدين الخطيب وأحمد طبارة؛ قارن: وثائق المؤتمر العربى الأول ١٩١٣: كتاب المؤتمر والمراسلات الدبلوماسية الفرنسية المتعلقة به.

تقديم ودراسة وجيه كوثرانى. دار الحداثة بيروت ١٩٨٠. وكان الأمير شكيب أرسلان ضد المؤتمر، قارن بشكيب أرسلان؛ سيرة ذاتية، بيروت، بدون تاريخ: ١٠٩.

ص: ٤٢

الاتحاد والترافى (المسيطره باسطنبول) تقترح عقد مؤتمر سنوى باسطنبول لعلماء المسلمين من داخل الدوله وخارجها للبحث فى الشؤون التى تهتم المسلمين عامه.

والشيخ عبد العزيز جاويش (١٨٧٢-١٩٢٩ م) القريب من الحزب الوطنى المصرى، والمرتبط بقوة بفكرة بقاء الدوله العثمانية، يقترح عام ١٩١٣ م (بالتضامن مع شكيب أرسلان فى مواجهه الذين حضروا بمؤتمر باريس) مؤتمراً باسطنبول لدعم السلطنه وضع له برنامجاً من اثنتى عشرة نقطه (١).

ظل السيد محمد رشيد رضا حتى العام ١٩١٢ م مصرّاً على أنّ المنار هى وارثه تقليد الإصلاح المرتبط بفكرة المؤتمر بمكة. لكنّ خيبه أمله بالاتحاديين بعد زيارته لاسطنبول عام ١٩١٠ م، وتعاطف الإصلاحيين مع مؤتمر باريس أبعد المشاركين (الذين أعدم جمال باشا بعضهم بعاليه ودمشق عام ١٩١٦ م بحجّه تأمرهم مع فرنسا، وتهديدهم لأمن الدوله أثناء الحرب) عن التيار الإسلامى العام الداعم للدوله العثمانية، والداعى لإصلاحها فى الوقت نفسه.

فى حين تركزت اهتمامات السيد رشيد عشيّه الحرب الاولى وأثناءها (١٩١٣-١٩١٨ م) على علاقات العرب بالترك، ومصائر العرب؛ فإنّ الإصلاحيين الآخرين ظلّوا يعملون على دعم الدوله العلية مادياً ومعنوياً وسياسياً فى مصر والشام واسطنبول والأقطار الأوروبية. كما ظلّوا يقدّمون الأفكار والمقترحات ذات الأبعاد الحضارية والاقتصادية التى يمكن أن تبحثها مؤتمرات داخل الدوله أو خارجها (٢).

وهكذا فإنّ الحرب التى مزّقت الدوله العثمانية، مزّقت أيضاً دعاء العالميه الإسلاميه إلى مستمتين فى الدفاع عن الدوله والخلافه وبقائها، أو ساعين لإيجاد بديلٍ أو بدائلٍ عن الدوله المتساقطه. أمّا حركة الخلافه بالهند فهى نموذجٌ للفريق الأوّل. وأمّا مجموعه المنار فهى نموذجٌ للفريق الثانى. على أنّ الموقف انقلب انقلاباً راديكالياً بعد الحرب، بحيث ما عاد ممكناً الحديث عن عالميه

١- ٢٥- ٤٥- ٥٤. M. Kramer, Islam Assmled; op. cit.

٢- ٢٦- قارن بعلى يوسف: بيان ف يخطط المؤيد تجاه الدوله العلية العثمانية، القاهره ١٩١٦، وأوراق محمد فريد، نشر الهيئه العامه، ١٩٨٥، م ١، صفحات متفرقه.

.. ٢١١- ١٦٣, R. sreteP, ni dahiJ, yrotsiH nrdoM ,١٩٨٦, PP

ص: ٤٣

إسلامية يدور الخلاف حول وسائل تحقيقها بالمؤتمرات أو غيرها؛ لذلك علينا هنا أن نقف وقفه قصيرة لإعادة قراءة المشروع العالمي الإسلامي ومآلاته في العشرينيات، قبل العودة لاستعراض وقائع المؤتمرين بمكة عام ١٩٢٤ و ١٩٢٦ م، واللذين أظهرنا وصول المشروع إلى مأزق، وليس فكرة المؤتمر بحد ذاتها.

لماذا جرى التفكير بالمؤتمر وبمكة في الأصل؟

لقد سبق ذكر الرأي القائل: إن فكرة المؤتمر، وعقده بمكة، عنتا تمرداً على العثمانيين. وقد رجحت أن ذلك غير صحيح، فالشخصيتان اللتان اقترحتاه، إحداهما تركية، والآخرى جمال الدين الأفغاني. والاولى كانت في اسطنبول، والثانية انتهت في اسطنبول.

ولهذا فالمرجح أن مشروع النهضويين؛ أصحاب فكرة المؤتمر إنما كان يريد إصلاح امور المسلمين لتقوية جانبهم في مواجهة الاستعمار، ومتابعة الإصلاحات التي أوقفها عبد الحميد الثاني للغرض نفسه.

وقد ذكروا هذه الأسباب لعقد المؤتمر أو المؤتمرات، كما أوضحوا أسباب اختيارهم لمكة، والتي لا تخرج عن ثلاثة امور: ارتباط المسلمين ديتياً بها.

وبُعدها عن تأثيرات القوى الأجنبية.

وإمكان التقاء كبار المسلمين من داخل الدولة العثمانية وخارجها سنوياً في رحابها.

وحدثت تطورات في مطلع القرن العشرين وعقده الأول، عدلت من معالم المشروع العالمي الإسلامي لدى الإصلاحيين: يأس بعض الإصلاحيين مثل الأمير صباح الدين (١٨٧٧ - ١٩٤٨ م)، وعبد الرحمن الكواكبي من التأثير على عبد الحميد باتجاه الإصلاح بحيث رأى الأمير صباح الدين (ابن أخ عبد الحميد) ضرورة إسقاطه (١).

وبحيث رأى الكواكبي ضرورة فصل الخلافة عن السلطنة، وإقامة خليفة عربي بمكة له سلطات روحية، ورأى (من خلال الجمعية أو المؤتمر السنوي) في الشؤون العامة والكبرى.



ص: ٤٤

هكذا اتخذ المشروع الإصلاحى معالم سياسية محدّدة كان يمكن أن تتراجع بعودة الدستور والحريّات (١٩٠٨-١٩٠٩ م) لولا- وفاة محمّد عبده عام ١٩٠٥ م، وافتقار الإصلاحيين من تيار المنار إلى شخصيّة مشابهة جامعاً.

لذلك انقسم الإصلاحيون إلى قسمين:

العرب (من أهل الشام بالتحديد) الذين فكّروا وعملوا من أجل لا مركزية تعطيهم حكماً ذاتياً ضمن الدولة. وقد اجتمعوا عام ١٩١٣ م بباريس، وظهرت أصوات تدعو للانفصال التام. وقد ضعّف تيار اللامركزية خلال الحرب بسبب اتجاه كثيرٍ من دعاة (أهمهم محمّد فريد وشكيب أرسلان) لدعم الدولة بدون شروط لخوفهم على الوجود-.

والقسم الثانى- وأكثره من مسلمين غير عثمانيين- رأى ضرورة الانتظام ضمن الداعمين للدولة دونما اشتراط للأخطار الكبيرة التى تتهدّدها وتهدّد المسلمين بشكل عام.

وانتهت الحرب بهزيمة الدولة العثمانية وحليفها ألمانيا، واحتلال اسطنبول، وتمرد مصطفى كمال بالأناضول كما هو معروف. وتسارعت خطوات الاضمحلال بفصل السلطنة عن الخلافة عام ١٩١٢ م، وإلغاء الخلافة عام ١٩٢٤ م. وتعاضم الإحساس بالفجيعة بسبب الهزيمة من ناحية، وقيام كيانات صغيرة منفصلة فى ظل الاستعمار؛ لكن أيضاً وقبل ذلك بسبب فقد المشروعية بسقوط «دار الإسلام» أو نظامها (الخلافة) لصالح النظام الدولى المتبلور فى حقبة ما بين الحربين.

لقد كان من الطبيعى والحال هذه، أن تعود فكرة المؤتمر وبمكّة للبروز بقوة. فالشرعية العثمانية تتضاءل ثم تزول، وراديكاليو الإصلاحيين كانوا قد رأوا مع الكوكبى إمكان عقد مؤتمر اختيار خليفه بمكّة. لكنّ الفريقين الإصلاحيين كانا قد تغيّرا أثناء الحرب، وما عاد يمكن تحديدهما حتّى ضمن مقاييس ما قبل الحرب.

فالمسلمون خارج السلطنة العثمانية، وعلى رأسهم محمد على وشوكت على من «حركة الخلاف» الهندية ظلّوا

ص: ٤٥

يأملون ويعملون لإعادة الخلافة العثمانية؛ ولذلك ما وافقوا على تسمية الحسين بن علي في «مؤتمر الحج» بمكة عام ١٩٢٤ م، ولا على تسمية ملك مصر في «المؤتمر الإسلامي العام للخلافة» بمصر عام ١٩٢٤ م، لارتباط الشريف حسين بالبريطانيين، ووجود الجيش البريطاني بمصر (١). ورشيد رضا الذي انهمك في نقاشات حول الخلافة والسلطنة (١٩٢٢-١٩٢٤ م) وشروطها التاريخية والشرعية تردّد قليلاً (١٩١٦-١٩١٧ م) ثم رفض البيعة للشريف حسين للسبب نفسه الذي رفضه من أجل الهنود؛ ولم يحضر مؤتمر الحج عام ١٩٢٤ م (٢)، ثم استطاع هو وغيره التهرب من البيعة لملك مصر عام ١٩٢٤ م بحجة تأجيل ذلك لمؤتمر آخر يعقد في السنة التالية، وهو ما لم يحدث أبداً (٣).

كان المؤتمر الأخير الذي ذكرت فيه مسألة الخلافة هو المؤتمر العام الإسلامي الذي انعقد بمكة عام ١٩٢٤ م عقب مؤتمر القاهرة. وكان الملك عبد العزيز قد صرح المصريّين عندما دعوه لإرسال ممثل عنه إلى المؤتمر القاهري، أنه يؤيد مصر في ذلك، وهو ليس مهتماً شخصياً بمسألة الخلافة. لكنّه لا يقبل أن تبحث أمور الحرمين في المؤتمر المصري كما ردّد بعض المصريّين والهنود، إذ لا حاجة لذلك ما دام هو ملك نجد والحجاز، والحرمات آمنان ومحميان (٤).

أما الدعوة التي أرسلها الملك في ٢٨ أبريل ١٩٢٤ م لحضور مؤتمر العالم الإسلامي أثناء موسم الحج فقد نصّت على خدمة الحرمين وسكّانها وضمان مستقبلهما، وتأمين الراحة للحجاج والزائرين، وترقية أحوال الأراضي المقدّسة، والبحث في تعاون المسلمين من أجل الوصول إلى هذه الأهداف.

لقد كان يُريد طمأنة المسلمين إلى مجريات الأمور بالحرمين بعد سيطرته عليهما عام ١٩٢٤ م. وما كان يريد المطالبة بالخلافة، لكنّه لا يقبل أيضاً أن يتدخل الآخرون في شؤونهما باقتراح نظام معيّن لهما. وكان من دلائل ذلك المبايعة له ملكاً على نجد والحجاز قبل انعقاد المؤتمر.

١- ٢٨-٥٩-٣٩، ٥٨-٤٨، ١٨. cit. M. Kramer, Islam Assembled, op.

٢-٢٩- مقالات الشيخ رشيد رضا السياسية، مرجع سابق، ٤: ١٥١٢، انتحال السيد حسين أمير مكة للخلافة!

٣-٣٠- مقالات الشيخ رشيد رضا السياسية، مرجع سابق، ٤: ١٩٣٠-١٩١١.

٤-٣١- ٢٢١-٦٠١. M. Kramer, Islam Assembled, op. cit. وانظر عن المؤتمر: مقالات الشيخ رشيد رضا السياسية،

مرجع سابق، م ٤، ص ١٩٣٨-١٩٤٧.

ص: ٤٦

وقد لاحظ عالم هندي كان حاضراً بمكة أثناء البيعة أن ابن سعود حلّ مسألة المشروعية بأخذ البيعة لنفسه على الحكم بالكتاب والسنة، وبذلك تضاعل الهم الذي كان يحرك علماء آخرين للبحث عن خليفة من أجل استعادة المشروعية التاريخية (١). وعندما انعقد المؤتمر في النهاية كان الحاضرون من العلماء والرسميين أكثر وأكبر تمثيلاً من مؤتمر الشريف حسين والقاهرة. وقد حضر ممثلون لعدة دول إسلامية من ضمنها مصر- التي كان مليكها يسعى للخلافة- لاطمئنانهم إلى أن الملك عبد العزيز لا يريد منافستهم على ذلك اللقب الذي استنفد أغراضه منذ زمن.

وقد تحدت عدة موقدين فعلاً في الخلافة وشروطها، وفي طرائق العناية بالحرمين.

واقترح بعضهم ترشيح الملك عبد العزيز للمنصب أو بالأحرى للقب.

وعندما تطرق البحث إلى التضامن الإسلامي ومقتضياته حدث خلاف كبير. فالهنود والجاويون والسودانيون كانوا وما يزالون مهتمين بالتعاون الإسلامي العام، وبإيجاد هيئة للعناية بذلك.

أما العرب فقد صاروا أحزاباً كل فريق مرتبط بهذه السلطة أو تلك من الدول التي قامت بعد الحرب في الأقطار المختلفة.

وكان السيد رشيد رضا والأمير شكيب أرسلان، اللذان اختلفا حول نصره الدولة العثمانية في الحرب وبعدها، قد عادا للاتفاق حول دعم الملك عبد العزيز باعتباره الأكثر استقلالاً ومشروعياً في عالم الإسلام آنذاك. وقد أنشئت للمؤتمر سكرتيرية تعمل لعقده سنوياً، لكنّه لم يعد للانعقاد. والأمير شكيب أرسلان، الذي كان سكرتيراً عاماً للمؤتمر عام ١٩٢٩ م طاف بالحجاز ذلك العام، ونشر مذكراته الطريفة حوله تحت عنوان:

(الارتسامات اللطاف) (٢)، دون أن يذكر شيئاً عن مصائر مؤتمر العالم الإسلامي، لكن الملك عبد العزيز- الذي لم يحضر أكثر جلسات مؤتمر العام ١٩٢٦ م لكي يتيح للحاضرين أن يتناقشوا بحرية-

١- ٣٢- ٩٠١ Kramer; Op. cit.

٢- ٣٣- الارتسامات اللطاف في رحلة الحاج إلى أقدس مطاف. وهي الرحلة الحجازية لأمير البيان ونادرة الزمان الأمير شكيب أرسلان. نشر مجلة المنار عام ١٣٥٠ هـ.

ص: ٤٧

ظلّ يجتمع سنوياً بكبار العلماء والرسميين القادمين للحجّ؛ فيتحدّث إليهم في شؤون الحرمين، والتضامن الإسلامي. أظهرت المؤتمرات الثلاثة التي انعقدت بمكة (١٩٢٤ م) وبمصر (١٩٢٦ م) ثم بمكة (١٩٢٦ م) أنّ النظام الإسلامي الكلاسيكي للمشروعية قد انتهى، وأنّ الدول المنتصرة بالحرب تُبلور نظاماً إقليمياً متفرّجاً على نظام القوّة الدولي الذي ظهر بعد الحرب الاولى. كما أظهرت تلك المؤتمرات أنّ المسلمين لا يملكون بدائل أو حلولاً لازمة المشروعية، غير البدائل القطرية (الدولة الوطنية) التي يعترف بها النظام الدولي الجديد. وفي حين ظلّ الإسلاميون خلال العشرينيات يتقاذفون التهم والاقتراحات. عمد الشاب وقتها عبد الرزاق السنهوري في اطروحة للدكتوراه صدرت بباريس عام ١٩٢٧ م إلى اقتراح منظمة للامم الإسلامية، تحفظ معنى الوحدة، وتصون كبرى المصالح.

أمّا أمين الحسيني، مفتي القدس، فقد دعا عام ١٩٣١ م إلى مؤتمر إسلامي بالقدس للتضامن مع المقدسيين والفلسطينيين في مواجهة الصهاينة، حرص فيه على أن لا يذكر أحد شيئاً عن الخلافة أو استعادتها حتّى لا يُغضب الحكام العرب من جهة، والبريطانيين من جهة ثانية...

الهوامش:







ص: ٥١

الركن العراقي حجر إسماعيل

**الركن العراقي حجر إسماعيل**

الركن العراقي حجر إسماعيل

الشيخ المامقاني / إعداد: أبو الحسن المطلبي

نظراً لما في هذه المقالة من نقاط تحتاج إلى المزيد من الإيضاح والتحقيق، نأمل من الأساتذة المحققين خاصة في علم الهيئة موافاتنا بأرائهم حول ما دار فيها. إدارة المجلة

ترجمة المؤلف

الشيخ عبدالله بن الشيخ حسن بن الشيخ عبدالله بن محمد باقر بن علي أكبر بن رضا المامقاني النجفي، ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٩٠ هـ ونشأ فيها.

عالم، عامل، تقي، ورع، ثقة، أمين، صاحب التأليف والتصنيف، حجّ مكة المكرمة، وكان يكتب في طريقه وقد حمل معه مقداراً وافراً من كتب المصادر عن خلص أصحابه، وزار الرضا عليه السلام مع والده الحجة في أواخر أيام والده، واستقبله أهل طهران وخراسان، وصار له ولوالده أكمل الإكرام والتبجيل، واستقبله التجار والوجوه والمعارف وأرباب الدولة ولا سيما موجهو الترك.



ص: ٥٢

أساتيدہ

قرأ مقدمات العلوم على والده الحجة وعلى العالم الشيخ هاشم التبريزي الأرونقي المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ، وقرأ الفقه والأصول على الشيخ غلام حسين الدربندی التركي المتوفى ١٣٢١ هـ والشيخ حسن ميرزا المتوفى ١٣١٣ هـ، وحضر أبحاث العلماء المعاصرين وبحت والده الشيخ حسن.

مؤلفاته

ألف كثيراً من الكتب منها: منتهى مقاصد الأنام في نكت شرائع الإسلام، مناهج المتقين، دورة كاملة في الفقه، نهاية المقال في تكملة غاية الآمال في الخيارات، مرآة الكمال في الآداب والسنن، مقباس الهداية في علم الدراية، مخزن المعاني في ترجمة المامقاني، تنقيح المقال في أحوال الرجال وهو من خيرة ما كتب. مرآة الرشاد في الوصية إلى الأوجه والأولاد، الاثنا عشرية يتضمن اثنتي عشرة رسالة وهي رسالة وسيلة النجاة في أجوبة جملة من الاستفتاآت ورسالة مجمع الدرر في مسائل اثنتي عشرة ورسالة المسائل الأربعين العاملية ورسالة المسائل الخويئة ورسالة في المسافرة لمن عليه قضاء شهر رمضان مع ضيق الوقت، ورسالة عدم إیراث العقد والوطى لذات البعل شبهة حرمتها عليه أبداً، ورسالة المسألة الجيلانية تتضمن المحاكمة بين علمين من المعاصرين في فرع من فروع إیرث الزوجة من الأراضي، ورسالة كشف الريب والسوء عن إغناء كل غسل عن الوضوء، ورسالة في إقرار بعض الورثة بدين وإنكار الباقيين، ورسالة كشف الأستار في وجوب الغسل على الكفار ورسالة غاية المسؤول في انتصاف المهر بالموت قبل الدخول، ورسالة مخزن اللثالي في فروع العلم الاجمالي، مطارح الافهام في

ص: ٥٣

مباني الأحكام في الأصول على طرز حسن، هداية الأنام في أموال الامام عليه السلام، تحفة الصفوة في الجبوة، رسالة إزاحة الوسوسة عن تقبيل الأعتاب المقدسة طبعت مع مخزن اللثالي في النجف الأشرف، تحفة الخيرة في أحكام الحج والعمرة فارسية مبسوطه، السيف البتار في دفع شبهات الكفار، رسالة المسائل البصريه، رسالة وسيله التقى في حواشى العروة الوثقى، رسالة الجمع بين فاطميتين لم تطبع، رسالة في أحكام العزل عن الحرّة الدائمة لم تطبع، رسالة الدر المنضود فيصيغ الإيقاعات والعقود على وجه الاستدلال والبسط وفي حاشيته متن وفيصدر الصفحات أرجوزه طبعت في النجف الأشرف وطبعت الأرجوزه مستقلة أيضاً، وله ترجمه مرآت الكمال بالفارسيه سماها بسراج الشيعة في آداب الشريعة، ورسالة المسائل البغدادية في الفروع، سؤال وجواب فارسي طبع في تبريز، منهج الرشاد سؤال وجواب فارسي، رسالة مناسك الحج وسيط عربي وفارسي وله حواشٍ على الرسائل العربية والفارسيه كذخيرة الصالحين ومنتخب المسائل والجامع العباسي، وله كراريس في الفوائد الطبيه وكراريس في بعض علم الحروف والأعداد. وفاته

توفي في النجف بدء الصدر في اليوم التاسع عشر من شوال سنة ١٣٥١ هـ وارتج البلد لموته وشيع تشيعاً حافلاً بالعلماء والوجه، وغسل خارج النجف بالقناة على بحر النجف، وصلى عليه جماعة من العلماء ودفن في مقبرة والده الحجة الشهيرة، ولم يخلف إلا ولداً واحداً لم يبلغ الحلم وثمانى بنات من نساء شتى (١).





ص: ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقني

الحمد لله سبحانه على ما أنعم والصلاة والسلام على أشرف ولد آدم، محمد وآله مصابيح الظلم. وبعد فيقول أوجج الوري إلى عفو الله الباقي العبد الفاني عبدالله المامقاني عفا الله سبحانه عن جرائمه: إنه قد ورد إلى من إخوان الدين أسئلة شريفة وفروع لطيفة كانوا ملتسمين الإشارة إلى المستند فأجبتهم إلى ذلك وأحببت جمع صورها لينتفع بها....

راجياً للثواب يوم لا ينفع غير الصالح من العمل. وفقنا الله تعالى وإياك للعمل الصالح بمنه وكرمه.... (١).

السؤال: إنه قد بلغنا عنكم الإشكال في تعيين الركن العراقي للكعبة المقدسة، فالرجاء من عميم فضلكم كشف النقاب عن ذلك. الجواب: قد سنح (٢) لي ما غرى إلى من الإشكال في مكة المشرفة حيث شاهدت محل الجدى والشرق والغرب، فرأيت أن ما تعارفه الفقهاء رضوان الله تعالى عليهم في بابي القبلة والحج من غير تكبير حتى عزاه (٣) في «فوائد الشرائع» إلى تصريح الأصحاب. وفي «كشف اللثام» (٤) إلى قاطبتهم وبه طفحت (٥) عبائرهم حتى المتون كالشرائع (٦) و «القواعد» (٧) وغيرهما، بل و «المقنعة» (٨) وغيرها، بل

١-١ «الاثنا عشرية»: ١.

٢-٢ «سنح لي رأي في كذا أي عرّض وبابه خضع» «مختار الصحاح»: ٢٠٧.

٣-٣ «عزاه إلى أبيه: نسبه إليه...» «مختار الصحاح»: ٢٨٠.

٤-٤ «كشف اللثام» ٣: ١٤١.

٥-٥ «طفح الإناء امتلاً حتى يفيض وبابه خضع...» «مختار الصحاح»: ٢٥٧.

٦-٦ «شرائع الاسلام» ١: ٦٥-٦٦.

٧-٧ «قواعد الأحكام»: ١٥١.

٨-٨ «المقنعة»: ٩٦.

ص: ٥٧

شاع ذلك بين أهل مكّة، عوامهم وخواصهم، من تسمية الركن الذي فيه الحجّر الأسود بالركن العراقي غير مستقيم ولا واضح، ضرورة أنّ نسبة ركن إلى قوم لا تكون إلّا باستقبالهم له في الصلاة ونحوها.

ومن المعلوم وجداناً أنّ ركن الحجّر الأسود في قبال المشرق، وأنّ الذي يستقبل القبلة في العراق لا يضع المشرق بين كتفيه حتّى يكون ركن الحجر الأسود قبال وجهه، بل يضع الجدي خلف المنكب الأيمن.

ومن الوجداني أنّ الذي في قبال الجدي هو الركن المتصل بحجر إسماعيل من طرف الشمال المسمّى بالركن الشامي، فيلزم من ذلك اتّحاد الركن الشامي والعراقي لاشتراكهما في وضع الجدي وراءه؛ غايته أنّ العراقي يضعه خلف المنكب الأيمن والشامي خلف الكتف الأيسر، بل الشامي أقرب إلى ركن الحجّر الأسود من العراقي بقدر أربع وستين درجة سدس الدائرة تقريباً؛ لأنّ انحراف العراقي نحو المغرب إحدى وثلاثون درجة وانحراف الشامي نحو المشرق ثلاث وثلاثون درجة فيبينهما أربع وستون درجة، وذلك أزيد من سدس مجموع الدائرة التي هي ثلاثمائة وستون درجة كما لا يخفى ذلك كلّ على من له خبرة بعلم الهيئة. وقد وقع التصريح بذلك في كتب الفقه أيضاً كالروضه (١) وغيرها، فما معنى تسمية الركن المتصل بحجر إسماعيل الشامي والذي فيه الحجّر الأسود المقابل للمشرق بالعراقي؟

وأيضاً ففي خبر إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرضا عليه السلام: «أستلم اليماني والشامي والعراقي والغربي؟ قال نعم» (٢).

١-١ «الروضه البهيّة» ١: ١٩٠.

٢-٢ «تهذيب الأحكام»: ٥، ١٠٦، ح ٣٤٣، باب الطواف، ح ١٥؛ «الاستبصار» ٢: ٢١٦، ح ٧٤٣ باب استلام الأركان كلها، ح ١.

ص: ٥٨

وفيه دلالة على أنّ الشامي غير العراقي، فيدور الأمر بين تسمية المتصل من جانب الشمال بحجر إسماعيل بالعراقي. والذي فيه الحجر الأسود بالشامي وبين العكس. وحيث إنّ انحراف الشامي عن نقطة الجنوب إلى المشرق أزيد من العراقي كان الأول متعيناً دون الثاني فما معنى ارتكابهم الثاني؟

وأيضاً فقد صرح بعض المتبحرين بكون مقابل اليمن هو العراق دون الشام.

ولازم ذلك كون الركن المتصل بشمال حجر إسماعيل هو العراقي لمقابلته الركن اليماني الذي هو في سمت الجنوب دون الشامي، بل التأمل يقضى بعدم تسمية شيء من الأركان بالشامي؛ لعدم محاذاة الشام لشيء منها أو جعل الشامي والعراقي متحداً.

وكلماتهم كخبر إبراهيم المتقدم (١) تقضى بالتعدد.

وربما زعم بعض من أدخل نفسه في الصنف عدواناً من أهل العصر اندفاع الإشكال بفرض الأركان عبارة عن الصفحات الأربع.

وفيه أولاً: أنّه لا ينبغي الريب في كون الأركان عبارة عن الزوايا الأربع دون الصفحات، كما يكشف عن ذلك ما ورد في النصوص

(٢)، وكلمات الفقهاء (٣) رضوان الله تعالى عليهم من استحباب استلام الركن اليماني، والركن الذي فيه الحجر كما في بعض الأخبار

الصحيحة (٤) والذي فيه الأسود كما في

١-١ تقدم تخريجه فيص ٥، الحاشية ٢.

٢-٢ «تهذيب الأحكام» ٥: ١٠٥-١٠٦، ح ٣٤١، باب الطواف، ح ١٣؛ «الاستبصار» ٢: ٢١٦-٢١٧، ح ٧٤٤، باب استلام الأركان كلها ح ٢.

٣-٣ كالشيخ في «المبسوط» ١: ٣٥٦، وابن إدريس في «السرائر» ١: ٥٧٢، وابن حمزة في «الوسيلة»: ١٧٢، والمحقق في «الشرائع» ١: ٢٦٩، والعلامة في «تذكرة الفقهاء» ٨: ١٠٣-١٠٥، المسألة ٤٧٠، و«منتهى المطلب» ٢: ٦٩٤.

٤-٤ «الفتاوى» ٢: ٣١٧، باب الوقوف بالمستجار؛ «وسائل الشيعة» ٥: ٤٠٨، باب استحباب استلام الركن الذي فيه الحجر و...، ح ١-٣.

ص: ٥٩

خبر غياث (١) فإن الاستلام يكون في الزوايا.

وأيضاً فقد نطقت الأخبار (٢) وكلمات الفقهاء (٣) رضوان الله تعالى عليهم بأن من جاوز المستجار وبلغ الركن اليماني لا يرجع لالتزام المستجار مع أن التجاوز والوصول لا يتحقق إلا بوجود الفصل بين المستجار والركن اليماني، ولو كان الركن هي الصفحة لاتحد المستجار والركن وكان المستجار من جملة الركن.

وتوهم كون الركن اليماني هي الصفحة المنتهية إلى الحجر الأسود ليتصور التجاوز والوصول غلط؛ لأن اليمن في قبال آخر الصفحة التي فيها المستجار، لا أول الصفحة المنتهية إلى الحجر الأسود كما لا يخفى على من له خبرة.

وأيضاً لازم جعل الأركان عبارة عن الصفحات هو كون الصفحة التي فيها باب الكعبة شرقياً وعراقياً وشامياً وهو ظاهر الفساد.

وأيضاً لو كان مستقبل العراقي ركن الحجر؛ لكان اللازم تشريع استحباب التيامن في العراق حتى يتوسط الكعبة، فتشريع استحباب التياسر يكشف عن أن مستقبه الزاوية المتصلة بحجر إسماعيل.

وبالجملة فالإشكال المذكور لم أجد له حالاً. ومن وفقه الله سبحانه لحله فليتب عليه في الهامش.

وها أنا أرسم لكصورة الكعبة وموضع الشرق والغرب والجدي حتى

١-١ «الكافي» ٤: ٤٠٨، باب الطواف واستلام الأركان، ح ٨؛ «تهذيب الأحكام» ٥: ١٠٥، ح ٣٤١، باب الطواف، ح ١٣؛ «الاستبصار» ٢:

٢١٦-٢١٧، ح ٧٤٤، باب استلام الأركان كلها، ح ٢.

٢-٢ «تهذيب الأحكام» ٥: ١٠٨، ح ٣٥٠، باب الطواف، ح ٢٢.

٣-٣ كالمحقق في «الشرائع» ١: ٢٦٩، ونظر «مدارك الأحكام» ٨: ١٦٤-١٦٥.



ص: ٦٠

يُتضح لك:

ثم إني بعد حين عثرتُ على نقل كاشف اللثام (١) عن بعض معاصريه تخطئه الأصحاب قاطبةً في قولهم: إنَّ الركن الذي فيه الحجر قبله أهل العراق. وزعمه أنَّ قبلتهم الشامي وأنه العراقي أيضاً. وتصريحه بأنَّ السدس الأخير منصفحة الباب المنتهى إلى حجر إسماعيل هو قبله بغداد والكوفة وسرَّ من رأى، فحمدتُ الله سبحانه على وجدان موافق لي فيما ذكرتُ. وقد بانَ لك أنَّ ما سمَّاه كاشف اللثام زعماً ملوّحاً إلى تضعيفه هو حقّ اليقين، بل بانَ لك أنَّ تسمية الركن المتصل بحجر إسماعيل من جانب الشمال بالعراقي حقيقةً لمقابلتهم له حقيقةً، وبالشامي مجازيةً لانحرافهم عنه أربعاً وستين درجةً. والعجبُ كلُّ العجبِ ممَّا أجب به كاشف اللثام عن كلام معاصره من أنَّ

ص: ٤١

العراق وما والاها لما ازدادت على مكّة طولاً وعرضاً، فلهم أن يتوجّهوا إلى ما يقابل الشامي إلى ركن الحجر. قال: «وبالجملء إلى أى جزء من هذا الجدار من الكعبة فبأدنى تياسر يتوجّهون إلى ركن الحجر، وهو أولى بهم من أن يشرفوا على الخروج عن سمت الكعبة خصوصاً. وسيأتى أن الحرم فى اليسار أكثر» (١). انتهى.

فإن فيه: إن جواز توجّههم إلى أى جزء كان من هذا الجدار غير نسبة الركن إليهم الدائرة مدار مقابلتهم إياه. وقد عرفت وقوعهم خلف الركن الشامى، ومقابلتهم إياه، فيلزم تسمية ذلك الركن بالعراقى لا الشامى لعدم محاذاة الشام إياه، بل محاذاته لما يقابل أربعاً وستين درجة ممّا بعده إلى جانب الباب. والله الهادى إلى الصواب.

وقد عثرت بعد حين على تصريح العلامة فى «التذكرة» (٢) فى المسألة الأولى من البحث الثانى فى كيفية الطواف: بأن الركن الشامى يسمّى عراقياً أيضاً. وهو منافٍ لما فى سائر كلماته. ويحتمل احتمالاً قوياً أن منشأ اشتباه من جعل ركن الحجر الأسود عراقياً أنه لم يكن قد حجّ حتى يرى وجداناً ما رأيناه، ووجد تعبير المطلع بالحال بركن الحجر مريداً به حجر إسماعيل، فزعم من اشتبه أن الحجر بفتح الحاء والجيم فسمّى ركن الحجر الأسود عراقياً، مع أن العراقى بالوجدان هو ركن الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم، أى حجر إسماعيل.

\*\*\* السؤال: إن حجر إسماعيل على نبيّنا وآله وعليه السلام داخل فى الكعبة أم لا؟ وعلى الأول فما ثمره النزاع فى الدخول وعدمه؟  
الجواب: أمّا وجوب إدخال الحجر الذى هو موضع من الركن الشامى إلى الغربى يحوط بجدار قصير بينه وبين كل من الركنين فتحة فى الطواف فمما صرح به الأصحاب قديماً وحديثاً، بل لا خلاف فى ذلك ولا إشكال يحتمل، ونفى العلم

١-١ «كشف اللثام» ٣: ١٤١-١٤٢.

٢-٢ «تذكرة الفقهاء» ٨: ٨٧، المسألة ٤٥٣.

ص: ٦٢

بالخلاف فيه بين الأصحاب في «الذخيرة» (١) ونفى وجدانه في «الجواهر» (٢). وجزم بعدم الخلاف فيه في «الحدائق» (٣) وفي «التذكرة» (٤) أنه كذلك عندنا. واستظهر في «مجمع الفائدة» (٥) كونه إجماعاً، وادّعى إجماع الأصحاب عليه في «الخلاف» (٦) و «الغنية» (٧) و «الذكري» (٨) و «الكفاية» (٩) و «الذخيرة» (١٠) و «المستند» (١١) و «الجواهر» (١٢) ومحكى «المفاتيح» (١٣) وشرحه، وغيرها. والأصل في ذلك النصوص المستفيضة:

منها: الصحيح الذي رواه الشيخ رحمه الله بإسناده عن موسى بن القاسم عنصفوان، وابن أبي عمير عن ابن مسكان عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قلت: رجل طاف بالبيت فاختر (١٤) شوطاً واحداً في الحجر، قال: يعيد ذلك الشوط (١٥). ورواه الصدوق بإسناده عن ابن مسكان أنه قال: يعيد

١-١ «ذخيرة المعاد»: ٦٢٨.

٢-٢ «جواهر الكلام» ١٩: ٢٩٢.

٣-٣ «الحدائق الناضرة» ١٦: ١٠٤.

٤-٤ «تذكرة الفقهاء» ٨: ٩٢، المسألة ٤٥٨.

٥-٥ «مجمع الفائدة» ٧: ٧٩.

٦-٦ «الخلاف» ٢: ٣٢٤، المسألة ١٣٢.

٧-٧ «غنية النزوع»: ١٧٢.

٨-٨ «ذكرى الشيعة» ٣: ١٧٠.

٩-٩ «كفاية الأحكام»: ٦٥.

١٠-١٠ «ذخيرة المعاد»: ٦٢٨.

١١-١١ «مستند الشيعة» ٢: ٢٢٤.

١٢-١٢ جواهر الكلام» ١٩: ٢٩٢.

١٣-١٣ «مفاتيح الشرائع» ١: ٣٦٩.

١٤-١٤ قال الاستاذ آية الله حسن زاده آملی حفظه الله: «اختصر الطريق أى سلك أقرب، يعنى أنه طاف بالبيت فقط ولم يطف بالحجر بل أخرجه عن الطواف» «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ٥١٥.

١٥-١٥ «تهذيب الأحكام» ٥: ١٠٩، ح ٣٥٣، باب الطواف، ح ٢٥.

ص: ٤٣

الطواف الواحد (١).

ومنها: الصحيح على الصحيح على الصحيح الذي رواه الكليني رحمه الله عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام في الرجل يطوف بالبيت فيختصر في الحجر. قال: يقضى (٢) ما اختصر من طوافه (٣).

ومنها: الصحيح الذي رواه هو رحمه الله عنه عن أبيه عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام. قال: من اختصر في الحجر في الطواف فليعد طوافه من الحجر الأسود (٤).

ومنها: مارواه الشيخ رحمه الله بإسناده عن الحسين بن سعيد عن إبراهيم بن سفيان قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: امرأة طافت طواف الحج، فلما كانت في الشوط السابع اختصرت، فطافت في الحجر وصلت ركعتي الفريضة. وسعت وطافت طواف النساء، ثم أتت منى فكتب عليه السلام: تعيد (٥).

ومنها: ما رواه في المستدرجات عن «دعائم الإسلام» عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنه قال: في الطواف من وراء الحجر، ومن دخل الحجر أعاده (٦).

ومنها: مارواه فيه عنه عليه السلام قال: «والشوط من الركن الأسود دائراً بالبيت

١-١ «الفتاوى» ٢: ٢٤٩، ح ١١٩٧، باب ما يجب على من اختصر شوطاً في الحجر، ح ١.

٢-٢ قال الاستاذ: «يقضى ما اختصر في طوافه من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود مدخلاً الحجر في الطواف» «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ٥١٥.

٣-٣ «الكافي» ٤: ٤١٩، باب من طاف واختصر في الحجر، ح ١.

٤-٤ «الكافي» ٤: ٤١٩، باب من طاف واختصر في الحجر، ح ٢.

قال الاستاذ: «إنما قال من الحجر الأسود؛ إلى الحجر الأسود لئلا يتوهم إعادة ما اختصر من ابتداء الحجر إلى انتهائه فقط» «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ٥١٦.

٥-٥ «الفتاوى» ٢: ٢٤٩، ح ١١٩٩، باب ما يجب على من اختصر شوطاً في الحجر، ح ٣.

قال الاستاذ: «يعنى تعيد الشوط السابع فقط؛ لا جميع الأشواط الماضية التي أدخلت الحجر في الطواف فيها...» «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ٥١٦.

٦-٦ «دعائم الإسلام» ١: ٣١٤.

ص: ٦٤

والحجر إلى الركن الأسود الذي ابتدأ منه» (١) إلى غير ذلك من الأخبار التي لا يبقى معها إشكال. فائدة: قال في «المسالك»: «الإجماع واقع من المسلمين على أنه ليس خارج الحجر شيء آخر يجب الخروج عنه، فيجوز الطواف خلفه ملاصقاً بحائطه من جميع الجهات وإنما تبهنا على ذلك؛ لأنه قد اشتهر بين العامة هناك اجتناب كل ما لا أصل له في الدين» (٢). انتهى.

وأما أن الحجر هل هو من الكعبة أم لا؟

فقد وقع الخلاف فيه بين أصحابنا فحكى في «الدروس» (٣) عن الصدوق رحمه الله القطع بعدم كونه منها. وهو الذي أفتى به جُلُّ متأخري المتأخرين (٤) وأفتى العلامة رحمه الله في «التذكرة» (٥) بكونه منها حيث علل عدم صحته طواف من طاف داخل الحجر بأنه يكون ماشياً في البيت. وحكى ذلك عن «النهاية» (٦)، و «المنتهى» (٧). وفي «الدروس» (٨): أنه المشهور. وفي «الذكري» (٩): إن ظاهر الأصحاب (١٠) أن الحجر من الكعبة بأسره.

١-١ «دعائم الإسلام» ١: ٣١٤.

٢-٢ «مسالك الأفهام» ٢: ٣٣٣.

٣-٣ «الدروس الشرعية» ١: ٣٩٤.

٤-٤ راجع «مدارك الأحكام» ٨: ١٢٨-١٢٩.

٥-٥ «تذكرة الفقهاء» ٨: ٩١، المسألة ٤٥٨.

٦-٦ «نهاية الأحكام» ١: ٣٩٢.

٧-٧ «منتهى المطالب» ٢: ٦٩١.

٨-٨ «الدروس الشرعية» ١: ٣٩٤.

٩-٩ «ذكري الشيعة» ٣: ١٦٩.

١٠-١٠ كالشيخ في «المبسوط» ١: ٣٥٧، والقاضي في «المهذب» ١: ٢٣٣، والمحقق في «الشرائع» ١: ٢٦٧.

ص: ٦٥

وقد استغرب جمع من الأواخر ذلك من الشهيد رحمه الله لخلو كلمات من قبل العلامة عن التعرض للمسألة فضلاً عن الفتوى بكونه منها. وصرح في «الكفاية» (١) و«الذخيرة» (٢) و«الحدائق» (٣) بعدم الوقوف في ذلك على رواية. وأقول: ظني أن منشأ ماسمعه من الشهيد رحمه الله ما مرّ من اتفاهم على لزوم إدخاله في الطواف. ولكنك خير بعدم الملازمة بين لزوم إدخاله في الطواف وبين كونه من الكعبة. وعلى كل حال فتظهر ثمره النزاع في مقامين: أحدهما: كفاية استقبال الحجر في الصلاة على وجه لا يستقبل البناء الموجود الآن بناءً على القول الثاني لكونه من الكعبة دون القول الأوّل كما هو ظاهر؛ ولذا حكى عن العلامة في «النهاية» (٤) الجزم بالكفاية. ثانيهما: أنه على الأوّل لا يجوز البعد عنه ما لم يتجاوز ستّة وعشرين ذراعاً ونصفاً. توضيح ذلك أن من جملة شروط صحّة الطواف عدم التباعد عن البيت في جميع الجوانب في الطواف أزيد ممّا بين البيت وبين مقام إبراهيم عليه السلام؛ لما رواه الكليني رحمه الله عن محمّد بن يحيى وغيره عن محمّد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ياسين الضرير عن حريز بن عبد الله عن محمّد بن مسلم قال: «سألته عن حدّ الطواف بالبيت الذي من خرج منه لم يكن طائفاً بالبيت، قال: كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يطوفون بالبيت والمقام، وأنتم اليوم تطوفون ما بين المقام وبين البيت، فكان الحد من موضع المقام اليوم فمن جازه فليس بطائف، فالحد قبل اليوم واحد قدر ما بين المقام وبين البيت من نواحي

١-١ «كفاية الأحكام»: ٦٥.

٢-٢ «ذخيرة المعاد»: ٦٢٨.

٣-٣ «الحدائق الناضرة»: ١٦: ١٠٥.

٤-٤ «نهاية الأحكام»: ١: ٣٩٢.

ص: ٦٦

البيت كلها، فمن طاف فتباعد من نواحيه أكثر من مقدار ذلك كان طائفاً بغير البيت بمنزلة من طاف بالمسجد؛ لأنه طاف في غير حد ولا طواف له» (١) الخبر.

ومن الوجداني أن بين المقام والبيت ستاً وعشرين ذراعاً ونصفاً تقريباً.

وعرض حجر إسماعيل عليه السلام عشرون ذراعاً تقريباً. فعلى القول الأول لا يجوز التباعد في الطواف بأزيد من ستة أذرع ونصف تقريباً. وعلى القول الثاني يجوز لكونه من البيت. وإذ قد عرفت ذلك فاعلم أن حجة الصدوق رحمه الله ومن تبعه عدّة من الأخبار: فمنها: الصحيح الذي رواه الكليني رحمه الله عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيوب عن معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو، أو فيه شيء من البيت؟ قال: لا ولا قلامه ظفر، ولكن إسماعيل دفن أمه فيه فكره أن توطأ فحجر عليه حجراً، وفيه قبور أنبياء (٢).

ومنها: الحسن الذي رواه هو رحمه الله عنه عن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن النعمان عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إسماعيل دفن أمه في الحجر وحجره عليها؛ لئلا يوطأ قبر أم إسماعيل في الحجر (٣).

ومنها: ما رواه هو رحمه الله عن بعض أصحابنا عن ابن جمهور عن أبيه عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحجر بيت إسماعيل عليه السلام. وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل (٤).

ومنها: ما رواه هو رحمه الله عن عدّة من أصحابه عن سهل بن زياد عن محمد بن

١-١ «الكافي» ٤: ٤١٣، باب حد موضع الطواف، ح ١؛ «تهذيب الأحكام» ٥: ١٠٨، ح ٣٥١، باب الطواف، ح ٢٣.

٢-٢ «الكافي» ٤: ٢١٠، باب حج إبراهيم وإسماعيل وبنائهما البيت ومن ولي البيت بعدهما عليهما السلام، ح ١٥.

٣-٣ «الكافي» ٤: ٢١٠، باب حج إبراهيم وإسماعيل و...، ح ١٣.

٤-٤ «الكافي» ٤: ٢١٠، باب حج إبراهيم وإسماعيل و...، ح ١٤.

ص: ٦٧

الوليد شباب الصيرفي عن معاوية بن عمّار قال أبو عبدالله عليه السلام: دفن في الحجر ممّا يلي الركن الثالث عذارى بنات إسماعيل رحمه الله (١).

ومنها: مارواه الصدوق رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام قال: «صار الناس يطوفون حول الحجر ولا يطوفون فيه؛ لأنّ أمّ إسماعيل دفنت في الحجر، ففيه قبرها فطيف كذلك لئلا يوطأ قبرها» (٢). قال: «وروى أنّ فيه قبور الأنبياء عليهما السلام وما في الحجر شيء من البيت ولا قلامة ظفر» (٣). قال: «وروى أنّ إبراهيم عليه السلام لما قضى مناسكه أمره الله بالانصراف فانصرف وماتت أمّ إسماعيل عليه السلام فدفنها في الحجر، وحجر عليها لئلا يوطأ قبرها» (٤).

ومنها: مارواه هو رحمه الله في محكي «العلل» عن أبيه عن سعد بن عبدالله عن أحمد ابن محمّد بن عيسى عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن أبان بن عثمان عن أبي بصير عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام في حديث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قال: «... وتوفى إسماعيل بعده وهو ابن ثلاثين ومائة سنة فدفن في الحجر مع أمّه» (٥).

ومنها: مارواه ابن إدريس في مستطرفات السرائر نقلًا عن نوادر أحمد بن محمّد بن أبي نصر البنظلي عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الحجر فقال: إنكم تسمونه الحطيم وإنما كان لغنم إسماعيل عليه السلام وإنما دفن فيه أمّه وكره أن يوطأ قبرها فحجر عليه وفيه قبور أنبياء (٦). إلى غير ذلك من الأخبار.

حُجَّة العلامه ومَنْ وافقه أمور:

- ١-١ «الكافي» ٤: ٢١٠، باب حج إبراهيم وإسماعيل و...، ح ١٦.
- ٢-٢ «الفاقيه» ٢: ١٢٥-١٢٦، ح ٥٤١، باب علل الحج، ح ٣.
- ٣-٣ «الفاقيه» ٢: ١٢٦، ح ٥٤٢، باب علل الحج، ح ٤.
- ٤-٤ «الفاقيه» ٢: ١٤٩، ح ٦٥٨، باب نكت في حج الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، ح ٨.
- ٥-٥ «علل الشرائع»: ٣٨، باب العلة التي من أجلها تمنى إبراهيم الموت بعد كراهته له، ح ١.
- ٦-٦ أورده الاستاذ دام ظله في «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ٥١٨.



ص: ٦٨

فمنها: ماتمسك به في «الذكرى (١)» من أن الطواف يجب خارجه؛ فلولا كونه من الكعبة لجاز الطواف بينه وبين الكعبة. وفيه: أن حكم الطواف تعبدى لا يدل على الجزئية كما هو صريح ما مر من الأخبار. ومنها: ما روته العامة من أن عائشة قالت: «نذرت أن أصلي ركعتين في البيت، فقال النبي صلى الله عليه وآله: صلي في الحجر؛ فإن سته أذرع منه من البيت (٢)». استدل به بعضهم (٣).

وفيه: مضافاً إلى قصور السند بالإرسال والضعف أي ضعف أنه ملاك المدعى المستدل وهو كون جميعه من البيت. ومنها: ما تمسك به في «الذكرى (٤)» من دلالة النقل على «أنه كان منها في زمن إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام إلى أن بنت قريش الكعبة فأعوزتهم الآلات فاختروها بحذفه، وكان كذلك في عهد النبي صلى الله عليه وآله، ونقل عنه الاهتمام بإدخاله في بناء الكعبة، وبذلك احتج ابن الزبير حيث أدخله فيها، ثم أخرجه الحجاج بعده وردّه إلى ما كان».

وقريب منه ما [في] «التذكرة (٥)» من أن البيت «كان لاصقاً بالأرض، وله بابان شرقي وغربي، فهدمه السيل قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعشر سنين، وأعادت قريش عمارته على الهيئه التي هو عليها اليوم، وقصرت الأموال الطيبة والهدايا والندور عن عمارته، فتركوا من جانب الحجر بعض البيت [...] وخلفوا الركنين

١-١ «ذكرى الشيعة» ٣: ١٧٠.

٢-٢ أوردته الرافعي في «فتح العزيز» ٧: ٢٩٦.

٣-٣ كابن قدامة المقدسي في «المغني» ٥: ٢٣٠، المسألة ٦١٨.

٤-٤ «ذكرى الشيعة» ٣: ١٦٩-١٧٠.

٥-٥ «تذكرة الفقهاء» ٨: ٨٦، المسألة ٤٥٣.

ص: ٦٩

الشاميين عن قواعد إبراهيم عليه السلام وضيقوا عرض الجدار من الركن الأسود إلى الشامى الذى يليه، فبقى من الأساس شبه الدكان مرتفعاً وهو الذى يسمى: الشاذروان» انتهى.

ورُدَّ بما سمعت من أخبارنا المصرحة بعدم كونه منها وبعدم الوقوف على هذا النقل فى أخبارنا وبه اعترف جملة من علمائنا، بل الثابت فى نصوصنا المشتملة على قصية هدم الكعبة خلاف ذلك مثل ما رواه فى الكافى عن على بن إبراهيم وغيره بأسانيد مختلفة رفعوه. قالوا: إنما هدمت قريش الكعبة؛ لأن السيل كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها فانصدعت وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر وكان حائطها قصيراً، وكان ذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله بثلاثين سنة (١) فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة وبنوها ويزيدوا فى عرصتها، ثم أشفقوا من ذلك وخافوا إن وضعوا المعاول أن تنزل عليهم عقوبته، فقال الوليد بن المغيرة: دعونى أبدأ فإن كان لله رضى لم يصبني شيء وإن كان غير ذلك كففتنا، فصعد على الكعبة وحرك منه حجراً، فخرجت عليه حية وانكسفت الشمس، فلما رأوا ذلك بكوا وتضرعوا وقالوا: اللهم إننا لا نريد إلا الإصلاح فغابت عنهم الحية فهدموه ونحووا حجراته حوله حتى بلغوا القواعد التى وضعها إبراهيم عليه السلام فلما أرادوا أن يزيدوا فى عرصته وحركوا القواعد التى وضعها إبراهيم عليه السلام أصابتهم زلزلة شديدة وظلمة فكفوا عنه، وكان بنيان إبراهيم عليه السلام الطول (٢) ثلاثون ذراعاً والعرض اثنان وعشرون ذراعاً والسمك تسعة أذرع، فقالت قريش: نزيد فى سمكها فبنوها، فلما

١-١ قال العلامة المجلسى رحمه الله: «هذا مخالف لما هو المشهور بين أرباب السير، أن هذا البناء للكعبة كان فى خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وآله فيكون قبل البعثة بخمس سنين، وحمله على أن عمره فى ذلك الوقت كان ثلاثين سنة بعيد» «مرآة العقول» ١٧: ٥٧.

٢-٢ «الطول» مرفوع بالابتداء واللام لعهد فهو مكان العائد أى طوله، والجملة خبر كان» «مرآة العقول» ١٧: ٥٨.

ص: ٧٠

بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش في وضعه فقال كل قبيلة:

نحن أولى به، نحن نضعه، فلما كثر بينهم تراضوا بقضاء من يدخل من باب بنى شيبه، فطلع رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: هذا الأمين قد جاء، فحكموه فبسط رداءه وقال بعضهم: كساء طاروني (١) كان له، ووضع الحجر فيه ثم قال: يأتي من كل ريع من قريش رجل فكانوا عتبه بن ربيعة من عبدشمس، والأسود بن المطلب من بنى أسد بن عبدالعزى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بنى مخزوم، وقيس بن عدى من بنى سهم، فرفعوه فوضعه النبي صلى الله عليه وآله في موضعه (٢) الحديث.

ونحوه وغيره وإن كان أخصر، وكلها ظاهرة في أن البناء وقع على الأساس القديم الذي كان من زمان إبراهيم عليه السلام لا أنهم نقصوا منه بحيث خرج منه شيء في الحجر، فتحصل من ذلك كله أن خروجه عن الكعبة هو الذي ينبغي الإذعان والفتوى به والله العالم.

فهرس المصادر

- ١- «الاثنا عشرية» للشيخ العلامة عبدالله بن محمد حسن المامقاني (١٢٩٠-١٣٥١ ق). النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٤٤ ق.
- ٢- «الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» لأبي جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالطوسي (٣٨٥-٤٦٠). إعداد السيد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٣- «تذكرة الفقهاء» للعلامة الحلبي جمال الدين حسن بن يوسف المطهر (٦٤٨-٧٢٦). تحقيق مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث. الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٤- «تنقيح المقال في علم الرجال» للشيخ عبدالله بن محمد حسن المامقاني

١-١ «الطُرُنُ بالضم الخز، والطاروني ضَرَبٌ منه» «القاموس المحيط» ٤: ٣٤٦، «الطُرُن».

٢-٢ «الكافي» ٤: ٢١٧-٢١٨، باب ورود تبع وأصحاب القيل البيت و...، ح ٤.

ص: ٧١

(١٢٩٠-١٣٥١). النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢ هـ. ق.

٥- «تهذيب الأحكام» لأبي جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) إعداد السيد حسن الموسوي الخراسان. الطبعة الثالثة، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.

٦- «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» للشيخ محمد حسن بن باقر النجفي (١٢٦٦ م). إعداد عدة من الفضلاء. الطبعة السابعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، وطهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٨ هـ.

٧- «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» للشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدارني البحراني (١١٠٧-١١٨٦). قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

٨- «الخلافة» لأبي جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠). تحقيق عدة من الفضلاء. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ هـ.

٩- «الدروس الشرعية في فقه الإمامية» للشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (ت ٧٨٦). قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢ هـ.

١٠- «دروس معرفة الوقت والقبلة» للشيخ حسن زاده الآملي، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٦ هـ / ١٣٦٤ ش.

١١- «دعائم الإسلام» لأبي حنيفة النعمان بن محمد بن أحمد بن حيوني التميمي المغربي، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي. القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٣ هـ.

١٢- «ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد» للشيخ محمد باقر السبزواري. قم، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث.

١٣- «ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة» للشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (ت ٧٨٦). قم، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، ١٤١٩ هـ.

١٤- «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» للشهيد الثاني، زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (٩١١-٩٦٥). إعداد السيد محمد كلانتر، تقديم محمد مهدي الآصفي، قم، دار الهادي للمطبوعات، ١٤٠٣ هـ.

ص: ٧٢

- ١٥- «السرائر الحاوى لتحرير الفتاوى» لمحمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلى (٥٤٣-٥٩٨). إعداد مؤسسة النشر الإسلامى، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامى، ١٤١٠-١٤١١.
- ١٦- «شرائع الاسلام فى مسائل الحلال والحرام» للمحقق الحلى، نجم الدين جعفر بن حسن بن يحيى بن سعيد الهذلى (٦٠٢-٦٧٦) إعداد عبدالحسين محمدعلى البقال، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ١٧- «علل الشرائع» لأبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمى المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١). تقديم السيد محمدصادق بحر العلوم. الطبعة الأولى، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.
- ١٨- «غنية النزوع إلى علمى الأصول والفروع» لأبى المكارم السيد حمزة بن على ابن زهرة الحسينى المعروف بابن زهرة (٥١١-٥٨٥). تحقيق الشيخ ابراهيم البهادرى، قم، مؤسسة الإمام الصادق ٧، ١٤١٧.
- ١٩- «فوائد القواعد» للشهيد الثانى «قواعد الأحكام فى معرفة الحلال والحرام».
- ٢٠- «فتح العزيز فى شرح الوجيز». لأبى القاسم عبدالكريم بن محمّد بن عبدالكريم الرافعى القزوينى (٥٥٧-٦٢٣). المطبوع مع «المجموع شرح المهذب». بيروت، دار الفكر.
- ٢١- «الفقيه» لأبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمى المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١). إعداد السيد حسن الموسوى الخراسان. الطبعة السادسة، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢٢- «القاموس المحيط والقابوس الوسيط» لأبى طاهر مجدالدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادى (٧٢٩-٨١٧). بيروت، دار إحياء التراث العربى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
- ٢٣- «قواعد الأحكام فى معرفة الحلال والحرام» للعلامة الحلى جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨-٧٢٦) المطبوع مع «فوائد القواعد» تحقق السيد أبو الحسن المطلبى، قم، مكتب الإعلام الإسلامى، ١٤١٩ هـ / ١٣٧٧ ش.

ص: ٧٣

- ٢٤- «الكافي» لأبي جعفر ثقة الاسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩). تحقيق علي أكبر الغفاري. بيروت، دار الأضواء.
- ٢٥- «كشف اللثام عن قواعد الأحكام» للفاضل الهندي، بهاء الدين محمد بن حسن ابن محمد الإصفهاني (١١٦٢- حوالي ١١٣٥). قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦.
- ٢٦- «كفاية الأحكام» للمولى محمد باقر بن المولى محمد مؤمن الشريف الخراساني السيزواري (١٠١٧- ١٠٩٠).
- ٢٧- «المبسوط» لأبي جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥- ٤٦٠). إعداد السيد محمد تقي الكشفي ومحمد باقر البهبودي. الطبعة الثانية، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٨٧- ١٣٩٣.
- ٢٨- «مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان» للمحقق الأردبيلي أحمد بن محمد (ت ٩٩٣). إعداد عدّة من العلماء. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٢- ١٤١٤.
- ٢٩- «مختار الصحاح». لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (كان حيّاً في ٦٦٦). تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا. الطبعة الثانية، دمشق، اليمامة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ٣٠- «مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام» للسيد محمد بن علي الموسوي العاملي (٩٥٦- ١٠٠٩). تحقيق ونشر، قم، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، ١٤١٠.
- ٣١- «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول» للعلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (١٠٣٧- ١١١٠). إعداد هاشم الرسولي والسيد محسن الحسيني الأميني. الطبعة الأولى، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤- ١٤١١ / ١٣٦٣- ١٣٦٩ هـ ش.
- ٣٢- «مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام». للشهيد الثاني، زين الدين بن علي ابن أحمد العاملي (٩١١- ٩٦٥). قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣.
- ٣٣- «مستند الشيعة في أحكام الشريعة» للمولى أحمد بن محمد مهدي النراقي

ص: ٧٤

(١١٨٥ - ١٢٤٥). طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٩٦.

واستفدنا أيضاً من «مستند الشيعة» الطبعة الحديثة: تحقيق ونشر قم المقدسة، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، ١٤١٥.

٣٤- «معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء». للشيخ محمد حرز الدين. نجف، مطبعة الآداب، ١٣٨٤/١٩٦٤ م.

٣٥- «المغنى». لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى (٥٤١ - ٦٢٠). تحقيق الدكتور عبد الله بن

عبدالمحسن التركي، الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو. القاهرة، هجر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

٣٦- «مفاتيح الشرائع». لمحمد بن المرتضى المولى محسن المعروف بالفيز الكاشانى (١٠٠٧ - ١٠٩١). تحقيق السيد مهدي الرجائي،

قم، مجمع الذخائر الإسلامى، ١٤٠١.

٣٧- «المقنعة». لأبي عبد الله محمد بن محمد بن نعمان البغدادى المعروف بالشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣). قم، مؤسسة النشر الإسلامى،

١٤١٠.

٣٨- «منتهى المطلب فى تحقيق المذهب». للعلامة الحلّى جمال الدين حسن بن يوسف ابن المطهر (٦٤٨ - ٧٢٦). الطبعة الحجرية،

إيران، ١٣٢٢.

٣٩- «المهذب». للقاضى ابن البراج أبى القاسم عبدالعزيز بن تحرير بن عبدالعزيز (حوالى ٤٠٠ - ٤٨١). إعداد عدة من الفضلاء. الطبعة

الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامى ١٤٠٧ - ١٤١٣.

٤٠- «نهاية الأحكام فى معرفة الأحكام». للعلامة الحلّى جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨ - ٧٢٦). إعداد السيد مهدي

الرجائى. الطبعة الأولى، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م.

٤١- «وسائل الشيعة». للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملى (١٠٣٣ - ١١٠٤). تحقيق الشيخ عبدالرحيم الربانى الشيرازى. بيروت، دار

إحياء التراث العربى.

٤٢- «الوسيلة إلى نيل الفضيلة». لعماد الدين أبى جعفر محمد بن على الطوسى المعروف بابن حمزة (القرن ٦). إعداد الشيخ محمد

الحسون. الطبعة الأولى، قم، مكتبة آية الله المرعشى، ١٤٠٨.

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ

ص: ٧٥

«لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (١)»

محسن الأسدي

الحجّ دعوة ربّانية عظيمة، ونداء سماويّ خالد، ومؤتمّر إسلاميّ كبير، وتظاهرة إيمانية رائعة، تضمّ بينصفوفها أجناساً متعدّدة، ومذاهب وطبقات وقوميات شتى، جميعاً على موعد واحد، وواد مقدّس، وحرّم آمن، وبيت مبارك تهوى إليه أفئدة من الناس. إنّها جموع مؤمنة، هدفها واحد، مناسكها واحدة، هتافها واحد، تليتها واحدة، عبودية خالصة لله وحده لا شريك له، تسليم وولاء لله وحده لا شائبة فيه..

حقاً هي حركة جماهيرية لا مثيل لها، تترك بصماتها وآثارها في النفوس، فتزيد المؤمنين إيماناً وتسليماً، فيما تزيد الكافرين عجباً ورهبةً وخذلاًناً.

عجباً!! إنّها عظمة الحجّ

يفيض على الأقطار يُمنّا ورحمةً ويزأر في أذن العتاء ويصخب

صفّ مرصوص، وبيان متماسك يشدّ بعضه بعضاً في فريضة هي محور عباديّ تلتقى عنده منافع دنيوية ومنافع أخروية، وتتداخل فيما بينها في أكثر من موقع ومفصل في هذه الفريضة المباركة.

إنّ الحجّ محراب عبادة ما أعظمه!

وموسم تجارة ما أنفعه!

ومؤتمر إخاء وتوادّ وتعارف ومسؤولية ما أروعها!

إنّه آية مباركة بل آيات مباركة من سورة مباركة، جاءت لتذكر حكماً خمساً للأذان الذي تحمله أو لإتيان الناس هذا الموسم وحضورهم فيه، فكانت المنافع على تفاوت ألوانها وتعدد أشكالها واختلاف أنواعها أولى هذه الحكم. أو هي كما سماها بعضهم علّة إتيان الناس الحجّ أو علّة التأذين به (٢).

قال تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ \* ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣).

لقد اكتفى الرازي في تفسيره بأن جعل قوله تعالى: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ حكماً الأمر بالحجّ، حيث قال:

وأما قوله: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: أنّه تعالى لما أمر بالحجّ في قوله: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ...

ذكر حكماً ذلك الأمر في قوله: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (٤).

١-١ ابن عاشور، تفسير التحرير والتقرير في تفسير الآية.

١-٢ ابن عاشور، تفسير التحرير والتقرير في تفسير الآية.

٢-٣ سورة الحجّ: ٢٧-٢٨.

٣-٤ التفسير الكبير للرازي ٢٣: ٢٨ في تفسير الآية.





ص: ٧٧

فيما ذكر صاحب الأساس في التفسير أن لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ أولى الحِكم الخمس التي ذكرت متعاقبة في الآية الكريمة (١). إذن يمكن ترتيب هذه الحِكم كالتالي حيث إنها جميعاً تتضمّن منافع عظيمة وفوائد جليّة سواءً المقطع الأول منها: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ أو المقاطع التالية، وترتيبها:

الأولى: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ.

الثانية: وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا النَّبِيَّ الْفَقِيرَ.

الثالثة: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ.

الرابعة: وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ.

الخامسة: وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

فشهود المنافع تتقدّم تكاليف الحجّ أو حكمه، وكأنّ السماء أرادت بهذا أن تتفضّل بعبائنها أولاً (حسنه الدُّنيا وحسنه الآخرة) لضيوف الرحمن الذين لبّوا نداءه، تکرماً منه تعالى ورحمةً قبل تكليفهم بأيّ شيء آخر من الأمور التي تعاقبت في الآية الأولى وفي الآية الثانية. فلنقف عند هذا المقطع: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ إعراباً ولغةً وفي الروايات وأقوال المفسّرين وبعد هذا عبر بيانٍ عامٍ أخير.

الإعراب واللغة

اللّام: لام التعليل. يشهدوا فعل مضارع من الأفعال الخمسة منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون.

ص: ٧٨

منافع: مفعول به منصوب بالفتحة وهو ممنوع من الصرف.

لهم: جار ومجرور.

يقول العلامة الطباطبائي: اللّام: للتعليل أو الغايّة، والجار والمجرور متعلّق بقوله: يأتوك والمعنى يأتوك لشهادة منافع لهم أو يأتوك

فيشهدوا منافع لهم ... (١).

فيما جوّز أبو البقاء تعلّقها بأذن. وأن تعلّق ب (يأتوك) (٢).

فيما قال ابن العربي في أحكامه: هذه لام المقصود والفائدة التي ينساق الحديث لها، وتنسّق عليه، وأجلّها قوله تعالى: لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (٣).

وقد تتصل هذه اللام بالفعل كما في الآية محلّ البحث، وتتصل بالحرف كما في قوله تعالى: لَنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ (٤).

يشهدوا: أي يحضروا؛ لأنّ الشهود بمعنى الحضور.

منافع: النفع ضدّ الضرّ، النفع هو الخير وهو ما يتوصّل به الإنسان إلى مطلوبه.

والمنفعة: الفائدة، يقال: هو حاضر النفيعة أي المنفعة والفائدة.

ومنافع: جمع منفعة، كلّ شيء يُنتفع به.

يقول الراغب في مفرداته: النفع يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصّل به إلى الخير فهو خير، فالنفع خير وضدّه الضرّ، قال

تعالى: لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا (٥)

وقال: قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا (٦). (٧).

١-١ الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد الطباطبائي ١٤: ٤٠٥ في تفسير الآية.

٢-٢ إملاء ما منّ به الرحمن ٢: ١٤٣.

٣-٣ سورة الطلاق: ١٢.

٤-٤ سورة الحديد: ٢٩.

٥-٥ سورة الرعد: ١٦.

٦-٦ سورة الأعراف: ١٨٨.

٧-٧ المفردات للراغب الاصفهاني: ٥٠٢.

ص: ٧٩

تنكير منافع:

ومنافع جاءت نكرة، وللمفسرين آراء في هذا، حيث يقول الفخر الرازي في تفسيره: إنما نكر المنافع؛ لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة؛ دينية ودنيوية، لا توجد في غيرها من العبادات (١).

وأما البروسوي فقد قال مثل قول الرازي، فتكبيرها؛ لأن المراد به نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة لا يوجد في غيرها من العبادات (٢).

وما أجمل ما ذكره النسفي في تفسيره للآية حيث قال: نكرها لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية، لا توجد في غيرها من العبادة، وهذا لأن العبادة شرعت للابتلاء بالنفس، كالصلاة والصوم، أو بالمال كالزكاة، وقد اشتمل الحج عليهما، مع ما فيه من تحمل الأثقال، وركوب الأهوال، وخلع الأسباب، وقطيعة الأصحاب، وهجر البلاد والأوطان، وفرقة الأولاد والخلان، والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء، فالحاج إذا دخل البادية لا يتكل فيها إلا على عتاده، ولا يأكل إلا من زاده، فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة، وركب بحر الوفاة، لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده، وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط، وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريرته لغسله وتجهيزه مطيباً بالحنوط، ملففاً في كفن غير مخيط، ثم المحرم يكون أشعث حيران، فكذا يوم الحشر، يخرج من القبر لهفان، ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغباً ورهباً، سائلين خوفاً وطمعاً، وهم من بين مقبول ومخذول، كموقف العرصات، لا تكلم نفس إلا بإذنه، فمنهم شقى وسعيد، والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل

١-١ التفسير الكبير، للرازي ٢٣: ٢٩ من تفسير الآية.

٢-٢ روح البيان للبروسوي ٦: ٢٦.

ص: ٨٠

القضاء، ومنى هو موقف المنى للمذنبين إلى شفاعه الشافعين، وحلق الرأس والتنظيف كالمخرج من السيئات بالرحمة والتخفيف، والبيت الحرام الذى من دخله كان آمناً، من الإيذاء والقتال، أنموذج لدار السلام التى هى من نزلها بقى سالمًا من الفناء والزوال، غير أن الجتة حفت بمكاره النفس العادية، كما أن الكعبة حفت بمتالف البادية، فمرحباً بمن جاوز مهالك البوادي شوقاً إلى اللقاء يوم التنادى (١) فيما قال الأوسى: «منافع» أى عظيمة الخطر، كثيرة العدد، فتكبرها وإن لم يكن فيها تنوين للتعظيم والتكثير، ويجوز أن يكون للتنوع أى نوع من المنافع الدينية والدنيوية، وتعميم المنافع بحيث تشمل النوعين، وقد ذكر رواية ابن عباس التى ستأتى وقد أخرجها ابن أبى حاتم (٢).

فيما يقول صاحب تفسير الفرقان: وتنكير «منافع» هو تنكير تعظيم لما يجهل من منافع، فلم يقل «منافعهم» أو «المنافع» لكى لا يُخيل إليهم أنها المنافع المعروفة لديهم، الحاصلة فى غير ذلك المؤتمر العالمى، وإنما «منافع لهم» مجهولة لمن لم يأتوا ذلك المشهد المسرح، وهى لهم جميعاً، دون المنافع الفردية الحاصلة فى كل مطرح! (٣).

فما أعظم هذه المنافع التى اتسمت بالخصوصية، وأنها غير متوفرة فى كل العبادات الأخرى على عظيم منزلتها!! حتى راح بعضهم يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حجّ فضّل الحجّ على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص.

المراد من المنافع:

أولاً: فى روايات أهل البيت عليهم السلام:

لقد ذكرت الروايات تفاسير لهذه المنافع، فذهب أكثر هذه الروايات إلى أن

١- ١ انظر تفسير النسفى، سورة الحج الآيه ٢٨.

٢- ٢ روح المعانى للأوسى ٩: ١٤٤-١٤٥.

٣- ٣ الفرقان فى تفسير القرآن، محمد الصادق ١٧: ٦٥.

ص: ٨١

المراد بها هو عموم المنافع؛ المنافع الأخروية والمنافع الدنيوية بكلّ أبعادها ونواحيها، سواء أكانت منافع فردية للشخص نفسه أو لعموم المجتمع. فهي إذن منافع عامّة ومحال أن تكون منافع دنيوية فقط؛ لأنّه لو كان الأمر كذلك لكانت دعوة الحجّ منصبته على تحقيق منافع الدّنيا، وأنها المقصودة بأذان الحجّ، وهذا قطعاً غير صحيح، فالحجّ عبادة خالصة لله تعالى، ينتفع فيها الحاجّ أجراً وثواباً وغفران ذنوب، فيما تكون منافع الدّنيا تابعة لذلك وليست هي المقصود الأوّل فيها.

إلّا أنّ القليل من الروايات ذهب إلى أنّ المقصود بالمنافع هي المنافع الأخروية.

وهذا لا يضرّ فإثبات إحدى المنفعتين كما يقول السيد الطباطبائي لا ينفى العموم.

ففي الكافي بإسناده عن الربيع بن خثيم أنّه قال: شهدتُ أبا عبد الله عليه السلام وهو يُطاف به حول الكعبة في محمل وهو شديد المرض، فكان كلّما بلغ الركن اليمانيّ أمرهم فوضعه بالأرض، فأخرج يده من كوة المحمل حتّى يجرها على الأرض، ثمّ يقول: ارفعوني.

فلما فعل ذلك مراراً في كلّ شوط قلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إنّ هذا يشقّ عليك، فقال: إنّني سمعت الله عزّ وجلّ يقول: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ.

فقلت: منافع الدّنيا أو منافع الآخرة؟

فقال: الكلّ (١).

فهى منافع غير مختصّة بالدّنيا دون الآخرة، أو بالآخرة دون الدّنيا إنّما هي لكلا الدارين.

وهذا أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو هشام بن الحكم يسأله

ص: ٨٢

عن الحج: ما العلة التي من أجلها كلف الله العباد بالحج والطواف بالبيت؟

قال الإمام عليه السلام: «إنَّ الله خلق الخلق... وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصلحتهم من أمر الدنيا، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب؛ ليتعارفوا ولينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكارى والجَمال، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى.

ولو كان كل قوم إنما يتكلمون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد، وسقطت الجلب والأرباح وعميت الأخبار ولم تقفوا على ذلك، فذلك علة الحج» (١).

وهناك تعليل آخر للإمام الرضا عليه السلام وهو ما يرويه الفضل بن شاذان حول منافع الحج وآثاره الاجتماعية التي يجنيها الفرد والمجتمع فهو يقول:

«إنما امرؤ بالحج لعله الوفادة إلى الله عز وجل، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترب العبد، تائباً مما مضى، مستأنفاً لما يستقبل مع ما فيه من إخراج الأموال وتعب الأبدان والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس عن اللذات شاخصاً في الحرّ والبرد ثابتاً على ذلك دائماً، مع الخضوع والاستكانة والتذلل مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، لجميع من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر، ممن يحج وممن لم يحج، من بين تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين ومكارٍ وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف من المواضع الممكن لهم الاجتماع فيه، مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمة إلى كلصقع وناحية كما قال الله عز وجل: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٢). ليشهدوا منافع لهم (٣).

١-١ المصدر نفسه.

٢-٢ سورة التوبة: ١٢٢.

٣-٣ وسائل الشيعة، كتاب الحج: ٧.

ص: ٨٣

حقاً ليشهدوا منافع لهم، ليحضروا منافع لهم، كل جيل بحسب ما تقتضيه ظروفه وتطورها وحاجاته وتجارته وهو بعض مما أراه سبحانه وتعالى بالحج منذ أن فرضه على المسلمين، ومنذ أن أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذن به في الناس.

إذن فالمنافع على ضوء هذه الروايات عامية تشمل منافع الدنيا ومنافع الآخرة، إلّا أن هناك رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر يذكر فيها أن المنافع هي:

منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة، وهو المروى عن سعيد بن المسيب وعطية العوفى أيضاً (١). وهذه لا تضر العموم أو لا تنفيه كما ذكر سابقاً.

ثانياً: عند المفسرين

اختلف المفسرون في المراد من المنافع، فعن الشيخ الطبرسي في تفسيره:

فالذي يروى عن الإمام الباقر عليه السلام هو منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة، وهو المروى عن سعيد بن المسيب وعطية العوفى. وعندئذ يكون المعنى: ليحضروا ما ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في الآخرة (٢).

إذن فالمنافع هنا قد خُصت بالمنافع الأخروية فقط.

فيما ذهب ابن عباس في قول له وسعيد بن جبیر إلى أنّها التجارات، وفي قول ثانٍ لابن عباس: أسواق كانت، ما ذكر المنافع إلّا للدنيا. وعن مجاهد: التجارة وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة (٣).

استفاد بعض الفقهاء - على ضوء هذه الرواية - جواز الاتجار في الحج، وعلى ضوء الآية الاخرى ٩٨ من سورة البقرة: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ.

فقد ذهب جمع إلى أن الفضل الوارد في هذه الآية هو التجارة، فيما نفى القرطبي

١-١ مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٧: ١٢٩ في تفسير الآية.

٢-٢ انظر مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٧: ١٢٩.

٣-٣ المصدر نفسه، وغيره من كتب التفسير للآية.



ص: ٨٤

الخلافة في أن المراد بالفضل في الآية التجارة، وذكر ثلاثة أقوال في المراد من المنافع: المغفرة، التجارة، والعموم أي ليحضرُوا منافع لهم أي ما يُرضى الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة (١).

أما مجاهد وعطاء فقد جمع كلاهما بين الاثنين تجارة الدنيا وأجر الآخرة حيث قالوا: التجارة في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة (٢). وهناك قول ثالث لابن عباس في الآية أخرجه ابن أبي حاتم حيث قال:

منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة، فأما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البقر (الإبل والبقر ونحوهما) في ذلك اليوم، والذبائح والتجارات.

إذن فالمراد من منافع (التي هي على قول المغفرة، وعلى قول آخر: التجارة) هو عموم المنافع سواء أكانت منافع دنيوية أو أخروية، فالحج دعوة إلى أن يشهد الحجيج منافع تنتظرهم في موسم الحج بلا تحديد لطبيعة هذه المنافع ولا تحجيم لها ولا تضيق، فهي واسعة شاملة متعدّدة جعلها الله تعالى وهو الكريم المتفضل على عباده كذلك، فلماذا نضيق الواسع ونحجره؟! وهو ما سيأتي في كلمات الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام.

إلا أن هناك من قد يذهب إلى أنها فقط المنافع الدنيوية دون الأخروية باعتبار أن الثانية ذكرت في قوله تعالى: وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ... فهذا الجانب العبادي.

والجواب أنه لا بأس بأن تكون المنافع عامّةً للدنيوية والأخروية، ثم جاء المقطع الثاني وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ... خاصّاً بالعبادة، فيكون من باب ذكر الخاصّ

١-١ أحكام القرآن للقرطبي ١٢: ٤١.

٢-٢ مجمع البيان للطبرسي: ١٢٩.

ص: ٨٥

بعد العام.

وانطلاقاً من عموم المنافع، فقد ذكر المفسرون تفاصيل متعدّدة لها، نذكر أقوال بعضهم: يقول الفخر الرازي: واختلفوا فيها، فبعضهم حملها على منافع الدنيا، وهي أن يتجروا في أيام الحج، وبعضهم حملها على منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة عن محمد الباقر عليه السلام، وبعضهم حملها على الأمرين جميعاً، وهو الأولى (١). في حين يقول ابن العربي في أحكامه: «منافع» فيها أربعة أقوال: الأول: المناسك، الثاني: المغفرة، الثالث: التجارة، الرابع: من الأموال، وهو الصحيح، وذلك كله من نسك وتجارة ومغفرة ومنفعة دنيا وآخره.

ثم يقول: والدليل عليه (على كل ذلك أنه المنافع المقصودة): عموم قوله: منافع فكل ذلك يشتمل عليه هذا القول، وهذا يعضده بقوله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ (٢)، وذلك هو التجارة بإجماع من العلماء (٣).

أما السيد الطباطبائي في ميزانه فيقول: وقد اطلقت المنافع ولم تتقيد بالدينية أو الأخروية. ثم راح يفصل هذه المنافع بشقيها فيقول: والمنافع نوعان:

منافع دنيوية: وهي التي تتقدم بها حياة الإنسان الاجتماعية، ويصفو بها العيش وترفع بها الحوائج المتنوعة، وتكمل بها النواقص المختلفة من أنواع التجارة والسياسة والولاية والتدبير، وأقسام الرسوم والآداب والسنن والعادات، ومختلف التعاونات والتعاضدات الاجتماعية وغيرها.

١-١ التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٣: ٢٨.

٢-٢ سورة البقرة: ٩٨.

٣-٣ أحكام القرآن لابن العربي ٣: ٢٨٢-٢٨٣.

ص: ٨٦

فإذا اجتمعت أقوام وامم من مختلف مناطق الأرض وأصقاعها على ما لهم من اختلاف الأنساب والألوان والسنن والآداب، ثم تعارفوا بينهم وكلمتهم واحدة هي كلمة الحق وإلههم واحد وهو الله عز اسمه، ووجهتهم واحدة هي الكعبة البيت الحرام، حملهم اتحاد الأرواح على تقارب الأشباح، ووحدة القول على تشابه الفعل، فأخذ هذا من ذاك ما يرتضيه وأعطاه ما يرضيه، واستعان قوم بآخرين في حل مشكلتهم وأعانواهم بما في مقدرتهم فيبدل كل مجتمع جزئي مجتمعاً أرقى، ثم امتزجت المجتمعات فكوّنت مجتمعاً وسیعاً له من القوة والعدّة ما لا تقوم له الجبال الرواسي، ولا تقوى عليه أيّ قوة جبارة طاحنة، ولا وسيلة إلى حلّ مشكلات الحياة كالتعاقد، ولا سبيل إلى التعاقد كالتفاهم، ولا تفاهم كتفاهم الدين.

هذه هي المنافع الدنيوية، أما المنافع الأخروية فقد ذكرها قائلاً:

ومنافع أخروية: وهي وجوه التقرب إلى الله تعالى بما يمثّل عبودية الإنسان من قول وفعل، وعمل الحجّ بما له من المناسك يتضمّن أنواع العبادات من التوجّه إلى الله وترك لذائذ الحياة وشواغل العيش والسعى إليه بتحمّل المشاق والطواف حول بيته والصلاة والتضحية والإنفاق والصيام وغير ذلك.

... إنّ عمل الحجّ بما له من الأركان والأجزاء، يمثّل دورة كاملة ممّا جرى على إبراهيم عليه السلام في مسيره في مراحل التوحيد ونفى الشريك وإخلاص العبودية لله سبحانه.

فإتيان الناس إبراهيم عليه السلام أي حضورهم عند البيت لزيارته يستعقب شهودهم هذه المنافع أخرويها ودنيويها، وإذا شهدوها تعلّقوا بها، فالإنسان مجبول على حبّ الدنيا (١).

أما سيّد قطب فيذهب إلى العموم أيضاً حيث يقول:

١-١ الميزان في تفسير القرآن ١٤: ٤٠٥-٤٠٦.

ص: ٨٧

والمنافع التي يشهدها الحجيج كثير؛ فالحجّ موسم ومؤتمر. الحجّ موسم تجارته وموسم عبادة، والحجّ مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسيق وتعاون، وهو الفريضة التي تلتقى فيها الدنيا والآخرة كما تلتقى فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة... أصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحجّ سوقاً رائجة، حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كلّ شىء.. من أطراف الأرض، ويقدم للحجيج من كلّ فجّ ومن كلّ قطر، ومعهم من خيرات بلادهم ما تفرّق في أرجاء الأرض في شتى المواسم. يتجمّع كلّ في البلد الحرام في موسم واحد. فهو موسم تجارة ومعرض نتاج، وسوق عالمية تقام في كلّ عام.

ويواصل كلامه فيقول:

وهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح، وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام، وهي ترفّ حول هذا البيت وتستروح الذكريات التي تحوم عليه وترفّ كالأطياف من قريب ومن بعيد..

ثمّ راح سيّد قطب يذكر تلك الأطياف في تفصيلٍ جميل رائع يذكره في تفسيره، نكتفي نحن بذكر عناوينها:

طيف إبراهيم الخليل وهو يودّع البيت ولذّة كبده إسماعيل وأمّه..

طيف هاجر... وهي تهول بين الصفا والمروة..

طيف إبراهيم إذ يقول لابنه إسماعيل يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ (١)..

طيفهما وهما يرفعان القواعد من البيت..

طيف عبدالمطلب وهو ينذر دم ابنه العاشر (عبدالله) إن رزقه الله عشرة أبناء ..

ثمّ تتواكب الأطياف والذكريات، من محمّد رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وهو يدرج في

ص: ٨٨

طفولته وصباه فوق هذا الثرى، حول البيت... وهو يرفع الحجر الأسود بيديه الكريمتين فيضعه موضعه ليطفي الفتنة التي كادت تنشب بين القبائل.. وهو يصلى..

وهو يطوف.. وهو يخطب.. وهو يعتكف... (١).

أما صاحب تفسير التحرير والتنوير فقد ذكر في تفسير هذه الآية وقوله تعالى: ليشهدوا بيقولته: يأتوك فهو علة لإتيانهم الذي هو سبب على التأذين بالحج، فالإلى كونه علة في التأذين بالحج.

ومعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم، أى ليحضروا فيحصلوا منافع لهم، إذ يحصل كل واحد ما فيه نفعه.

وأهم المنافع ما وعدهم الله على لسان إبراهيم عليه السلام من الثواب، فكفى بشهود المنافع عن نيلها. ولا يعرف ما وعدهم الله على ذلك بالتعيين، وأعظم ذلك اجتماع أهل التوحيد فيصعد واحد؛ ليلتقى بعضهم بعض ما به كمال إيمانه.

أما بخصوص تنكير «منافع» للتعظيم المراد منه الكثرة وهى المصالح الدينية والدينية؛ لأن في مجمع الحج فوائد جمّة للناس؛ لأفرادهم من الثواب والمغفرة لكل حاج، ولمجتمعهم لأن في الاجتماع صلحاً في الدنيا بالتعارف والتعامل.

ثم قال: وخص من المنافع أن يذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وذلك هو النحر والذبح للهدايا... (٢).

وأما مغنية فيقول:

الحج هو العبادة الوحيدة التى تجمع بين المنافع الدينية والدينية، أما الدينية فطاعة الله بأداء الفريضة، والتوبة من الخطايا والذنوب واستشعار الهيبة والجلال.

ثم يذكر عن ابن عربى فى الفتوحات المكية أنه قال: كنت فى ذات يوم أطوف

١- ١ فى ظلال القرآن لسيد قطب ٤: ٢٤١٨ - ٢٤٢٠.

٢- ٢ تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ١٧: ٢٤٥ - ٢٤٦.

ص: ٨٩

بالكعبة، فرأيتها فيما حُجِّلَ إلى أنها ارتفعت عن الأرض، وتوعدتني بكلام، واللَّه سمعته، وهي تقول: «تقدّم حتّى ترى ما أصنع بك، لم تضع من قدرى، وترفع من قدر بنى آدم؟!».

ثمّ يردف مغنيّة قائلاً: فنقول عن يقين: ما من أحد يسعى أو يطوف في بيت الله بإخلاص إلّا ويستشعر شيئاً من هذا النوع (١).  
بيان أخير

على ضوء كلّ ما تقدّم من تفسيرٍ للآية الكريمة عبر الروايات وأقوال جمع من المفسّرين، يمكننا أن نقول:  
إنّ الإنسان بما أنّه لم يكن ذا بُعد واحد بل تجتمع فيه أبعاد متعدّدة، وهي ليست منفصلة عن بعضها بل هي متكاملة، يلتقى فيها البعد الفردى لشخصيته بالبعد الاجتماعى، البعد الروحى بالبعد المادى، فلا يستطيع كلّ بُعد من هذه الأبعاد أن يحقق وجوده ويثبت كيانه بمفرده بعيداً عن البعد الآخر المكمل له، فهذه الأبعاد بكلّ مفاصلها أبعاد ممتزجةً مختلطة؛ متوقّفة بعضها على بعض، ويشدّ كلّ بُعد أزر البعد الآخر، ويتفاعل معه سلباً أو إيجاباً، فيغدو الإنسان سالماً بسلامتها، ومعيباً إذا عيب ولو بعدد منها.  
لهذا راحت نظرة السماء شاملةً لهذه الأبعاد التى تتضمّن النفس الإنسانية، فنراها فى أحكامها ومفاهيمها ومبادئها سواء أكانت عبادية أم حياتية ترعى هذه الأبعاد وتهتمّ بها وتجعلها مواضع لأحكامها... وغدت تشريعاتها تصاغ لتنظيم حياة هذا الكائن الذى كرمه الله وفضّله على جميع مخلوقاته دون أن تهمل بُعداً من أبعاد شخصيته. أو يصحّح أن تهمل السماء بُعداً من أبعاد كيانه وشخصيته وقد أناطت

ص: ٩٠

به مسؤوليئة كبرى ألا وهي الخلافة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (١)

؟ أو ليس النظر إلى بعض أبعاده دون بعضها الآخر خلاف التكريم وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... (٢) بل وخلاف العدل؟ حاشَ لَّه أن يظلم عباده وما رَبَّكَ بظلامٍ للعبيد (٣).

إذن فالإسلام في جميع تشريعاته.. لا- يفرط يُبعد من تلك الأبعاد ولا- يهمل بُعداً على حساب البُعد الآخر، فتشريعاته ومفاهيمه صيغتها خاصة لتلبي كل هذه الأبعاد الروحية والمادية في النفس الإنسانية، بل راحت تحث على رعايتها وعلى التوازن بينها، محذرةً من رعاية بعضها دون الآخر أو إهمال شيء منها «ليس منا من ترك دنياه لآخرته، ومن ترك آخرته لدنياه» وهذا رعاية لمتطلبات وحاجات الجسد وتلبية لما تشتاق إليه الروح وتهفو إليه النفس «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» إنه إخلاص لكلا الحياتين الدنيوية والأخروية ودقة في التفاني لبنائهما وتعميرهما بجدٍ وصبر ومثابرة.

وعلى هذا الأساس بنيت أحكام الإسلام وتشريعاته وهي تحمل هذا الهمم الكبير وهذا الهدف العظيم (بناء الشخصية المؤمنة بناءً محكماً) وهي نواة لبناء المجتمع المؤمن بناءً محكماً أيضاً، ولا يتم هذا البناء ولا يتكامل، بل ولا يسلم من أن ينهدأ إلا بمراعاة جميع خصوصيات هذا الكائن المادية والمعنوية.

وفريضة الحج واحدة من تلك التشريعات العبادية قد جاءت بكل مناسكها لتحمل ذلك الهدف العظيم، وتحقق لهذه الشخصية المؤمنة ولكل جانب من جوانبها حركة روحية خاصة قد لا تتوفر في غيرها من العبادات الاخرى، إلا أنها تمتاز عليها بمشقة أكبر وثمار أعظم.. وبالتالي تمتد هذه الحركة وتتسع لبناء مجتمع إيماني

١- ١ سورة البقرة: ٣٠.

٢- ٢ سورة الإسراء: ٧٠.

٣- ٣ سورة فصلت: ٤٦.

ص: ٩١

كبير ينصهر في بوتقته الأفراد المؤمنون جميعاً.

المنافع المعنوية:

أولاً: من منافع الحج الكبرى أنه دورة إيمانية جاء لتعميق الارتباط بالسماء بذكر الله سبحانه المتواصل الدائم في هذه الأيام المعدودة واذكروا الله في أيام معدودات... (١)، فيترك هذا الارتباط بصماته على حياة الحاج اليومي، ويستشعر عظمة الله تعالى في كل أنفاسه وخطواته، ويرقبه في كل أعماله وسكناته.

كما يربى الحاج نفسه في هذه الأيام ويصوغها على الطاعة والانقياد والصبر عليهما، تأمره الشريعة فيأتمر، وتنهاه فينتهي، لا يشغله شاغل عن ذلك، ولا يصرفه أحد عمّا فيه رضا الله.

تقول الرواية وهي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أردت الحج فجرد قلبك لله عزوجل - من قبل عزمك - من كل شاغل وحجاب حاجب، وفوض امورك كلها إلى خالقك، وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة».

إذن فالحج مدرسة عظيمة ودورة تربوية صالحة يعد فيها الحاج فرداً وجماعة إعداداً تربوياً صالحاً، ففيها يتجدد إيمانه ويترسخ يقينه أكثر فأكثر، وتزداد نفسه سموً وارتقاءً وتحليفاً في عالم المثل والقيم والمبادئ.

إن الحاج في هذا الموسم المبارك يتحلى بأخلاق جميلة وصفات حميدة، فتراه وقد عود نفسه على الصبر وتحمل المشاق والأتعاب، وعلى الإنفاق والبذل والعطاء، وأتصف بالشهامة والتواصل والتواضع...

وكل هذا نجده في كلام أئمة أهل البيت عليهم السلام:



ص: ٩٢

يقول الإمام على عليه السلام: «وجعله (حج بيته الحرام) سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته».

ومن كلام للإمام الرضا عليه السلام: «مع ما فيه من إخراج الأموال وتعب الأبدان والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس [الأنفس] عن اللذات شاخصاً في الحرّ والبرد ثابتاً على ذلك أبداً مع الخضوع والاستكانة والتدلل».

فقد ألغى الحج كل ما يؤدي إلى الفوارق بينهم، فظهروا بلباس بسيط واحد، يشير أن لا فرق لأحدهم على الآخر، مظهر هذا اللباس واحد غير متميز لا بشكله ولا بلونه، فهو شكل واحد ولون واحد يرتديه العالم والجاهل، الرئيس والمرؤوس، الأبيض والأسود، الوجيه ومن هو أدنى وجاهة منه، الغني ومن هو أقل غناء منه.. فتراهم مجردين عن كل ميزة وأصرة إلاميزة الإسلام وآصرته وصبغته، فقد ألغى الإسلام أي سمة لقريش التي تضم ثلاث وعشرين قبيلة، فكانوا لا يقفون في عرفات حيث يقف الحجاج الآخرون ولا يفيضون من حيث يفيضون، فأمرهم جميعاً بتم أفيضوا من حيث أفاض الناس... (١)

فلا- ميزة لأحد على آخر ولا- لطائفة على أخرى.. الكل متساوون حيث لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى، فيحسنون بوحدتهم، ويستشعرون أصلهم أنهم لآدم وآدم من تراب، فهم أهل أصل واحد، ودين واحد، وبلد واحد، لا حدود ولا فواصل تشتتهم وتفرقهم، صحيح أنهم لا تجمعهم لغة واحدة، فهم أهل لغات مختلفة، بل هم أهل تقاليد وعادات ومستويات مختلفة، وهذا أمر لا ينكره أحد، إلا أنهم أهل عقيدة واحدة، وكفى بها جامعاً لهم مانعاً للتباعد والاختلاف وما يترتب عليه من جدلٍ ونفرةٍ ونزاعٍ بل وقتال.. لهذا تراهم لبوا نداء العقيدة هذه واستجابوا ل وأذن في الناس بالحج يأتوك

ص: ٩٣

رَجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (١).

جاءوا إلى هذه البقاع وقد قطعوا آلاف الأميال جَوْاً وِبَرّاً وبحراً، كم هو عظيم أثر العقيدة على النفوس! وليس هناك أقوى منها تأثيراً على القلوب وصياغتها للأرواح!

وعندئذٍ يلتفت كل واحد وكل جماعة منهم إلى أنهم بتبليغهم هذه اخوة يدفعهم أذان واحد وعقيدة واحدة، وأن الذي باعد بينهم هو الحدود التي رسمتها الأنانيات والأطماع.

يقول سيد قطب: والحج مؤتمر جامع للمسلمين كافة، مؤتمر يجدون فيه أصلهم العريق الضارب في أعماق الزمن منذ أبيهم إبراهيم الخليل: **مَلَّةٌ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا.. (٢)..**

يجدون محورهم الذي يشدهم جميعاً؛ هذه القبلة التي يتوجهون إليها جميعاً ويلتفون عليها جميعاً، ويجدون رايتهم التي يفيثون إليها، راية العقيدة الواحدة التي تتوارى في ظلها فوارق الأجناس والألوان والأوطان.. ويجدون قوتهم التي قد ينسونها حيناً، قوة التجمع والتوحيد والترابط الذي يضم الملايين، الملايين التي لا يقف لها أحد لو فاءت إلى رايتها الواحدة التي لا تتعدّد.. راية العقيدة والتوحيد (٣).

فالحج إذن تربية صالحة للجسم والروح، ودورة إيمانية وأخلاقية لسلوك الإنسان المسلم، تهذب فيها أخلاقه، ويسمو فيها سلوكه، ويتعود الالفه مع الآخرين وإن اختلفوا عنه، فتنمو في نفسه الروح الاجتماعية والتفاعل بشكل رائع وبارقي درجاته وأجلى مراتبه.

١- ١ سورة الحج: ٢٧.

٢- ٢ سورة الحج: ٧٨.

٣- ٣ في ظلال القرآن لسيد قطب ٤: ٢٤١٩ - ٢٤٢٠.

ص: ٩٤

ثانياً: الحجّ فريضةً تتضمّن مناسك عبادةٍ تؤدّى هنا وهناك في أوقات مخصوصة وأماكن معيّنة وبقاع محدودة، يترتب عليها أجر عظيم وثواب جليل قد تكفّل الله بهما وبالمغفرة والرضوان، فعن ابن حزم قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يصنع الله بالحاج؟

قال: مغفور والله لهم لا أستثنى فيه.

وعن الصادق عليه السلام في سؤال موسى عليه السلام جبرئيل عليه السلام: ما لمن حجّ البيت بنيةً صادقةً ونفقةً طيبةً؟

قال: فرجع إلى الله عزّوجلّ، فأوحى إليه قل له: أجعله في الرفيق الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للحجّ والمعتمر إحدى ثلاث خصال؛ إمّا أن يُقال له: قد غفر لك ما مضى، وإمّا أن يُقال له: قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل، وإمّا أن يُقال له: قد حفظت في أهلِكَ وولدك وهي أحسنهنّ.

وفي رواية أخرى: من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمّه.

ثالثاً: التعارف: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (١)

وعلى مستوى الوضع العام، يلتقون في مؤتمر كبير يضمّهم جميعاً يتعارفون فيه، ف (الحجّ عرفه) يتذكرون فيه شؤونهم ومشاكلهم وما ينتظرون من حلول لها وإجابات عمّا يطرحونه من تساؤلات، وعمّا يصبون إليه من أهدافهم وآمالهم وطموحاتهم، يتدارسون كلّ ما يخصّ عقيدتهم الإسلامية التي كان وما يزال الحجّ علماً لها كما يقول الإمام علي عليه السلام «وجعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً»

ص: ٩٥

ويتعرّفون على دوره العظيم وقدرته على الدفاع عنهم، يتبادلون تجاربهم ويستفيدون من خبراتهم، ويستتيرون بآرائهم وأفكارهم، ويتشاورون فيما بينهم، ويطلعون على أخبارهم ومعلوماتهم ومشاكلهم وكل ما يحدث في بلدانهم، وحتى على العادات المختلفة لشعوبهم وآثارها، فلكلّ شعب عاداته وقصصه وآثاره...

وبذلك تسقط أغلبية أو كل الحواجز سواء أكانت مادية أو نفسية، التي هي نتيجة للفواصل القومية والعرقية بين بنى البشر، يجمعهم صعيد الإيمان الواسع بعيداً عن الدوائر الضيقة المنطوية على نفسها... فهو مؤتمر وعى حيث تتم فيه توعية المسلمين على أهداف دينهم ومبادئه، وفي الوقت نفسه يتم فضح مخططات الأعداء وردّ شبهاتهم.

يقول سيّد قطب: «وهو مؤتمر للتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى وتبادل المنافع والسلع والمعارف والتجارب» (١). فيعود الحاج وهو يحمل ثقافته اخرى، ومعلومات قد لا يستطيع أن يجدها مدوّنة في كتاب أو مطروحة في محفل من المحافل التي تعود على ارتيادها، بل ولم يسمع بها أو يعثر عليها، يجدها في هذا المؤتمر العظيم الذي يزيد ثروته علمية وثقافية، بل وخبرة مضافة تسعفه في حياته وتفتح له آفاقاً اخرى غير ما اعتاده من الآفاق.

هذا إضافة إلى أنه سيعيش الهمّ الإسلامى الكبير بأن يفكر خارج دائرته الشخصية والعائلية أو الاجتماعية الضيقة، فيصوّب نظريته إلى حيث إخوانه الذين يبعدون عنه آلاف الأميال، يهّمّ بهمّهم ويهّمون به، يرصد أخبارهم ويرصدون أخباره... لعلّه كان يسمع أنّ هناك مسلمين فى غابات أفريقيا وفى مجاهيلها، وفى آسيا وأوروبا والأمريكيتين... فإذا به يتعرّف عليهم وعلى ثقافتهم وعاداتهم،

ص: ٩٦

فيأتي يتحدث بها بين أهله وعشيرته وإخوانه... فينمو الترابط والتواصل بين الجميع و يترسخ الحب و تنمو العلاقات، و تستشعر المسؤولية بشؤون الأمة الإسلامية مهما ترامت أطرافها، وتشحذ الهمم للإصلاح والبناء والتغيير والتطور، فينبى من له القدرة والكفاءة لتأسيس المشاريع هنا وهناك وإنشاء المؤسسات والمراكز بمستوياتها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرائية، وتبدأ الاستعانة بالخبرات، فتصبح الأمة وكأنها جسد واحد وكيان واحد وروح واحدة.

فالتعارف إذن من المنافع التي تتوفّر على الجانبين المعنوي والمادى وتكامل عندها المنفعتان بشكل جلي وواضح. فهذه الثمار والمعطيات أو التي أسماها القرآن المنافع، معنوية أيضاً يمكن أن يجنيها الفرد في الدار الدنيا استقامة على الصراط واستقام كما أمرت (١)

إيمان أكثر صدقاً وخلق عال وعلم غزير ومعرفة وثقافة واسعة، يتبعه أجر في الآخرة ويرافقه عفو ومغفرة.

المنافع المادية:

فإضافة إلى كون الحج فريضة عبادية يجنى الحاج من أدائها تلك المنافع المعنوية.. في الدنيا والآخرة تربيةً صالحةً وإيمان واعٍ وغفران للذنوب... وأجر عظيم وثواب جليل.. تتداخل جميعها في أكثر من مفصل وموقع مع المنافع المادية، لتكتمل دائرتها التي تلبى تلك الأبعاد والحاجات المتعددة للنفس البشرية؛ لهذا فإن الفصل بين المنافع المعنوية والمادية قد لا يكون أمراً ميسوراً. فهو مناسبة كبيرة وفرصة عظيمة تنضح فيها ثمار يستطيع الحاج بإخلاصه وصدقه اقتطافها، على مستوى الفرد باعتباره نواة المجتمع الكبير، وعلى مستوى المجتمع باعتباره الإطار العام الذي يتواجد فيه الأفراد ويتألف منهم، ويقوى

ص: ٩٧

بتلاحمهم وتقدمهم واتحادهم ويضعف بضعفهم وتخلفهم وتفترقهم.

فهناك منافع تعم الجميع، أفراداً ومجتمعات، وتتوزع على نواحٍ متعدّدة في حياتنا فمنها منافع اقتصادية واخرى اجتماعية وثالثة سياسية.. تساهم جميعها في بناء الجماعة المسلمة وبالتالي المجتمع الإسلامي الكبير، وتزيد في تطويره ومعرفته وعلمه ووعيه، وفي توجيهه الوجهة الحسنه، فيما تساهم أنشطة هذه المنافع في حلّ مشاكل أجيالنا المعاصرة والتعاون وفي تثبيت مواقعها وتنشيط مسيرتها نحو التطور والتكامل.

وتستفيد هذه الأجيال من منافع الحجّ بحسب تنوع قدراتها وتطور إمكاناتها، وبحسب ظروفها وأزمنتها ومستوياتها، فلا تتوقف هذه المنافع عند جيل معين وقدرات محدودة، ثم تنتهي بنهاية ذلك الجيل، وتتوقف وتنضب، بل هي تتجدد على مرّ الأزمان.

يقول السيّد الإمام الخميني قدس سره: «الحجّ كالقرآن مائدة ينتفع منها الجميع» جميع الأجيال وفي جميع الأحوال.

فما شهدته مجتمع إبراهيم الخليل عليه السلام من منافع مادية غير تلك التي شهدها جيل رسول الله صلى الله عليه وآله وغير التي شهدها نحن في عصرنا الحاضر. فهي في تطور مستمر وتوالد متواصل، وعطاء وافر يتجدد بألوان متنوّعة وأشكال متعدّدة.

ومنافع الحجّ كثيرة وهي كما ذكرنا متداخلة، وقد ذكرنا أشياء منها، ونكتفي هنا- وباختصار- بذكر محور مهمّ من محاورها، وهو يشكل أهمّ محور في حياتنا لدوره الخطير ولما يتركه من آثار على مجمل أوضاعنا المعنوية والمادية.

المنافع الاقتصادية

أمّا على المستوى الاقتصادي فالحجّ يعدّ تجمّعاً بشرياً يتّصف بالقوة والضخامة والكثافة والثراء، يستقطب الحشود الكبيرة من المسلمين من شتى البقاع والأمصار، فيولّد حركة هائلة يترتب عليها وضع اقتصادي وتجاري ومالي

ص: ٩٨

ضخم، فالسفر والنقل وحمل البضائع والاستهلاك، وتبادل العملات وشراء الهدايا والأضاحي، وما يحتاجه الحج ويستلزمه من مال يدفع ورسوم تؤخذ و مواد تصرف وبضائع تستهلك وأماكن تستأجر وسياحة وتجارة... كل هذه الحركات والأنشطة الاقتصادية والمالية والتجارية والسياحية... يشهدها مجتمع الحج وموسمه، فتدرّ على الجميع خيراً عميماً وربحاً و فيراً شريطة أن يحسن التصرف، بعيداً عن التبعية والإسراف والتبذير والتقتير وما إلى ذلك.

صحيح أن الذي نلاحظه في مواسم الحج هو أن المستفيد من الوضع الاقتصادي والتجاري هو الآخر البعيد عن الإسلام بل المتحرك ضده والمتأمر عليه، إلّا أن هذا يحدث لسوء تصرفاتنا وعدم وعينا بخطورة السوق التي استولى عليها الآخرون؛ لتأخرنا وتقدمهم، وتكاسلنا ونشاطهم، ولعدم شعورنا بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا دولاً ومجتمعات وأفراداً، فراح الآخر يملأ أسواقنا بما يعود عليه من نفع كبير، ورحنا نتسابق لشراء ما يقدمه لنا دون الاهتمام بإنتاجنا وتطويره، ولأننا مبهورون به وببضاعته وإن ضعفت واشمئزنا منصناعاتنا وإن قويت.. هذه الروح التي تمكّن أعدائنا من زرعها في نفوسنا، روح التخاذل والضعف والصغار، والشعور بالضعف والهوان، نزعت الثقة منا وبالتالي فقدنا كل شيء، فصار عطاء هذا الموسم يصبّ في جيوب أعدائنا بأضعاف ما نحصل عليه.

وليس هذا عيباً في الآية الكريمة أو نقصاً فيها، لا أبداً، بل هي دعت الناس المؤمنين بأداء هذه الفريضة للاستفادة من منافع الحج ولم تدعو أعداءها وأعداءهم والمتربصين بهم، بل نحن الذين دعوناهم وفتحنا لهم أسواق هذه المواسم، لقد كانت الدعوة خاصة بمن يؤدى المناسك ويؤمن بها وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ... وبالتالي فهم الذين ينبغي بل يجب أن يقتطفوا ثمار هذه المواسم وخيراتها لا غيرهم.

وها هو الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه وقد تنبّه إلى ذلك الأمر الخطير

ص: ٩٩

فراح يطلق تحذيراته المتكررة حيث يقول:

«إن أسواق البلدان الإسلامية أصبحت مركز تنافس بضائع الغرب والشرق، حيث تتجه إليها سيول البضائع الأمريكية والأوربية واليابانية، الكمالية منها واللعب والاستهلاكيات.

ومع الأسف الشديد فإن مكة المعظمة وجدّة والمشاهد المشرفة في الحجاز...

حيث مركز الوحي ومهبط جبريل وملائكة الله، ومحلّ تحطيم الأصنام والبراءة منها، أصبحت مملوءة ببضائع الأجنبي، وغدت سوقاً رائجاً لأعداء الإسلام وأعداء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله» (١)..

وقد عدّ الإمام عرض هذه البضائع مخالفة صريحة لمقاصد الحج ولأهدافه ومنافعه.. وليس هذا فقط بل إن شراءها يعدّ هو الآخر دعماً لأعداء الله ورسوله فيقول:

«... فإن عرضها مخالف للأهداف الإسلامية بل مخالف للإسلام تماماً، وشراءها دعم لأعداء الإسلام وترويج للباطل، فيجب الاجتناب عنها» (٢).

وختاماً، فإن منافع هكذا بيت مبارك يحجّ إليه منذ نداء نبيّ الله إبراهيم عليه السلام وإلى يومنا هذا، لا تقف عند حدّ، وهي التي تجدد بتجدد الأزمان وتطوّر أجيالها وعلومها ومعارفها ووسائلها وأدواتها التقنية... وتنبثق من كلّ منسك من مناسكها، ويلمسها كلّ من وفقه الله تعالى لأداء هذه الفريضة بقلب طاهر وثية خالصة، وهو الذي يستفيد منها ويتحسّسها ويستشعرها أكثر من الآخر الذي لا همّ له إلا إسقاط واجب تعلق بدمته.

١-١ من خطاب الإمام في ٢٨ ذى القعدة / ١٤٠٥ هـ.

٢-٢ المصدر نفسه.



ص: ١٠٠

منهج الرشاد لمن أراد السداد

**منهج الرشاد لمن أراد السداد (٢)**

منهج الرشاد لمن أراد السداد (٢)

رسالة كاشف الغطاء إلى عبدالعزيز آل سعود

تقديم وتحقيق: الدكتور جودت القزويني

المقصد الأول: في تحقيق ضروب الكفر:

وأقسامه كثيرة:

أولها: كفر الإنكار بإنكار وجود الإله، أو إثبات أن غير الله هو الله، أو إنكار المعاد، أو نبوة نبينا أشرف العباد.

ثانيها: كفر الشرك بإثبات شريك للواحد القهار، أو في النبوة للنبي المختار.

ثالثها: كفر الشك، بالشك في إحدى الثلاثة التي هي أصول الإسلام في غير محل النظر، ولا عبرة بالأوهام (١).

رابعها: كفر الهتك لهتك حرمة الدين، بالبول على المصحف، أو في الكعبة، أو سب خاتم النبي صلى الله عليه وآله.

خامسها: كفر الجحود، بأن يجحد باللسان أصول الإسلام، ويعتقدها

١-١ في المطبوع زيادة عبارة: «التي هي كخيالات المنام».

ص: ١٠١

بِالْجَنَانِ، قَالَ تَعَالَى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ (١).

سادسها: كفر النفاق، بأن ينكر في الجنان، ويقرّ باللسان، كما قال تعالى:

وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٢).

سابعها: كفر العناد، بأن يقرّ بلسانه، ويعتقد بجنانه، ولم يدخل نفسه في ربه العبودية، بل يتجرأ على الحضرة القدسيه، كإبليس (لعنه الله).

ثامنها: كفر النعمة، بأن يستحقّر نعمة الله، ويرى نفسه كأنه ليس داخلًا تحت منه (٣) الله.

تاسعها: كفر إنكار الضرورى (٤).

عاشرها: إسناد الخلق إلى غير الله على قصد الحقيقة.

وليست جميع المعاصى العظام مخرجه عن الإسلام، فإنّ المعاصى لا تنفك على الدوام، حتّى في مبدأ حدوث الإسلام؛ ولذلك وضعت الحدود والتعزيرات، واقامت الأحكام على ممرّ الأوقات.

نعم قد يُطلق على كثير منها اسم (الكفر) تعظيماً للذنب، وتحذيراً منه، وتشبيهاً لمؤاخذته؛ لعظمتها بمؤاخذة الكفر.

فهو إذن في الشرع قسمان: كفرٌ صغير، لا يُخرج عن اسم الإسلام. وكبيرٌ مخرجٌ عن اسمه بلا كلام.

ولو بنينا على أنّ كلّ ما أطلق عليه اسم الكفر يكون مكفراً، لم تنجُ إلّا شردمة قليلة من الورى. فإطلاق اسم الكفر قد يكون استعظماً للذنب - كما مرّ -، وقد يراد أنّه ربما انجرّ بالأخرة إلى ذلك. كما ورد في الحديث: إنّ في قلب المؤمن

١-١ سورة النمل: ١٤.

٢-٢ سورة البقرة: ٨.

٣-٣ في المطبوع: نعمة.

٤-٤ في المطبوع: الإنكار للضرورى.

ص: ١٠٢

نكتة بيضاء، فإذا عصى الله أسودّ منها جانب، وهكذا إلى أن يتمّ سوادها، فذلك الذي طبع الله على قلبه (١). ومما يدلّ على أنّ لفظ (الكفر) يُطلق على سائر المعاصي كثيراً في كلام الشارع منها: ما رواه أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا دين لمن لا عهد له (٢).

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن (٣).

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ علامة النفاق الكذب، وسوء الخلق، والخيانة (٤).

وعن عبدالله بن عمرو، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ النفاق عبارة عن أربع: الخيانة، والكذب، والغدر، والفجور (٥).

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ المرآء في القرآن كفر (٦).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا يترك (٧) حضور الجماعة إلّا منافق (٨).

وعن أبي ذرّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: المسلم من سلّم المسلمون من يده ولسانه (٩).

١-١ الموطأ باب الكلام، باب ١٨.

٢-٢ مسند أحمد بن حنبل ٣: باب ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١.

٣-٣ صحيح البخارى كتاب الأشربة، حديث ٥٢٥٦؛ وصحيح مسلم كتاب الأيمان، حديث ٨٦؛ والنسائي كتاب قطع السارق، حديث ٤٧٨٧.

٤-٤ صحيح مسلم، حديث ١٠٧.

٥-٥ أيضاً، حديث ١٠٦.

٦-٦ سنن أبي داود كتاب السنّة، حديث ٤؛ ومسند أحمد بن حنبل الباب الثانی، حديث ٢، ٢٥٨، ٢٨٦.

٧-٧ فى المطبوع: يُفَوّت.

٨-٨ صحيح مسلم ١: ٤٥١.

٩-٩ البيهقى ١٠: ١٨٧.

ص: ١٠٣

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله: إن الرقي والتمايم من الشرك (١).  
 وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: مَنْ قال: مطرنا بكموب كذا، فهو كافر (٢).  
 وعن زيد بن خالد (٣)، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: مطرنا بنوء كذا، فهو كافر (٤).  
 وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد، رواه الدارقطني، وابن ماجه، والترمذي (٥).  
 وروى عمر بن لبيد، عن النبي صلى الله عليه وآله: إن الرياء الشرك الأصغر (٦).  
 وعن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وآله: إن الرياء الشرك الخفي (٧).  
 وعن عمر بن الخطاب، عن النبي صلى الله عليه وآله: إن يسير الرياء شرك.  
 وعن شداد بن أوس (٨)، عن النبي صلى الله عليه وآله: من صلى براءة (٩)، فقد أشرك، ومنصام براءة، فقد أشرك، ومن تصدق براءة، فقد أشرك.

وروى: إن تارك الصلاة كافر (١٠)، إلى غير ذلك.

بل قلما يسلم شيء من المعاصي ومن إطلاق اسم الكفر، فلا تبقى ثمة حدود ولا تعزيرات، ولزم الحكم بالارتداد، وكفر العباد، ولا ينجو من الكفر إلا القليل من الأحياء والأموات، ولنادت الخطباء بذلك على رؤوس الأشهاد، ولشاع ذلك في

١- ١ المستدرک للحاکم ٤: ٢١٧.

٢- ٢ صحيح مسلم ١: ٨٤.

٣- ٣ زيد بن خالد الجهني المدني، أبو عبد الرحمن، صحابي، أقام بالكوفة، وتوفي في المدينة سنة ٦٨ هـ / ٦٨٧ م.

٤- ٤ صحيح مسلم باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

٥- ٥ سنن ابن ماجه ١: ٢٠٩، حديث ٦٣٩، وسنن الترمذي ١: ٢٤٣.

٦- ٦ مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤٢٨.

٧- ٧ ابن ماجه ٢: ١٤٠٦، حديث ٤٢٠٤.

٨- ٨ شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي، توفي سنة ٥٨ هـ / ٦٧٨ م عن ٧٥ عاماً.

٩- ٩ في المطبوع: «وهو يُرائي».

١٠- ١٠ سنن ابن ماجه ١: ٣٤٢.

ص: ١٠٤

أقصى البلاد، مع أن المعهود من سيرة النبي صلى الله عليه وآله والصحابة، والتابعين، وتابعى التابعين معاملة الناس على الاكتفاء بإظهار الشهادتين.

وعنه صلى الله عليه وآله: أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا الشهادتين.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: يتشبه بالنساء، فنفاه إلى (البقيع)، فقيل:

يا رسول الله ألا تقتله؟ فقال: نُهيئتُ عن قتل المصلين.

وروى عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله: إن قتال المسلمين كفر (١).

وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله: إن نسبة المسلم إلى الكفر كفر (٢).

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله: إذا قال الرجل هلكت الناس فهو أهلكتهم (٣).

وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله (٤).

وعن أنس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْصَلِّصَلَاتِنَا، وَاسْتَقْبَلْ قَلْبِنَا، وَأَكْل ذَيْحَتِنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ (٥).

إلى غير ذلك من الأخبار.

وليس غرضي أنه لا طريق للكفر سوى ذلك، ولكن يستفاد منها أنه بعد إظهار الشهادتين يبني على الإسلام ما لم يُعلم شيء يتنافيه، ولا حاجة إلى التجسس، بل نهى الله تعالى عنه.

١- صحيح مسلم ١: ٨١. باب بيان قول النبي صلى الله عليه وآله سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

٢- صحيح مسلم ١: ٧٩. باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر.

٣- مسند أحمد بن حنبل ٢: ٤٦٥.

٤- صحيح مسلم ١: ٥٣، حديث ٣٦.

٥- النسائي باب المناسك، حديث ٢١١.

ص: ١٠٥

وبيان الأمر على التحقيق: هو أنه قد علم أن لسان الشارع جارٍ على نحو لسان العرب، ففيه حقائق، ومجازات، واستعارات، وكنيات، وخطابات، تشتمل على المبالغات، كما أن لساننا يشتمل على ذلك من غير إنكار، فإنّ الذنب إذا صدر من شخص وأردنا استعظامه، صحّ لنا أن نسميه كفراً، وأن نسمي فاعله كافراً. ولا يزال ذلك يقع على مرور الأزمان من أيام النبي صلى الله عليه وآله إلى هذا الآن، مع أنه ليس في ذلك إنكار، بل قد يُعدُّ من أفعال الأبرار، على أن كلَّ مَنْ صدر منه ذنبٌ ولو صغير، لم يفِ بجزاء نِعَم اللطيف الخبير.

فإطلاق الكفر لعلّه من باب الكفر ببعض النعم الذي هو كفر صغير.

على أن أنظار الأنبياء والأولياء ليس إلى المعاصي، حتّى يكون فيها صغيرٌ وكبير، بل إلى مَنْ عصاه الناس وهو اللطيف الخبير. فإذا لاحظت أن المعصية كانت في حقّ الله، تجدها - ولو صغرت - أكبر من الجبال الرواسي، حتّى أنه بلسان الورع والتقوى دون الفقه والفتوى، ربما لا - يفرق بين الصغائر والكبائر. بل ربما نقل عن بعض الأولياء أنه لا فرق بين المكروه والحرام، والمسئونات وفرائض الأحكام، قال: لأنّ الكلّ مطلوب للملك العلام.

وإذا بُنى على هذا استحسن هذا الإطلاق، وحسن إطلاق اسم المعاصي والمحرمات على فعل المكروهات، والفرائض والواجبات على فعل المستحبات والمندوبات، وكبائر الخطيئات على صغائر التبعات، والكفر والكفار على كلِّ مَنْ عمل ما يوجب دخول النار. ولولا ذلك لزم كفر أكثر من في الأرض؛ لأنّه قلّما خلت معصية من هذا الغرض، ولو عملنا بجميع ظواهر الأخبار؛ لاختلت علينا أحكام ملّة النبي المختار، وفقنا الله وإياك، وهدانا الله إلى الحقّ وهداك (١).

ص: ١٠٦

المقصد الثاني: في تحقيق معنى العبادة

لا يريب أنه لا يراد بالعبادة التي لا تكون إلا لله، ومن أتى بها لغير الله، فقد كفر مطلق الخضوع والخشوع والانقياد، كما يظهر من كلام أهل اللغة، وإنما لزم كفر العبيد والأجراء، وجميع الخدام للامراء، بل كفر الأبناء في خضوعهم للآباء، وجميع من تواضع للاخوان، أو لأحد من أصحاب الإحسان.

وإنما الباعث على الكفران، الانقياد لبعض العباد مع اعتقاد استحقاتهم ذلك بالاستقلال من دون توجه الأمر من الكريم المتعال، وأن لهم تدبيراً واختياراً.

ولفظ (العبد) و (العبادة) قد يُطلق على مطلق المطيع والطاعة، فقد ورد: أن العاصي عبد الشيطان، وأنه عبد الهوى، وأن الإنسان عبد الشهوات، وأن من أصغى إلى ناطقٍ فقد عبده.

ثم من اتبع قول قائل؛ لأنه مُخْبِرٌ عن غيره، فهو عابد للمُخْبِرِ عنه، لا للمُخْبِرِ. ومن خدم شخصاً بأمر أمر، فالمعبود هو الأمر، ومن تبرك بشيء لأمره، كان ذلك من عبادة الأمر، فالملائكة في سجودهم لآدم، ويعقوب في سجوده ليوסף، والناس في تقبيلهم للحجر الأسود والأركان، لم يعبدوا سوى من أمرهم بذلك.

ثم السجود والخضوع لعروض بعض الأسباب، لا يُنافي الإخلاص لرب الأرباب.

روى أبو داود والترمذي، عن عكرمة، قال: قيل لابن عباس: ماتت (فلانة) - بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله -، فخرّ ساجداً، فقيل له: تسجد في هذه الساعة؟

فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم آيةً فاسجدوا، وأي آية أعظم من ذهاب

ص: ١٠٧

أزواج النبي صلى الله عليه وآله (١).

فعلى هذا لو سجد مَنْ رأى ميتاً، أو قبراً، أو شيئاً عجيباً، ذاكراً لعظمته الله - كما يصنعه بعض العارفين - لم يكن به بأس. وعبادة الأصنام وبعض الصالحين، مع نهى الأنبياء والمرسلين الذين دلت عليهم المعاجز (٢) والبراهين، محض عناد وخلاف على رب العباد، ولو أنهم أخذوا عن قول الله ورسوله، لم يكن عليهم إيراد. كما أن (السيد) لو قال لعبده: تبرك بتياب (فلان)، ونعله، وترابه، ففعل، كان عابداً للمولى، وأما لو نهاه المولى، أو أخذ بمجرد الظن الذي لا يُعنى عن الحق شيئاً، أو الخرص (٣)، لكان عاصياً مخالفاً. ألا- ترى أن مَنْ جعل المرضعات أمهات، ليس كمن جعل المصاهرات، ومَنْ حرّم الوصيعة، والسائبة، والحام (٤)، ليس كمن حرم الجلالة (٥) من الأنعام؟ وليس تحريم الأشهر الحرام كتحريم غيرها من باقى أشهر العام، وليس صيام آخر شهر رمضان كصيام أول شوال. كل ذلك للفرق بين الأمر والاختراع،

١- ١ سنن أبي داود ١: ٣١١، حديث ١١٩٧؛ وسنن الترمذى ٥: ٦٦٥، حديث ٣٨٩١.

٢- ٢ فى المطبوع: المعجزات.

٣- ٣ الخرص: الحدس، والكذب والافتراء.

٤- ٤ من معتقدات العرب أن الوصيعة من الغنم وهى الشاة إذا ولدت أنثى فهى لهم، وإذا ولدت ذكراً- أوقفوه لألتهم، فإن ولدت ذكراً وانثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبوا الذكر لألتهم.

أما السائبة فقد كان الرجل إذا نذر للقدم من سفر، أو الشفاء من علّة، فإن ناقته ستكون سائبة أى لا تستخدم للانتفاع بها، ولا تخلّى عن ماء، أو تمنع عن مرعى.

والحام هو الذكر من الإبل إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن. قال العرب قدحمى ظهره، فلا يحمل عليه.

وقد حرّم القرآن هذه المعتقدات كما ورد فى سورة المائدة، آية ١٠٣ قوله تعالى: «مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيْلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ».

والبحيرة هى الشاة التى تُبحرُ أذنّها أى تُشقّ علامته على تحريم الانتفاع بها.

٥- ٥ الحيوان الجلال: هو الذى يأكل العذرة، وقد ورد النهى عن أكل لحمه، وشرب لبنه.



ص: ١٠٨

والقول بمجرد الابتداع (١).

ثم (العبادة) تختلف باختلاف التيات، فمن قصد حقيقة العبادة اختراعاً وابتداعاً، ومخالفة لأمر الله سبحانه كان كافراً، سواء قصد القرب إلى الله زلفى أو لا، بل هذا في الحقيقة عين العناد والشقاق بعد نهى الأنبياء والرسل.

كما قال قوم (شعيب) له: يَا شَعِيبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ (٢).

وقال الصديق: يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ\* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ (٣).

وحكى الله عن قوم نوح وعاد وئمود أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، وقالوا:

إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٤)

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ردّهم على الأنبياء، وبنائهم على الاختراع والابتداع.

وفي الاحتجاج: في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أقبل في مشركى العرب، فقال لهم: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون

الله؟ فقالوا: نتقرب بها إلى الله زلفى، فقال: أوهى سامعة مطيعة عابدة لربها حتى تتقربوا بها إلى الله؟ قالوا: لا، قال:

أفأنتم نحتّموها بأيديكم؟ فقالوا: نعم، قال: فلئن تعبدكم هي أخرى من أن تعبدوها، إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العالم

بمصالحكم، وعواقبكم، والحكيم فيما يكلفكم (٥).

١-١ في المطبوع: للفرق بين الأمر والاتباع، والقول بمجرد الاختراع والابتداع.

٢-٢ سورة هود: ٨٧.

٣-٣ سورة يوسف: ٣٩-٤٠.

٤-٤ سورة إبراهيم: ٩.

٥-٥ أوردها أحمد بن على الطبرسى من علماء القرن الخامس الهجرى فى كتاب الاحتجاج ١: ٢٦ بيروت، ١٩٨١.

ص: ١٠٩

فإذا كان الله قد نهى على لسان أنبيائه عن عبادة الأصنام والصالحين من الأنام، على نحو عبادة الصلاة والصيام، ففعلهم بعد ذلك ردٌّ لكلام العليم العلام.

وكشف الحقيقة: إن العبادة إن اريد بها مجرد الامتثال والطاعة، كانت الزوجه، والأمة، والعبد، والخادم، والأجير، ونحوهم، عابدين لغير الله.

وإن اريد الامتثال والانقياد للعظيم في ذاته، المستوجب للطاعة، لا بواسطة أمر غيره، فأين ذلك من أفعال المسلمين؟! فاقسم عليك بمن سلطك على طائفة من عباده، ومكنك من كثير من بلاده، أن تخلى نفسك من حب الانفراد، الباعث على الامتياز بين العباد، وتحذر من قولهم «لكل جديد لذة»، و «خالف تعرف». كما أتى احذر نفسي، وأصحابي من حب اتباع الآباء والأجداد، وإرادة الدخول في الجماعة، وكرهه الانفراد.

وأما ما صدر من أهل الإسلام، فإتما هو عن أمر زعموه، فإن كان حقاً أئبوا، أو كان خطأً فكذلك.

فأين حال المسلمين من حال من جعل الآلهة ثلاثة، أو اثنين، واتخذ الملائكة أرباباً، واتخذ بعض المخلوقين أنداداً وشركاء، يُعبدون من دون الله أو مع الله، إمّا لأهليتهم، أو لترتب التقرب إلى الله زلفى من دون أمر الله لهم بذلك، قال تعالى: مَيَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ (١)

!؟

وروى أن (قريشاً) كانوا يعبدون الأصنام، ويقولون: ليقربونا إلى الله، ولا طاقة لنا على عبادة الله، وسيجيء في بعض المقامات الآتية ما يكشف عن حقيقة ذلك.

وإن أردت تمام الكلام في هذا المقام، فانظر بعين البصيرة إلى ما نحاول في هذا المقام تحريره.

ص: ١١٠

اعلم أنّ الألفاظ اللغوية والعرفية العامية، قد تبقى على حالها من المعاني القديمة، فتلك لا تحتاج إلى بيان، سواء وردت في السنّة أو القرآن.

وأما إذا نُقلت عن المعاني الأولى إلى غيرها، أو استُعملت في المعاني الثانوية على وجه المجازية، فهي من المجمل المحتاج إلى البيان، كلفظ الصلاة والصيام والحجّ، فإنّه لو لم يبيّن الشرع لبقية على إجمالها، حيث لا يراد منها مطلق الدعاء والإمساك والقصد، بل معنى جديد، تتوقّف معرفته على بيان وتحديد.

ومن هذا القليل ما نحن فيه من لفظ العبادة والدعاء ونحوهما، فإنّه لا يراد بهما في حقوق الشرك بهما المعنى القديم، وإلاّ للزم كفر الناس من يوم آدم إلى يومنا هذا؛ لأنّ العبادة بمعنى الطاعة، والدعاء بمعنى النداء والاستغاثة للمخلوق لا يخلو منها أحد.

ومن أطوع من العبد لسيدّه، والزوجة لزوجها، والرعية لملوكها، ولا زالوا ينادونهم، ويطلبون إعانتهم ومساعدتهم، بل الرؤساء لم يزالوا يستغيثون بجنودهم وأتباعهم ويندبونهم.

فعلّم أنّه لا يراد بهذه المذكورات، المعاني السابقة، وتعيّن إرادة المعاني الجديدة، فصارت بذلك من المجملات والمتشابهات، فلا يجوز الحكم بمقتضاها، إلّا في الموضع المعلوم دون المشكوك والموهوم.

وإنّما هو خطاب الوضع لمن شأنه رفيع، على أن يكون مالك التصرف، أو خدمته الخاصّة لرفعته الذاتية، وشرافته الأصليّة، من دون أمر أمر، ولا تكليف مكلف، بل من مجرّد الابتداء والاختراع.

وأما ما كان عن أمر أمر، فالمعبود هو الأمر، ولا فرق بين أن يقول: ضع جبهتك في الصلاة على الأرض، أو على بدن إنسان، أو غير ذلك، وبين أن يقول:

ضعها على (قبر) كذا، أو (حجر) كذا.

وإنّما كفر عبدة الأصنام؛ لأنّهم فعلوا ما يُعدّ عبادةً من دون أمر الله، ولأنّهم

ص: ١١١

خالفوا أنبياء الله في نهيمهم عن تلك الأشياء، فكانت قصد تقربهم فيما نهى الله عنه.

إمّا بناءً على أنّ الأصنام للجبار قاهرون، فيقرّبونهم قهراً، أو كان استهزاءً بالرسول، وتكديباً لهم، وكلّ من الكفّرين أعظم من الآخر، فإنّ المتقربين محصل كلامهم أنا نخالف أمر الله وأمر رسوله، ونعبد ما نهينا عن عبادته ليقربنا إلى الله!

المقصد الثالث: في الذبح لغير الله

لا يشكّ أحدٌ من المسلمين في أنّ من ذبح لغير الله ذبح العبادة (كما يذبح أهل الأصنام لأصنامهم حتى يذكروا على الذبائح أسماءهم، ويهلون بها لغير الله) خارجٌ عن رتبة المسلمين (١)، سواءً اعتقدوا إلهيتهم، أو قصدوا أن يقربوهم زلفى؛ لأنّ ذلك من عبادة غير الله تعالى.

وأما من ذبح عن الأنبياء أو الأوصياء أو المؤمنين ليصل الثواب إليهم، كما يُقرأ القرآن ويُهدى إليهم، ونصلى لهم وندعو لهم، ونفعل جميع الخيرات عنهم، ففي ذلك أجرٌ عظيم، وليس قصد أحد من الذابحين للأنبياء أو لغيرهم سوى ذلك.

أما العارفون منهم، فلا كلام. وأما الجهال، فهم على نحو عرفائهم.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه ذبح بيده، وقال: اللهم هذا عنّي، وعن من لم يُضح من أمّتي. رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي (٢). وفي سنن أبي داود أنّ عليّاً كان يُضحى عن النبي صلى الله عليه وآله بكبش، وكان يقول: أوصاني أن اضحى عنه دائماً (٣).

وعن علي عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله أوصاني أن اضحى عنه (٤).

١-١ هكذا في الأصل.

٢-٢ مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٥٦؛ وسنن أبي داود ٣: ٩٩، حديث ٢٨١٠؛ وسنن الترمذي ٤: ٧٧، حديث ١٥٠٥.

٣-٣ سنن أبي داود ٣: ٩٤، حديث ٢٧٩٠.

٤-٤ مسند أحمد بن حنبل ١: ١٥٠.

ص: ١١٢

وعن بُريده، عن النبي صلى الله عليه وآله أن امرأة سألته هل تصوم عن أمها بعد موتها؟ وهل تحج عنها؟ قال: نعم (١).

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: تقضى البنت نذر أمها (٢).

وروى أن العاص بن وائل أوصى بالعق، فسأل ابنه عمرو النبي صلى الله عليه وآله عن العق له، فأمره به.

وروى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله قال عند الذبح: اللهم تقبل من محمد وآله، وأمته.

والحاصل، لا- كلام ولا- بحث في أن أفعال الخير تُهدى إلى الموتى، ومن أولى بالهدايا من أنبياء الله وأوصيائه، فليس الذبح لهم وباسمهم، حتى يكون الإهلال لذكورهم، وإنما ذلك عمل يُهدى إليهم ثوابه كسائر الأعمال، حتى أنه لو ذكر اسمهم على الذبيحة، كان ذلك عند المسلمين منكراً، فهو ذبح عنهم لا لهم.

وإني -والذي نفسى بيده- منذ عرفت نفسى إلى يومى هذا، ما رأيت، ولا سمعت أحداً من المسلمين ذبح أو نحر، ذاكراً لاسم نبي، أو وصي، أو عبد صالح، وإنما يقصدون إهداء الثواب إليهم، فإن كان في أطرافكم قبل تسلطكم مثل ذلك، (فصاحب الدار أدري بالذي فيها).

ولا شك أن نجداً وأعرابها قبل أن تُظهِروا فيها أمر الصلاة والصيام، وتأمروهم بالملازمة لعبادة الملك العلام، كانوا كالأنعام أو أضل سبيلاً، وقد رفع الله عنهم الشقاق، وحصل بينهم الاتفاق، وفرقوا بين الحلال والحرام، وتوجهوا لأوامر الملك العلام. ويؤيد ذلك ما رواه ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: اللهم بارك لنا في

١- صحيح مسلم ٢: ٨٠٥، حديث ١١٤٩.

٢- سنن ابن ماجه ٢: ٩٠٤.

ص: ١١٣

شامنا، الله بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فقال: اللهم بارك لنا في شامنا، وفي يمننا، ثم قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: هناك موضوع الزلازل والفتن، وبها (مطلع) قرن الشيطان، رواه البخاري (١). وإلحاق غير أهل (نجد) بهم من قياس الشاهد على الغائب.

وكيف يخفى على فحول العلماء وأساطين الفقهاء الذين أقاموا الجمعات والجماعات، وأقاموا الأحكام، وأوضحوا الشبهات، وأمعنوا نظرهم في فهم الآيات والروايات، أن الذبح لا يكون إللجبار السماوات؟ مع أن ذلك تلقاه عن الأكابر الأصغر، وعن الأوائل الأواخر. فلم يزل أهل الإسلام من قديم الأيام يذبحون للأنبياء والأوصياء والعباد الصالحين، ويهدون الثواب إليهم طلباً لمرضاة رب العالمين. واختيارهم للأماكن الشريفة، كحرم النبي صلى الله عليه وآله ونحوه، لما ورد من أن الأعمال يتضاعف أجرها لشرف الزمان والمكان، كسرف الكوفة.

روى الأصبغ بن نباتة (٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الخضر قال له: إنك في مدينة لا يريد لها جبار بسوء إلقصمه الله. ورؤى أن البركة فيها على اثني عشر ميلاً من سائر جوانبها.

وإن المسلمين كافة يتبرؤون ممن يدعو غير الله، أو يستغيث بغير الله، أو يذبح وينحر لغير الله، أو يحلف بغير الله، على النحو الذي وقع في نظركم أنهم يقصدونه ويتعمدونه، ومعاذ الله أن يكونوا كذلك. والذي فلق الحية، وبرأ النسمة، لو علمت منهم ذلك، لكفرتهم، وهاجرت عنهم، معتقداً وجوب ذلك على، لكن وحق من اشتق من ظلمة العدم نور

١- ١ صحيح البخاري ٩: باب الفتن، حديث ١٦؛ وسنن الترمذي كتاب المناقب، حديث ٧٣.

٢- ٢ الأصبغ بن نباتة المجاشعي التميمي الكوفي، توفي أوائل القرن الثاني الهجري.

ص: ١١٤

الوجود، ما وجدت ذلك منهم، ولا صدر ذلك عنهم، ولا بأس عليكم فرّما افترى الحاضرون لديكم تقرّباً بذلك إليكم، فاقصر على حدودك التي أنت فيها، فإنّ النفس إذا قنعت، قليل من الدنيا يكفيها.

وفى المشكاة: عن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله: إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها فتهلكوا، كما هلك من كان قبلكم (١).

وبعد التأمل الصادق لا نجد- عند من شاهدناه ممن يدعى الإسلام ويتنسب إلى ملّة سيّد الأنام- ذبحاً، ولا نحرأً، ولا نذرأً، ولا عتقأً، ولا تصدقأً، ولا وقفأً، ولا شيئاً من العبادات ممّا يتعلّق بالماليات أو البدنيات، ولا توسيلاً، ولا تقرّباً، إلّا إلى جبار الأرضين والسموات، ولو أعلم ذلك منهم لما قبلت كلمة الإسلام الصادرة عنهم.

فمهلاً يا أخي مهلاً مهلاً، فإنّ القوم ليس حالهم كما وصل إليكم، وورد عليكم، فإنّي بهم خير، وبأحوالهم بصير، وليس غرضي تزكيتهم، ولكن- والله- هذا الذي علمته من سيرتهم، والله الموقّق.

المقصد الرابع: فى النذر لغير الله

هذا المقام من مزال الأقدام، وإنّما كثرت فيه الأقاويل، لخفاء الموضوع إلّا على القليل، فإنّه لا ينبغى الشكّ فى أنّ النذر لغير الله على أنّه أهل لأنّ يُنذر له، لأنّه مالك الأشياء وييده زمامها من الكفر والشرك، لأنّ النذر من أعظم العبادات، وإن اريد أنّه ينعقد بذلك وإن لم يُذكر اسم الله عليه فهى مسألة فقهية فرعية. واعتقاد

١- صحيح البخارى كتاب المغازى، حديث ١٧؛ و كتاب الجهاد، حديث ٣٨؛ وصحيح مسلم كتاب الزكاة، حديث ١٢١؛ وسنن ابن

ماجة كتاب الفتن، حديث ١٨؛ ومسنّد أحمد بن حنبل، الباب الخامس، حديث ٤٨.

ص: ١١٥

ذلك لا عن دليل تشريع حرام، لا يُخرج عن ملة الإسلام.

وليس المعروف في هذه البلدان النذر لغير الله إلا على معنى أنه صدقة يُهدى ثوابها إلى أولياء الله، فمعنى النذر للنبى صلى الله عليه وآله مثلًا أنه صدقة مندورة يُهدى ثوابها له، وهكذا النذر لسائر الأولياء. فلا يزيد هذا على من نذر لأبيه وأمه، أو حلف، أو عاهد أن يتصدق عنهم، كما روى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال للبت التي نذرت لأمها عملاً: **فِ بِنْدَرِكِ (١)**.

فإن كان النذر للآباء والامهات كفرًا، كان هذا كفرًا، وإلا فلا. فَمَنْ حاول بالنذر حصول الثواب والتقرب إلى الله زُلْفَى من المندور له، على أن يكون الفعل له لا على أن يكون الثواب له، فهو ضالٌّ مضلٌّ. وأما مَنْ قصد خلاف ذلك، فلا بأس عليه.

واختيار بعض الأمكنة للمندور طلباً لشرف المكان، حتى يتضاعف ثواب العبادة، كما يختار بعض الأزمنة لبعض العبادات، لا بأس به، بل لا بأس بتخصيص بعض الأمكنة المباركة، وهو مستفاد من الأخبار، كما لا يخفى على من حام حول الديار.

روى ثابت بن الضحّاك (٢)، عن النبى صلى الله عليه وآله أن رجلاً سأله أنه نذر أن يذبح ببوانه، قال: هل كان فيها وثن يُعبد؟ قال: لا، قال: فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟ فقال: لا، فقال: **فِ بِنْدَرِكِ (٣)**.

١- ١ صحيح البخارى كتاب الاعتكاف، حديث ٥، ١٥، ١٦؛ وصحيح مسلم كتاب الأيمان، حديث ٢٧؛ سنن أبى داود كتاب الأيمان،

حديث ٢٢؛ سنن الترمذى كتاب النذور، حديث ١٢؛ وابن ماجه كتاب الطلاق، حديث ٣٦.

٢- ٢ ثابت بن الضحّاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدى الأنصارى مات سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م.

٣- ٣ سنن أبى داود كتاب الأيمان و حديث ٢٢؛ سنن ابن ماجه باب الكفّارات، حديث ١٨؛ مسند أحمد بن حنبل، الباب الأول،

حديث ٩٠.



ص: ١١٦

ثم إنى أعلم والله أنك لو وضعت منادياً ينادى فى بلاد الإسلام، ويُعلن بصوته فى كلِّ مقام، ليجد شخصاً يُعدُّ من نوع الإنسان يقصد بنذره غير وجه الملك الديان، لرجع إليكفر اليدىن، ولم يجد ناذراً للنبيصلى الله عليه وآله، أو الصحابه، أو الحسنين عليهما السلام. وكيف يقصدونهم بنذورهم وعباداتهم مع علمهم بمماتهم؟ وإذا دخلوا إلى مواضع قبورهم قرأوا لهم القرآن، وأهدوا إليهم منصلاتهم بعض ما كان، ودعوا لهم برفعهُ الدرجات، وزيادة الأجر عند ربِّ السماوات، فإن كانوا معبودين باعتقادهم، فكيف يهدون إليهم عبادة العبيد؟!

ليت شعرى كم من الفرق بين مَنْ يَعْبُدُ لِيُقْرَبَ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وبين مَنْ يُعْبُدُ اللَّهَ عَنْهُ لِيُقَرِّبَهُ اللَّهُ زُلْفَى.

والله ما نُذِرَتْ ندور، ولا جُزِرَتْ جزور، مَمَّنْ يَتَّصِفُ بالايمان، ويقرُّ بالشهادتين بالقلب واللسان، إلالوجه الملك الديان، وطلباً لرضا الواحد المتان.

فمن كانت هذه مقاصدهم، وعلى ذلك بنوا قواعدهم، كيف ينسبون إلى عبادة غير الله، ويُشَبِّهُون بعبدة الأصنام المُشْبِتِينَ شريكاً للملك العلام؟!

ليت شعرى لو أن الرُّسل جاءت بالسجود للأحجار، أو لبعض الكواكب والأشجار، لم يكن ذلك السجود لإعابدة للملك الجبار؛ لأنَّ الطاعة للأمر لا لمن يكون له فى ذلك الاظهار.

ولو أن الناظر لصور الكواكب وهيئة الأفلاك، تدبَّرها تفكُّراً فى عظمة الخالق، وسجد، كان عابداً لمدبِّرها.

ثم ليس المراد بالعبادة مجرَّد الخضوع والتذلل، كما هو المعنى القديم، بل يُراد معنى جديد، وهو التذللُ الخاص، على شرط أن يكون فى كمال الصفاء والإخلاص.

وعلى فرض أن يصدر من بعض أعوام المسلمين؛ لعدم قريهم من محال

ص: ١١٧

العلماء العاملين، فلا ينبغي معاملة الجميع بهذه المعاملات، والبناء على نسبتهم إلى الشرك من دون قيام البيئات. فقف يا أخى فى مواضع الشبهات؛ لئلا تقع فى الهلكات. وإئى - والله - فرح مسرور بدفعك عن أبناء السبيل كل محذور، وأمرك بالصلاة والصيام، وإنفاذ ما شرع النبى (صلى الله عليه) من الأحكام، إلّا أئى أخشى عليك أن تأخذ العالم بذب الجاهل، والمنصف بورطه المعاند المجادل، وفقنا الله لطريق الصواب، والفوز برضاه فى يوم الحساب، فإنه أرحم الراحمين.

المقصد الخامس: فى القسم بغير الله

لا يرتاب مسلم فى أن القسم بغير الله، على وجه إرادة صاحب العظمة والكبرياء والملكوت والقدرة والجبروت، باعث على الخروج عن ربة المسلمين (١).

وأما إرادة مجرد التأكيد، فلا يلزم منه كفر ولا إشراك بديهه، إذ ليس مدار الكفر على مجرد العبارات. ويدل على ذلك أنه قد ورد القسم بغير الله متواتراً فى كلام الصحابة والتابعين، بل فى كلام خاتم النبيين صلى الله عليه وآله.

فى كتاب على عليه السلام إلى معاوية: لعمري، لأن نظرت بعقلك دون هواك، لتجدنى أبرأ الناس من دم (عثمان) (٢). وفى كلام له آخر: وأما تحذيرك إئى أن يحبط عملى وسابقتى فى الإسلام، فلعمري، لو كنت الباغى عليك لكان لك أن تحذرنى ذلك.

١-١ هكذا فى الأصل.

٢-٢ نهج البلاغة: ٣٦٧.

ص: ١١٨

وفى كتاب معاوية: فإن كنت أبا حسن إنما تحارب عن الإمرة والخلافة، فلعمري، لو صحت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر فى حرب المسلمين.

وقد وقع هذا القسم بلفظ (لعمري) فى كلام الصحابة والتابعين، فى نثرهم وشعرهم كثيراً، بحيث يتعذر ضبطه. وعن بعض أهل البيت أن واحداً من أصحابه حلف عنده: وحق رسول الله صلى الله عليه وآله، وحق علي ما فعلت (كذا)، وأقره على ذلك.

وفى حديث طلحة: إن رجلاً من أهل (نجد) جاء يسأل عن الإسلام، فقال:  
أفلح الرجل - والله - إن صدق (١).

وفى شرح مصابيح الطيبي عنصلى الله عليه وآله: أفلح الرجل وأبيه - والله -.

وحمل على أنها لم يرد بها حقيقة القسم، وإنما تجرى على اللسان لمجرد التأكيد.

وروى نصر بن مزاحم (٢)، عن رجاله، عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول لعِمَار: تقُتلك الفئة الباغية، وكان ذكره لأهل الشام قبل وقعة (صفين) بعشرين سنة، فسمعه عبدالله بن عمر العنسى، وكان أعبد أهل زمانه، فخرج ليلاً وأصبح فى عسكر على عليه السلام، فحدث الناس بقول عمرو، وقال شعراً:

والراقصاتُ بركب عابدينَ له إن الذى جاء من عمروٍ لمأثورٌ

ما فى مقال رسول الله فى رجلٍ شكُّ، ولا فى مقال الرسل تحبيرٌ

ومن الشعر المنقول عن على بن الحسين قوله:

«نحنُ وبيت الله أولى بالنبى»

١- صحيح البخارى كتاب الأيمان، حديث ٣؛ وسنن أبى داود كتاب الصلاة، حديث ١؛ سنن النسائي كتاب الصلاة، حديث ٤؛ سنن

الدارمي كتاب الصلاة، حديث ٢٠٨.

٢- ٢ وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤٣.

ص: ١١٩

وكم للصحابة والتابعين من حلف بشيئة رسول الله، وضريحه وعينه، وتربته، وليس هذا من القسم الحقيقي في شيء، إذ المراد مجرد التأكيد والتثبت دون حقيقة القسم التي هي مدار القضايا والحكومات، وتدور عليها ما لزم من الكفارات. فما ورد عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله؛ إن الله نهاكم أن تحلفوا بآبائكم (١). وفي الصحيحين: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله، أو يصمت (٢). وعن عبد الرحمن بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وآله: لا تحلفوا بالطواغي، ولا بآبائكم، رواه مسلم (٣). وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، رواه أبو داود، والنسائي (٤). وعن بريدة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من حلف بآبائه فليس منا (٥). فهذه الأخبار محمولة على من قصد اليمين الحقيقي المثبتة والنافية التي ترتب عليها الكفارة، فإنها لا تكون إلا بالله، كما يرشد إليه ذكر الطواغيت، والأنداد. ونقل عن أحمد أن الحلف بالنبي صلى الله عليه وآله ينعقد؛ لأنه أحد ركني الشهادة، أو يُحمل على الكراهة، كما في شرح (المنهاج) وفيه: الحلف بالمخلوق كالنبي، والكعبة، وغيرهما مكروه، لقوله صلى الله عليه وآله: لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا تحلفوا إلا بالله. والتحقيق أن الحلف غير المقصود معناه لا بأس به.

١- ١ سنن النسائي كتاب الأيمان والندور ٤: ٤.

٢- ٢ صحيح مسلم كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، حديث ٣.

٣- ٣ صحيح مسلم كتاب الأيمان، حديث ٦. والطواغي هي الأصنام. ومفردتها طاغية. وكل من طغى وجاوز الحد المعتاد من الشر سُمي طاغية.

٤- ٤ سنن أبي داود ٣: ٢٢٢، حديث ٣٢٤٨؛ وسنن النسائي كتاب الأيمان والندور ٤: ٤.

٥- ٥ سنن أبي داود ٣: ٢٢٣، حديث ٣٢٥٣.

ص: ١٢٠

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: اليمين على نية المستحلف (١).  
القسم الثاني: أن يُراد به الإثبات والنفي، فإن كان مأخوذاً عن دليل، لم يكن فيه بأس، وترتب عليه الأثر عند الفقيه المُثبِت له، ولم يكن عليه شيء، وإن قصد بالحلف بالمخلوق أنه ذو الكبرياء والجبروت والمُلْك والملكوت، فهو كفر.  
وربما نزل عليه ما رواه ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله: إنَّ مَنْ حلف بغير الله فقد أشرك، رواه الترمذى (٢).  
وروى عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله: إنَّ مَنْ حلف بغير الله فقد كفر.  
أو ينزل هذا على المبالغة، كما ورد في كثير من فعل المعاصى وترك الواجبات، وما عدا هذا القسم والذي قبله بناؤه على الكراهة، إذ لو كان حراماً ما صدر من الصحابة بمحضر من الناس، ولم ينكر عليهم.  
مضافاً إلى أنه ممّا توفّر الدواعى على نقله، ولو كان محرماً للهجتاً به ألسنة الخطباء والوعاظ، ولم يخفَ على الصبيان، فضلاً عن العلماء الأعيان، وليس الغرض المهمّ سوى دفع الكفر عن الناس إذا صدر منهم مثل ذلك.  
وتفصيل الحال: أنَّ القَسَمَ والعهد بغير الله إنَّ قَصْدَهُ بهما ذو العزّة والجلال، والعلو فوق كلِّ عال، كما يحلف المريب بربه، فلذلك كفرٌ وإشراك.  
وإنَّ قصد ترتب الأحكام عليه من إثبات حقوق الناس، ولزوم الكفّارات، فذلك تشريعٌ وعصيان، إلّا مَنْ أثبت ذلك بزعم الدليل والبرهان، وإن رأى وجوب العمل بذلك لمجرد الإكرام؛ لأنَّ عدم العمل ينافى الاحترام، فلا أرى فيه بأساً فى المقام.  
وإنَّ أريد به مجرد التأكيد من دون ترتب بشيء من الأحكام، فأولى بالدخول

١-١ هذا هو القسم الأول.

٢-٢ سنن الترمذى كتاب النذور، باب ٩؛ وسنن النسائى كتاب الأيمان، باب ٤، وابن ماجه كتاب الكفّارات، باب ٢؛ سنن الدارمى كتاب النذور، باب ٦.

ص: ١٢١

في المباح، والخروج من الحرام. وإن وقع لغواً وهذراً من غير قصد، فلا يُعدُّ من الأيمان، ولا مدار عليه في شيء كائنًا ما كان، والله الموفق.

المقصد السادس: في الاستغاثه

لا يخفى أن الاستغاثه بالمخلوق على أنه الفاعل المختار مدخل للمستغِيث في أقسام الكفار، وإنما المراد منه طلب الشفاعة وسؤال الدعاء.

وقد روى النسائي والترمذي في حديث الأعرابي أن النبي صلى الله عليه وآله علمه قول:

يا محمد إنني توجَّهت بك إلى الله، ونحوه ما في حديث ابن حنيف (١).

وروى البيهقي في خبر صحيح أنه في أيام عمر رضى الله عنه جاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمد استسق لأمتك فسقوا (٢).

وروى الطبراني وابن المقرئ وأبو الشيخ أنهم كانوا جوعاً، فجاؤوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله الجوع، فأشبعوا. وروى البيهقي عن مالك الدار خازن عمر رضى الله عنه، قال: أصاب الناس قحط، فذهب إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: استسق لأمتك فقد هلكوا، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله في المنام، وقال له: قل لعمر: إنهم سقوا.

ومن ذلك قوله تعالى: فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ (٣).

وعن معاذ أنه لما كان في اليمن جاءه نعي النبي صلى الله عليه وآله، فرجع وهو يقول:

يا محمداه، يا أبا القاسماه، وبقي على ذلك برهه من الزمان. وفيه ظهور بالاستغاثه.

١-١ سنن الترمذي كتاب الدعوات، باب ١١٨؛ وسنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ١٨٩، حديث ١٣٨٥. وابن حنيف هو عثمان بن حنيف الأنصاري، سكن الكوفة، ومات في خلافة معاوية.

٢-٢ سنن البيهقي ٣: ٣٢٦.

٣-٣ سورة القصص: ١٥.

ص: ١٢٢

وعن أبي بكر بن محمد بن الفضل أن (بلائاً) لما أخذ في النزاع، قالت امرأته:  
 وا ويلاه وا حزناه، فقال لها: لا تقولى وا حزناه، فإني قصدت الذهاب إلى محمد وحزبه.  
 وروى الكازرونى ندبة الزهراء عليها السلام، وروى ندبة معاذ النيصلى الله عليه وآله. وعن النعمان ابن بشير، قال: أغمى على عبد الله  
 بن رواح، فجعلت اخته عمرة تبكى وتقول:  
 وا جبلاه (١).

وما روى عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه ما من ميت يموت، فيقوم بأبيه ويقول: وا جبلاه، وا سيداه إلو كل الله به  
 ملكين يلهزانه، ويقولان له: أكان هكذا؟! فمبني على النهي عن العزاء والبكاء.  
 وفى قصة إدريس أن المطر انقطع عن قومه عشرين سنة، فجاؤوا إليه يدعو لهم.  
 وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أن ملكاً غضب الله عليه، فأهبط من السماء، فأتى إدريس، فاستشفع به، فدعا له، فأذن له فى  
 الصعود، فصعد.

وفى الحقيقة أن المستغيث بالمخلوق إن أراد طلب الدعاء والشفاعة من المستغاث به، فلا بأس به، وإن أراد إسناد الأمور بالاستقلال  
 إليه، فالمسلمون منه براء.

على أننا بينا فيما سبق أن الاستغاثة بدار (زيد)، وصفاته، وغلماؤه، وخدمته، ربما أريد بها الاستغاثة به، فيكون هذا أولى فى بيان ذل  
 المستغيث، وأنه لا يرى لسانه أهلاً لأن يجرى عليه اسم المولى؛ ولهذا ترى أن طاعة الله تُذكر بعدها طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وآله ورضاه يذكر بعد رضا الله ورسوله، وإذا انفردت إحداهما دخلت فيها الأخرى.

ص: ١٢٣

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال؛ مَنْ أطاعني فقد أطاع الله، وَمَنْ عصاني فقد عصى الله، وَمَنْ يُطع الأمير فقد أطاعني، وَمَنْ يَعص الأمير فقد عصاني (١).

وكيف يُستغاث حقيقةً بمن لا يدفع عن نفسه ضراً ولا شراً، ولا يملك رزقاً، ولا موتاً، ولا حياةً ولا نشوراً، المبدأ من تراب، ثم نطفة مودعة في الأصلاب، ثم جسم مُعرَّض للبلبات، ثم بعدها يكون من الأموات.

وإنما شرفه بالعبودية والانقياد للحضرة القدسية، ولولا- أمر الله ما سِجَّع له كلام، ولا رُفِع له مقام، وليس بيننا وبينه ربط سوى أمر الملك العلام.

فليس المراد بالاستغاثه إلّا طلب الدعاء من المُستغاث به، لما في الحديث القدسي: يا موسى ادعني بلسانٍ لم تَعصني فيه، فقال: يارب وأين ذلك؟ فقال:

لسان الغير.

فالمستغيث إن طلب أصالته واستقلالاً من المستغاث به، كان معوّلاً عليه في كل أمر يرجع إليه، وإلّا فالمستغاث به حقيقةً هو الذي تنتهي إليه الامور.

وكذلك الدعاء إن قَصِدَ أن المدعو هو الفاعل المختار الذي تنتهي إليه الأشياء، فذلك كفر برب السماء، وإن اريد المجاز، فلا يدخل تحت حقيقة الدعاء.

ولا- ريب أن كل مَنْ قال لشخص: أعني على بناء الدار، أو قضاء الدين، أو قال: أعطني، أو غير ذلك، بقصد الدعاء، أعني: طلب المرئوب من الرب، فهو كفرٌ وإشراك. وإن قصد الطلب لا على ذلك النحو، لم يكن كفراً.

ولو كان المدار على هذه الصورة، لكُفِّرَت الخلائق من يوم آدم إلى يومنا هذا، بلصدور هذه العبارات عن الأنبياء والأوصياء أبين من الشمس.

١- صحيح البخارى كتاب الجهاد، باب ١٠٩؛ صحيح مسلم كتاب الامارة، باب ٢٣؛ سنن النسائي كتاب البيعة، باب ٢٧؛ ابن ماجه

المقدمه، باب ١. وقد رويت الإمام، أميرى.



ص: ١٢٤

وكذلك (الاستجارة)، و (الندبة)، ونحوهما، فإن كانت على الطور المعهود، كقوله تعالى: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ (١)

، فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ (٢) فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ (٣)

، فلا محيص عن القول بجوازه. فتفاوت العبارات باختلاف التيات.

فمن كان داعياً دعاء الأصنام وسائر الأرباب، أو مستغيثاً كذلك، فهو كافر مشرك. وإن أراد المتعارف بين سائر الناس، فليس به بأس. فبحق مَنْ شَقَّ سَمْعَكَ وبصرِكَ، أن تُمَعِنَ فِي هَذَا الْمَقَامِ نَظْرَكَ، وَتُصَفِّيَ نَفْسَكَ عَنِ حَبِّ الْإِنْفِرَادِ، كَمَا يَلْزِمُنَا التَّخْلِيَةَ عَنِ حَبِّ مَتَابَعَةِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ.

ولا- فرق بين الأحياء والأموات؛ لأنَّ من استغاث بالمخلوق أو استجار على أنه فاعلٌ مختار، فقد دخل في أقسام الكفر، فالاستغاثة بعيسى أو بمریم، حَيِّينَ أَوْ مَيِّتِينَ، تقع على القسمين.

واعتقاد أن الميِّت يسمع أو لا يسمع، ليس من عقائد الدين التي تجب معرفتها على المسلمين، فمن اعتقدها: فإمَّا أن يكون مصيباً مأجوراً، أو مخطئاً معذوراً.

ومن ذلك القبيل الألفاظ التي تفيد الرجاء، والتوكُّل، والاعتماد، والتعويل، والالتجاء، والاستعانة بغير الله، فإنَّ هذه العبارات لو بُنِي على ظاهرها لم يبقَ في الدُّنْيَا مُسْلِمٌ، إِذْ لَا يَخْلُو أَحَدٌ مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى الْأَصْدِقَاءِ، وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَى الْأَمْرَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

إلَّا أَنَّهُ إِنْ قَصِدَ الْمَلْتَجِئُ إِلَيْهِ وَالْمَعْوَلُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهُ اخْتِيَارٌ وَتَدْبِيرٌ فِي الْعَالَمِ لِنَفْسِهِ لَا عَنِ أَمْرِ اللَّهِ، فَذَلِكَ كَفْرٌ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلَا بِأَس.

ومما يناسب نقله في هذا المقام ما نقله القتيبي، قال: كنت جالساً عند قبر

١- ١ سورة التوبة: ٦.

٢- ٢ سورة القصص: ١٥.

٣- ٣ سورة البقرة: ٦١.

ص: ١٢٥

رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله فجاء أعرابي، فسلم على النبي صلى الله عليه وآله، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبير أنت ساكنه فيه العفاف، وفيه الجود والكرم

ثم قال: ها أنا ذا يارسول الله، فقد ظلمت نفسى، وأنا أستغفر الله وأسألك يارسول الله أن تستغفر لى. قال القتيبي: ثم نمت، فرأيت

النبي صلى الله عليه وآله فى المنام، فقال: يا قتيبي أدرك الأعرابي وبشره أنه قد غفر الله له، قال: فأدركته وبشرته.

المقصد السابع: فى التوسل

ولا ريب أنه من سنن المرسلين، وسيرة السلف الصالحين، ودلت عليه الأخبار والآثار.

نقل أن آدم لما اقترف الخطيئة، قال: ياربى أسألك بحق محمد صلى الله عليه وآله لما غفرت لى، فقال: يا آدم كيف عرفت؟ قال:

لأنك لما خلقتنى نظرت إلى العرش، فوجدت مكتوباً فيه: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك، فعرفته

أحب الخلق إليك. صححه الحاكم (١).

وعن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: ادع الله أن يعافينى، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إن

شئتصبرت فهو خير لك، وإن شئت دعوت، قال:

فادع، فأمره أن يتوضأ، ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إنى توجهت بك

إلى ربى فى حاجتى ليقضيهالها، اللهم شفعه فى) (٢).

١-١ مستدرک الحاكم ٢: ٦١٥.

٢-٢ سنن الترمذى كتاب الدعوات، باب ١١٩، حديث ٣٥٧٨؛ وسنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة، باب ١٨٩، حديث ١٣٨٥.

ص: ١٢٦

وفيه دلالة على جواز الشفاعة في الدنيا، وعلى الاستغاثه، رواه الترمذى، والنسائى، وصححه البيهقى، وزاد: فقام وقد أبصر. ونقل الطبرانى عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان فى حاجته، فكان لا يلتفت إليه، فشكا ذلك لابن حنيف، فقال له: اذهب وتوضأ وقل:... (وذكر نحو ما ذكر الضرير)، قال: فصنع ذلك، فجاء البواب، فأخذه وأدخله على (عثمان)، فأمسكه على (الطنفسه) وقضى حاجته (١)..

وروى أنه لما دعا النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة بنت أسد، قال: اللهم إني أسألك بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى... (إلى آخر الدعاء) (٢).

وفى الصحيح عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا أقحط الناس استسقى بالعباس، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك، ونستشفع إليك بشيئته، فسقوا (٣).

وروى الشيخ عبد الحميد (بن أبى الحديد) عن على عليه السلام أنه قال: كنت من رسول الله كالعضد من المنكب، وكالذراع من العضد، ربانيصغيراً، وواخانى كبيراً، سألته مرة أن يدعو لى بالمغفرة، فقام فصلّى، فلما رفع يديه سمعته يقول:

اللهم بحق على عندك اغفر لى، فقلت: يارسول الله ما هذا؟ فقال: أو أحد أكرم منك عليه، فأستشفع به إليه؟ (٤).

وفى هذين الخبرين دلالة على شفاعة الدنيا.

وفى مسند ابن حنبل أن عائشة قال لها مسروق: سألتك بصاحب هذا القبر ما الذى سمعت من رسول الله (يعنى: فى حق الخوارج)؟ قالت: سمعته يقول: إنهم

١-١ سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة، باب ١٨٩، حديث ١٣٨٥.

٢-٢ كنز العمال ٦: ١٨٩.

٣-٣ صحيح البخارى كتاب الاستسقاء، باب ٣؛ و كتاب فضائل أصحاب النبي، باب ١١.

٤-٤ شرح نهج البلاغه ٤: ٥٥٨.

ص: ١٢٧

شُرُّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة (١).  
وعن الأعمش أن امرأةً ضريرةً بقيت ستة ليال تُقسِمُ على الله بعلَى، فعوفيت.

فما رواه جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أتاه أعرابي، فقال: جهدت الأنفس، وجاع العيال، فاستسق لنا، فإننا نستشفع بك إلى الله، ونستشفع بالله عليك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ويحك إنَّه لا يستشفع بالله على أحد، شأن الله أعظم»، فليس ممَّا نحن فيه؛ لأنَّه نهى عن الاستشفاع بالله لا بأحد إلى الله.

وعن عليٍّ أنه قال لسعد بن أبي وقاص: أسألك برحم ابني هذا، وبرحم حمزة عمي منك ألا تكون مع عبد الرحمن (٢).  
وعن عائشة (رض) أن النبي أسرَّ إلى فاطمة سراً، فبكت بكاءً شديداً، فسألتهَا، فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما قبضَ سألتها وقلتُ لها:  
عزمتُ عليك بما لي عليك من الحقِّ، (... الخبر) (٣).

وروى أبو مخنف عن أبي الخليل، قال: لما نزل طلحة والزبير في موضع (كذا)، قلت: ناشدتكما الله وصيحيه رسول الله صلى الله عليه وآله وروى أبو مخنف عن أبي الخليل، قال: لما نزل طلحة والزبير في موضع (كذا)، قلت: ناشدتكما الله وصيحيه رسول الله صلى الله عليه وآله و

وعن علي عليه السلام أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وطلب بين يديه، وجعل يحد النظر إليه، فقال: يا يهودي ما حاجتك؟  
فقال: أنت أفضل أم موسى؟ فقال له: إنَّه يكره للعبد أن يزكى نفسه، ولكن قال الله تعالى: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (٤)  
إنَّ آدمَ لما أصابته خطيئته التي تاب منها كانت توبته (اللهمَّ إنِّي أسألكَ بمحمَّد وآل محمَّد لما

١-١ سنن الدارمي كتاب الجهاد، باب ٣٩؛ مسند أحمد بن حنبل ١: ١٤٠؛ سنن ابن ماجه المقدمه، باب ١٢، حديث ١٧٠.

٢-٢ الترمذى ٥: حديث ١٧٠.

٣-٣ صحيح البخارى ٤: ٢١٠؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٠٥؛ الترمذى ٥: ٦٥٨.

٤-٤ سورة الضحى: ١١.

ص: ١٢٨

غفرت لي)، فُغْفِرَ له (١).

وعن علي عليه السلام أنه بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله قام عند قبره الشريف، فقال مخاطباً له: طبت حياً وطبت ميتاً، انقطع عنا بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوة والأنباء، وأخبار السماء، (والحديث طويل) إلى أن قال: بأبي أنت وأمي اذكرونا عند ربك، واجعلنا من بالك وهمك.

ونقل الشيخ عبد الحميد أن معاوية سأل عقيلاً عن علي عليه السلام، فقال له عقيل: يا معاوية جاءته زقاق عسل من اليمن، فأخذ الحسين منها رطلاً واشترى إداماً لخبزه، فلما جاء علي ليقتسمها قال: يا قنبر! أظن أنه قد حَدَثَ بهذا حدث؟ قال:

نعم، وأخبره بقصة الحسين عليه السلام فغضب، وقال علي (بحسين) فرجع الدرّة عليه، وقال: بعمي (جعفر)، (وكان إذا سُئِلَ بحق جعفر سكن)، فأجابه (الحسين) بما أجاب.

ونقل الشيخ عبد الحميد أن رجلاً وفد من مصر، فاستعاذ بعمر. وكيف كان فقد بان أن مَنْ تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ (بمعظم) من: قرآن، أو نبى، أو عبد صالح، أو مكان شريف، أو بغير ذلك، فلا بأس عليه، بل كان آتياً بما هو أولى وأفضل.

ولا بأس بالتوسُّط بحق المخلوقات، فإنَّ للمولى على عبده حقَّ المالكية، وللعبد حقَّ المملوكية، وللخادم حقَّ الخدمة، وللأرحام حقَّ الرحم، وللصديق حقَّ الصداقة، وللجار حقَّ الجوار، وللصاحب حقَّ الصحبة. فالحقَّ عبارة عن الرابطة بأيِّ نحو اتَّفقت، وعلى أيِّ جهة كانت.

وعلى ذلك جرت عادة السلف من أيام النبي صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا، لا ينكره أحدٌ من المسلمين، والدعوات، والمواعظ مشتملة عليه، والإجماع منعقد عليه، فلم يبقَ في المقام إشكال، ولا بقى محلّ للقول والقال، والله وليّ التوفيق، وهو أرحم الراحمين.

ص: ١٢٩

طواف النساء ونبذة من أحكامه في فقه الشيعة

**طواف النساء ونبذة من أحكامه في فقه الشيعة**

طواف النساء ونبذة من أحكامه في فقه الشيعة

عبد الكريم آل نجف

يقع البحث الفقهي في طواف النساء من جهات متعددة تأتي عليها تباعاً:

اختصاص الفقه الإمامي بهذا الطواف

يعدّ القول بوجود طواف في الحج اسمه طواف النساء من جملة مختصّيات الفقه الإمامي، قال السيّد المرتضى في الانتصار: «ومما انفردت الإمامية به القول: بأنّ من طاف طواف الزيارة فقد تحلّل من كلّ شيء كان به محرّماً إلّا النساء فليس له وطؤهنّ إلّا بطواف آخر متى فعله حللن له وهو الذي يسمّونه طواف النساء» (١).

وليس لدى المذاهب الأخرى طواف بهذا الاسم وهذه الصفة، وقد لخصّ ابن قدامة أطوفه الحجّ عند الجمهور بقوله: «الأطوفة المشروعة وطواف القدوم وهو سنّة لا شيء على تاركه، وطواف الوداع واجب ينوب عنه الدم إذا تركه، وبهذا قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري... وما زاد على هذه الأطوفة فهل نفل» (٢).

١- الانتصار: ٢٥٥.

٢- ٢ المغني، عبد الدين قدامة ٣: ٤٦٨ ط دار الكتاب العربي.

ص: ١٣٠

وعلق عبد الرحمن بن قدامة على كلام المغنى بما يؤيده وذلك في الشرح الكبير (١).  
 إلّا أنّ الذي يراجع الفقه الزيدى يجد فيه عنوان طواف النساء المذكوراً كتسميه من تسميات طواف الزيارة لا كطواف مستقل. ففي كتاب الأحكام لحسين ابن الحسين (ت ٢٩٨) نقرأ أنّ طواف النساء هو طواف الزيارة (٢).  
 وفي شرح الأزهار لأحمد المرتضى (ت ٨٤٠) نقرأ في بعض التعليقات والحواشي: «أنّ طواف الزيارة يقال له طواف النساء وطواف الإفاضة وطواف الفرض؛ لأنه يحلّ به النساء ولأنّ فيه زيارة البيت العتيق ولا يتمّ الحجّ إلّاه» (٣).  
 وواضح أنّ ما يقوله الإمامية شيء غير التسمية، وهو أنّ طواف الزيارة يحلّل ما غير النساء من المحرّمات، وأنّ النساء لا تحلّ إلباتيان طواف آخر يكون في نهاية الحجّ اسمه طواف النساء.

هل يقوم طواف الوداع مقام طواف النساء؟

والمسألة لا خلاف عندهم فيها سوى خدشه وردت من مصادر متعدّدة، وأفادت بأنّ طواف الوداع يقوم مقام طواف النساء. فقد ورد في التهذيب عن إسحاق بن عمّار عن الصادق عليه السلام قال: «لولا ما منّ الله به على الناس من طواف الوداع؛ لرجعوا إلى منازلهم ولا ينبغي لهم أن يمسوا نساءهم...» (٤).

ونقل العلامة في المختلف عن الصدوق الأب قوله: «ومتى لم يطف الرجل طواف النساء لم يحل له النساء حتّى يطف، وكذلك المرأة لا يجوز لها أن تجامع حتّى تطوف طواف النساء، إلّا أن يكونا طافا طواف الوداع فهو

١-١ المصدر نفسه ٣: ٤٦٩ عبارة الشرح الكبير في هامش المغنى.

٢-٢ الأحكام ١: ٢٩٧، ٣٠٢.

٣-٣ شرح الأزهار ٢: ١٢٩، طصنعا.

٤-٤ تهذيب الأحكام ٥: ٢٥٣، ح ٨٥٦. تحقيق السيّد حسن الخرسان.

ص: ١٣١

طواف النساء..» (١).

ثم جاء من بعده ابنه الصدوق الثاني فقال في من لا يحضره الفقيه:

«وروى فيمن ترك طواف النساء أنه إن كان طاف طواف الوداع فهو طواف النساء» (٢).

فأصبحت هذه النقولات الثلاثة مثار بحث بين فقهاء الإمامية حول حقيقة طواف الوداع وما له من دور في التحليل.

فقد استشكل العلامة على كلام ابن بابويه بأن «هذا القول في غاية الإشكال فإن طواف الوداع مستحب وطواف النساء واجب، فكيف

يجزئ طواف الوداع عن طواف النساء» (٣).

وتعرض إلى رواية التهذيب فقال: «فإن استند إلى رواية إسحاق بن عمار عن الصادق عليه السلام... قلنا: إن في إسحاق بن عمار قولاً

ومع ذلك فهي معارضة بغيرها من الروايات، وابن الجنيد سمى طواف النساء طواف الوداع وأوجبه» (٤).

وعلى هذا المعنى مشهور الفقهاء فنجد في المتأخرين صاحب الجواهر يقول:

«وعلى كل حال فظاهر ما سمعته من النص والفتوى وجوب قضائه وإن كان قد طاف طواف الوداع مضافاً إلى كونه مستحباً فلا يجزئ

عن الواجب، لكن قال الصادق عليه السلام في خبر إسحاق: لولا ما من الله به على الناس من طواف الوداع...»

الخ، بل عن علي بن بابويه مع إمكان اختصاصه بالعامية الذين لا يعرفون وجوب طواف النساء وإرادة المنه على المؤمنين بالنسبة إلى

نسائهم الغير العارفات، وكون المراد أن الاتفاق على فعل طواف الوداع سبب لتمكن الشيعة من طواف النساء إذ

١- ١ المختلف ٤: ٢٠٢. ط جماعة المدرسين - قم.

٢- ٢ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٩١. ط جماعة المدرسين - قم.

٣- ٣ المختلف ٤: ٣٠٢، كذلك: ٢٠٢.

٤- ٤ المصدر نفسه: ٢٠٣.



ص: ١٣٢

لولا لزمتمهم التقيّة بتركه غالباً» (١).

سوى أنّ المحقّق البحراني ناقش العلامه الحلّي فأورد كلامه السابق ثمّ علّق عليه بقوله: «أقول: لا يخفى عليك أنّ مستند الشيخ على بيانه في غير موضع وهذه العبارة عين عبارته عليه السلام في الكتاب المذكور، ولكنّ الجماعة لم يصل إليهم الكتاب فاعترضوا عليه بمثل ما هو مذکور هنا وغيره، وإلى هذه الرواية أشار ابنه في من لا يحضره الفقيه أيضاً حيث قال بعد روايته معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام...

وروى في من نسي طواف النساء أنّه إن كان طاف طواف الوداع فهو طواف النساء. وظاهر جملة من الأصحاب منهم شيخنا الشهيد في الدروس حمل الناس في رواية إسحاق بن عمّار المذكورة على العامّة، والظاهر أنّ الوجه فيه من حيث إنّ العامّة لا يرون وجوبه، وكان يرجوعهم دون الإتيان به تحرم عليهم النساء، فوسّع الله بكرمه عليهم جعل طواف الوداع لهم قائماً مقامه في تحليل النساء لهم، إلّا أنّه لما ورد في أخبارنا كما عرفت من كلامه عليه السلام في كتاب الفقه ثبوت ذلك للناس أيضاً، فالواجب حمل خبر إسحاق على ذلك فيكون من نسي طواف النساء ممّا فإنّه تحلّ له النساء بطواف الوداع وإن وجب عليه التدارك، ولا بعد في ذلك بعد قيام الدليل عليه وإن لم يكن مشهوراً عندهم، وأتمّ ما اعتلّ به في المختلف من أنّ طواف الوداع مستحبّ ولا يجزئ عن الواجب فهو على إطلاقه ممنوع فإنّصيام يوم الشكّ مستحبّ من شعبان ويجزئ عن شهر رمضان لو ظهر كونه منه والله العالم» (٢).

ووافق الفيض الكاشاني كلام البحراني في قيام طواف الوداع مقام طواف النساء مع لزوم التدارك (٣).

١-١ جواهر الكلام ١٩: ٣٩٠ ط دار الكتب الإسلامية.

٢-٢ الحدائق ١٦: ١٨٥-١٨٦، ط جماعة المدرّسين - قم.

٣-٣ الوافي ١٤: ١٢٣١، ط اصفهان.

ص: ١٣٣

وهنا عدّة مواقع للنظر:

١- في السند، فإنّ العلامة حاول الخدش فيه حينما قال: إنّ في إسحاق بن عمّار قولاً، وغرضه ما قاله الشيخ في الفهرست عن إسحاق بن عمّار الساباطي:

كان فطحياً إلّا أنّه ثقة، فمع التوثيق تُعدّ فطحيته خدشاً فيه، وقد قال بعض أعلام الرجال إلى اتّحاده مع إسحاق بن عمّار الساباطي الذي ذكره النجاشي ووصفه بأنّه:

شيخ من أصحابنا ثقة.. وهو في بيت كبير من الشيعة (١).

فترفع الخدش بذلك كلياً.

٢- حاول المحقّق البحراني أن يؤكّد صحّة متن روايته إسحاق بمرسله الصدوق الابن معتبراً كلام الصدوق الابن إشارة إليها، وأكّدها أيضاً بأنّ كلام علي بن بابويه الصدوق الأب يستند إلى كلام الإمام الرضا عليه السلام في الكتاب المنسوب إليه باسم فقه الرضا وأنّ متن عبارته وارد في الكتاب المذكور. إلّا أنّ الذي يطالع النسخة المطبوعة حالياً وفي الكتاب لا يجد فيها ما يطابق رواية إسحاق، ولعلّ نسخة البحراني غيرها. كما أنّ الفقه الرضوي احتمل فيه الأعلام احتمالات عديدة أضعفها نسبهته إلى الإمام الرضا عليه السلام، وهو الاحتمال الذي اعتقده المجلسي الأب والابن ومن قارب عصرهما ومنهم المحقّق البحراني، وأفواها نسبهته إلى الشلمغاني وأنّه كتاب التكليف الذي كتبه في أيام استقامته ورواه عنه علي بن بابويه القمي رحمه الله (٢)، كما هو الرأى الذي اعتقده السيّد حسن الصدر، واستدلّ عليه في كتابه «فصل القضاء في الكشف عن حال فقه الرضا».

ومهما يكن من أمر فإنّ كلام الصدوقين الأب والابن يصلح لتعزيد روايته إسحاق ويجعلها في مقام تستحقّ فيه اعتباراً كافياً.

١- ١ معجم رجال الحديث ٣: ٢٢٢-٢٢٣، ط ٥.

٢- ٢ الذريعة ١٦: ٢٣٤.

ص: ١٣٤

٣- أمّا ما نقله العلامة عن ابن الجنيد من أنه سمى طواف النساء طواف الوداع وأوجهه فإنّه يصلح شاهداً للطرفين معاً، ولا تختصص صلاحيته بمعارضه من يقول بقيام طواف الوداع مقام طواف النساء، بل قد يدعى هذا القائل بأنّ دلالة عمل ابن الجنيد على ذلك أكبر من دلالة على عدم قيام طواف الوداع مقام طواف النساء، فلعلّ ابن الجنيد يريد بذلك أنّ طواف النساء عندنا هو نفسه الذي يسميه العامة بطواف الوداع سوى أنهم لم يلتفتوا إلى أثره في تحليل النساء على الرجال وبالعكس فادّعوا استحبابه، وغفلت هذه لا تؤثر في الواقع الشرعي شيئاً. ولا أقلّ من إجمال لأدلة عمل ابن الجنيد، فلا يكون مرجحاً لقول على آخر.

٤- أمّا مسألة أنّ المستحبّ لا يقوم مقام الواجب فكلام البحراني فيها أولى بالاعتبار من كلام العلامة. وإضافة إلى ما قاله البحراني في ردّه فإنّ القائل بقيام طواف الوداع مقام طواف النساء في التحليل ينظر إلى نفس العمل ويعتبر التسمية أمراً طارئاً لا أثر له في الواقع الشرعي. فمن أدّى هذا العمل ترتّب عليه الأثر الشرعي سواء كان ذلك العمل اسمه طواف الوداع أم طواف النساء. وما دام المكلف يقصد امتثال التكليف فإنّ الأثر الشرعي يترتب وإن كان المكلف قد اشتبه الحال عليه اجتهاداً أو تقليداً وتصوّر بأنّ ما جاء به مستحبّاً وكان في الحقيقة واجباً.

٥- أمّا مسألة احتمال أن يكون المقصود به العامة فهو احتمال صحيح جدّاً، لكنّه ينفع القائل بقيام طواف الوداع مقام طواف النساء، ولا ينفع من ينفي ذلك، فإنّ كلام الإمام عليه السلام في رواية إسحاق يجري مجرى الامتنان على العامة بأنّ قيامهم بطواف الوداع ينفعهم في التحليل بحيث كأنهم يأتون بطواف النساء وإن لم يقصدوه، بما يعنى أنّ قصد الوجه ليس دخيلاً في أن يأخذ طواف الوداع اثر طواف النساء، فالمهم أن يأتي المكلف في نهاية الحجّ بطواف، فإن أتى به نفعه في التحليل سواء كان بهذا الاسم أم بذاك، أو بلا اسم أصلاً، ولا خصوصية للعامة في هذه

ص: ١٣٥

المسألة حينئذٍ، فكلام الإمام وإن كان موجهاً نحو العامة إلّا أنّ النتيجة المأخوذة منه أعمّ وهي احتياج المكلف إلى طواف في آخر الحجّ تحلّ به النساء له، وأنّ العامي والإمامي يأتيان بهذا الطواف أحدهما يسميه طواف الوداع والثاني يسميه طواف النساء ولولا إتيان العامي بذلك لما حلّت له النساء، كما أنّ العامية المتروّجة من إمامي ما كان يحلّ لها فراش زوجها لولا ما أتت به من ذلك الطواف الذي تسميه بطواف الوداع. وتفسير رواية إسحاق بهذا الوجه يطابق القول بقيام طواف الوداع مقام طواف النساء، ومن الغريب أن يحمل صاحب الدروس وصاحب الجواهر كلمة الناس فيها على العامة، ثمّ يردّ القول بقيام طواف الوداع مقام طواف النساء.

٦- وبذلك ينتفي التعارض بين رواية إسحاق وبين الروايات الأخرى الدالّة على أنّ من نسي طواف النساء لم تحلّ له النساء حتّى يأتي به أو يبعث من يؤدّيه نيابة عنه، فكأنّ العلّامة فهم التعارض بين الطرفين فرجّح روايات من نسي طواف النساء على رواية إسحاق باعتبار أنّها رواية واحدة من غير إمامي، وتلك روايات عديدة من مشاهير الإمامية فلا تصلح رواية إسحاق لمعارضتها.

وقد اتّضح الآن عدم وجود تعارض بينهما، ولا تحتاج إلى الترجيح، ضرورة أنّ الذي يتمّ به التحليل إنّما هو الطواف لا التسمية ولا قصد من يقصدها، فإذا جاء المكلف به حلّت النساء للرجال وللرجال للنساء وإن لم يأت به لم يحصل التحليل بغضّ النظر عن التسمية وعن قصد من يقصدها. وعلى هذا فروايات من نسي طواف النساء ليست معارضة لرواية إسحاق بن عمّار؛ لأنّ الجميع بقوّة أن يقول القائل: من نسي الطواف الذي تحلّ به النساء على الرجال... الخ وهذا العنوان ينطبق على كلّ طواف يؤتّى به في آخر الحجّ مهما كانت تسميته فإن نسيه الحاج ولم يأت به وجب عليه العود والإتيان به أو أن يُنيب عنه من يأتي به.

٧- وبذلك اتّضح عدم جهاهه ما ذهب إليه صاحب الحدائق من لزوم

ص: ١٣٦

التدارك حتى على من أتى بطواف الوداع تقييداً منه بروايات من نسي طواف النساء، وكأنّ الذي جاء بطواف الوداع قد نسي طواف النساء فوجب عليه التدارك وأنّ طواف الوداع قد نفعه في حلية النساء فقط. ثمّ قال: ولا بعد في ذلك بعد قيام الدليل عليه وإن لم يكن مشهوراً عندهم، فكأنّ صاحب الحدائق قد جمع بين الدليلين بهذه الصورة. وقد اتضح أنّ الدليلين لا يحتاجان إلى الترجيح الذي ذهب إليه العلامة ولا إلى الجمع الذي ذهب إليه البحراني، بل إنّهما بمثابة دليل واحد؛ لأنّ الفرق بين من يأتي بطواف الوداع ومن يأتي بطواف النساء فرق في التسمية فقط، والتسمية لا أثر موضوعي لها في البين، فروايات من نسي ناظره إلى من نسي الطواف الذي يكون به تحليل النساء على الرجال وهذا العنوان يصدق على طواف الوداع، ومن يأتي به لا يكون ناسياً للطواف الذي يتم به التحلل من حرمة النساء، فلا يكون مورداً لتلك الروايات، ولا يكون ملزماً بالعود ولا الاستنابة.

وجوب طواف النساء

استدل الشريف المرتضى في الانتصار على وجوبه ب «الإجماع المتردد ولأنه لا خلاف أنّ النبي صلى الله عليه وآله فعله وقد روى عنه عليه السلام: خذوا عني مناسككم. وروى أيضاً عنه أنّه عليه السلام قال: من حجّ هذا البيت فليكن آخر عهده الطواف وظاهر الأمر الوجوب» (١).

واستدلّ عليه الشيخ في الخلاف بإجماع الفرقة وطريقة الاحتياط (٢).

واستدلّ عليه العلامة في المختلف بأنّ النبي صلى الله عليه وآله فعله، ورواية منصور بن حازم عن الصادق عليه السلام: ثمّ قد حلّ له كلّ شيء إلّا النساء حتى يطوف بالبيت طوافاً آخر

١-١ الانتصار: ٢٥٦. ط جماعة المدرّسين.

٢-٢ الخلاف ٢: ١٩٨. ط جماعة المدرّسين.

ص: ١٣٧

ثم قد حلَّ له النساء، وبالإجماع (١).

واستدلَّ على وجوبه في التذكرة بما رواه العائمه عن عائشه قالت: فطاف الذين أهلوا بالعمرة وبين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافاً آخر، ومن طريق الخاضة قول الرضا عليه السلام في قول الله عزوجل: وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ قال: هو طواف النساء (٢).  
والخلاصة أن وجوبه ممّا لا ينبغي الشكّ فيه ولا طريق للوسوسة إليه؛ لاستفاضة الأخبار عن الأئمة عليهم السلام فيه وقيام الإجماع عليه، إنّما يقع البحث في تفاصيل وجوبه في كونه واجباً في نفسه أم لأجل تحليل النساء؟ وهل نسيانه مبطل للحجّ أم لا؟ وهل تلزم الكفارة بتركه أم لا؟ وهل وجوبه خاصّ بمن له إربة في النساء أم عام يشمل غيره؟ وهل يجب في كلّ حجّ وعمرة أم لا؟ وهل تحريم النساء بنسيان الطواف يشمل العقد عليهن أم لا؟ وما حكم المواقعة قبل طواف النساء؟  
وأمثال هذه الجهات التي ترتبط بوجوب طواف النساء وتستحقّ البحث والدراسة.

نوع الوجوب في طواف النساء

إنّ كلّ أمر يطلب الإتيان به من قبل الشارع في عبادة من العبادات لا بدّ وأن يكون على واحدة من عدّة مراتب:

- ١- أن يكون ركناً في تلك العبادة، بمعنى أنّ الإخلال به سهواً أو عمداً يبطل تلك العبادة فيحتاج المكلف إلى إعادتها من جديد.
- ٢- أن يكون واجباً غيريّاً لا يقصد به لنفسه وإنّما يقصد به التوصل إلى غرض آخر مترتب عليه.

١-١ المختلف ٤: ٣٠١. ط جماعة المدرّسين.

٢-٢ التذكرة ٨: ٣٥٣.

ص: ١٣٨

- ٣- أن يكون واجباً نفسياً يقصد به لنفسه.
- ٤- أن يكون واجباً غيرياً من جهة ونفسياً من جهة أخرى.
- ٥- أن يكون واجباً تترتب على تركه الكفارة.
- وفي ضوء ذلك نتساءل عن رتبة طواف النساء ضمن هذه المراتب.
- أمياً الرتبة الأولى فقد اتفقت كلمات الأعلام على نفيها عن طواف النساء، قال الشهيد الأول في الدروس: «كل طواف واجب ركن إلّا طواف النساء» ثم قال: «لا يبطل تعمّد ترك طواف النساء، ويجب الإتيان به ولو كان تركه نسياناً» (١).
- وأيده السيد العاملي في المدارك (٢) والمحقق البحراني في الحقائق (٣) والشهيد الثاني في المسالك (٤) وادّعى الإجماع عليه. وقال الشيخ النجفي في الجواهر: «هو غير ركن فلا يبطل النسك بترك هيئته من غير خلاف كما عن السرائر لخروجه عن حقيقة الحجّ، قال الصادق عليه السلام في حجّ الحلبي: وعليه - يعني المفرد - طواف بالبيت وصلاة ركعتين خلف المقام وسعى واحد بين الصفا والمروة وطواف بالبيت بعد الحجّ» (٥) فإنّ تعبيره عن طواف النساء بأنّه طواف بعد الحجّ صريح في كونه خارجاً عن حقيقة الحجّ.
- والاحتمال الثاني هو المتبادر من النصوص ومن كلمات الفقهاء، ففي الصحيح عن معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام: في رجل نسي طواف النساء حتّى أتى الكوفة؟ قال: لا تحلّ له النساء حتّى يطوف بالبيت، قلت: فإن لم يقدر؟ قال: يأمر

١-١ الدروس ١: ٤٠٣-٤٠٤، ط جماعة المدرّسين.

٢-٢ المدارك ٨: ١٧٣، ط مؤسسة آل البيت.

٣-٣ الحقائق الناضرة ١٦: ١٥٧، ط جماعة المدرّسين.

٤-٤ مسالك الافهام ٢: ٣٤٨، مؤسسة المعارف الإسلامية.

٥-٥ جواهر الكلام ١٨: ٣٧٢، دار الكتب الإسلامية.

ص: ١٣٩

من يطوف عنه (١). وفتاوى الفقهاء على ذلك، قال الشيخ في النهاية: «ومن ترك طواف النساء متعمداً لم يبطل حجّه إلّا أنّه لا تحلّ له النساء حتى يطوف» (٢) وعادة ما يعدّ الفقهاء طواف النساء التحليل الثالث في الحجّ (٣). ولذا صرح السيّد الخوئي بأنّ وجوب طواف النساء «لأجل تحلّه للنساء ولو كان جزءاً للحجّ وجب عليه الإتيان به حلّت به النساء أم لا، فيعلم أنّه لا- مانع من حيث الحكم الوضعي من الرجوع إلى البلد بدون طواف النساء إلّا من حيث حليّة النساء، فكأنّه فرض لهم جواز الرجوع اختياراً ولكن لا- تحلّ لهم النساء، والحاصل طواف النساء وإن كان يجب الإتيان به ولا يجوز تركه بالمرّة، ولكن يظهر من الرواية أنّ وجوبه ليس بملاك وجوب الإتيان بأعمال الحجّ وأجزائه بل لأجل تحلّه للنساء» (٤). ولكن مع ذلك كلّه يصعب القطع بهذه النتيجة لوجود ما ينافيها، وأبرز ما ينافيها الروايات الدالّة على لزوم قضاء الولد عن أبيه إن فاتته طواف النساء، فإنّ أصل هذا الحكم يناسب الواجب النفسى، كما أنّ التعبير عنه بالقضاء يؤكّده؛ لأنّ القضاء يكون فى واجبات نفسية كالصوم والصلاة وأصل الحجّ والكفّارات ونحو ذلك. ففيصححه معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام ورد قوله عليه السلام: فإن هو مات فليقض عنه وليه أو غيره، فأما ما دام حيّاً فلا يصلح أن يقضى عنه (٥).

١- ١ وسائل الشيعة، أبواب الطواف، باب ٥٨، ح ٤، ج ١٣: ٤٠٦، انظر الحديث الثانى والسادس من الباب ط دارالأندلس- بيروت.

٢- ٢ النهاية: ٢٧٢.

٣- ٣ الخلاف ٢: ٣٢٨ ط دار الأندلس.

٤- ٤ المعتمد ٢: ٣٥٨.

٥- ٥ وسائل الشيعة ١٣: ٤٠٦. ط آل البيت.



ص: ١٤٠

وفي رواية اخرى: فإن توفي قبل أن يطاف عنه فليطف عنه وليه (١)، وفي رواية ثالثة: يأمر أن يقضى عنه إن لم يحج، فإن توفي قبل أن يطاف عنه فليقض عنه وليه أو غيره (٢)، وفي رابعة: يأمر من يقضى عنه إن لم يحج (٣).

فلو كان طواف النساء بملاك تحلة النساء فقط، فلا معنى لأن يقوم الولي به بعد وفاة أبيه، ولا معنى أن يسمى عمل الولي بأنه قضاء عن أبيه، ولو كان الرجوع اختياراً إلى البلد بلا طواف للنساء جائزاً في نفسه، فما الذي يقضيه الولد عن أبيه بعد وفاته؟ إن القضاء يحكى عن ذمّة مشغولة بتكليف متروك، وهذا ما يجعلنا نؤمن بأن طواف النساء وإن لم يكن ركناً في الحج ولا جزءاً من أجزاءه، إلّا أنه واجب لا بدّ من الإتيان به بعد الحج فإن تركه عمداً أو سهواً بقيت ذمّته مشغولة به في حياته وبعد مماته، واستمرّ حكم تحريم النساء عليه، ولا تبرأ ذمّته ولا ينقطع تحريم النساء عليه إلّا بالعود ثانياً إلى مكّة وتدارك ما فاتته من طواف النساء أو إنابة شخص محلّه، وفي حال الوفاة تبرأ ذمّته بقضاء وليه عنه.

وهذا المعنى يتناسب مع الاحتمال الرابع وهو أن يكون طواف النساء واجباً نفسياً وغيرياً في آن واحد. بقي الاحتمال الخامس وهو أن تترتب الكفارة على تركه فقد ورد ذلك في رواية لعمار الساباطي عن أبي عبد الله عليه السلام عن الرجل نسي أن يطوف طواف النساء حتى رجع إلى أهله قال: عليه بدنة ينحرها بين الصفا والمروة (٤).

١-١ المصدر نفسه: ٤٠٧.

٢-٢ المصدر نفسه: ٤٠٨.

٣-٣ المصدر نفسه: ٤٠٨.

٤-٤ وسائل الشيعة ١٣: ٤٠٧، ط آل البيت.

ص: ١٤١

إلّا أنّ الشهيد في الدروس حملها على من واقع بعد الذكر (١)، وحملها السبزواري في الذخيرة على الاستحباب (٢)، وحملها البحراني على المواقع مطلقاً أو مع الذكر (٣).

ثمّ يقول في موضع لاحق: «ما تضمّنته موثقة عمّار من وجوب البدنة على من نسي طواف النساء حتّى يرجع إلى أهله لم أر به قائلاً ولا عنه مجيباً ولعله من جملة غرائب أحاديث عمار، فإنّ الأخبار المعتضدة فاتفق كلمة الأصحاب دالّة على أنّ الحكم في ذلك الرجوع أو الاستنابة مع ما تقدّم في جملة من الأخبار أنّه لا كفّارة على الناسى والجاهل إلّافي الصيد خاصّة» (٤).

ومهما يكن من حال فإنّها رواية واحدة شاذة ومن تراث الفطحية فلا يمكن الاعتماد عليها.

من يجب عليه طواف النساء

لا- يختصّ طواف النساء بمكلف دون آخر، بل يجب الإتيان به على الجميع؛ النساء والرجال والكبار والصغار، ولا يختصّ بمن له إربة في النساء. وفي ذلك رواية صريحة رواها الحسين بن علي بن يقطين قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخصيان والمرأة الكبيرة أعليهم طواف النساء؟ قال: نعم عليهم الطواف كلّهم (٥).

قال الشيخ في النهاية: «وطواف النساء فريضة على النساء والرجال والشيوخ والخصيان لا يجوز لهم تركه على حال» (٦).

١-١ الدروس ١: ٤٦٤.

٢-٢ ذخيرة العاد.

٣-٣ الحدائق الناضرة ١٦: ١٨٢.

٤-٤ الحدائق الناضرة ١٧: ٢٩١.

٥-٥ وسائل الشيعة ١٣: ٢٩٨، ط آل البيت.

٦-٦ النهاية: ٢٦٥.

ص: ١٤٢

وقال العلامة في التذكرة: «طواف النساء واجب عند علمائنا أجمع على الرجال والنساء والخصيان من البالغين وغيرهم..» (١). وعلى ذلك صاحب الجواهر في جواهره (٢).

وهذا الحكم يشهد للقول بأن طواف النساء واجب في نفسه إضافة إلى كونه شرطاً في التحلل من تحريم النساء في الحج. مواطن وجوب طواف النساء

اتفقت كلمة أكثر الفقهاء على وجوب طواف النساء في الحج بأقسامه والعمرة المبتولة؛ دون العمرة التي يتمتع بها إلى الحج. قال الشيخ في النهاية: «واعلم أن طواف النساء فريضة في الحج وفي العمرة المبتولة وليس بواجب في العمرة التي يتمتع بها إلى الحج..» (٣)، ثم قال: «والطواف بالبيت إن كان متمتعاً ثلاثة أطواف طواف للعمرة وطواف للزيارة وطواف للنساء وإن كان قارناً أو مفرداً طواف للحج وطواف للنساء» (٤). وهكذا قال العلامة في قواعد الأحكام (٥).

وقال في التذكرة: «ليس في إحرام عمرة المتمتع طواف النساء بل في إحرام العمرة المبتولة؛ لأن أبا القاسم مغلد بن موسى الراي كتب إلى الرجل يسأل عن العمرة المبتولة هل عليها طواف النساء؟ وعن العمرة التي يتمتع بها إلى

١- ١ تذكرة الفقهاء ٨: ٣٥٣، ط جماعة المدرسين.

٢- ٢ جواهر الكلام ١٩: ٢٦٠، ٤١٠.

٣- ٣ النهاية: ٢٦٥.

٤- ٤ النهاية: ٢٧١.

٥- ٥ قواعد الأحكام ١: ٤٢٩، ط جماعة المدرسين.

ص: ١٤٣

الحجّ، فكتب: أمّا العمرة المبتولة فعليصاحبها طواف النساء، وأمّا التي يتمتّع بها إلى الحجّ فليس عليصاحبها طواف النساء» (١).  
ثمّ قال: «وهذا الطواف واجب في الحجّ والعمرة المبتولة عند علمائنا أجمع؛ لأنّ إسماعيل بن رباح سأل أبا الحسن عليه السلام: عن مفرد العمرة عليه طواف النساء؟

قال: نعم» (٢).

وهناك من خالف في طواف النساء في كلا العمرتين فأوجبه في التمتعّ بها، ونفى الوجوب في المبتولة، ففي مدارك السيّد العاملي أنّ الروايات التي استدللّ بها على وجوب طواف النساء في العمرة المفردة «كلّها قاصرة من حيث السند، وبإزائها أخبار آخر دالّة بظاها على سقوط طواف النساء في العمرة المفردة كصحيحة معاوية بن عمّار... وصحيحة صفوان بن يحيى... ورواية أبي خالد مولى علي بن يقطين قال: سألت أبا الحسن عن مفرد العمرة عليه طواف النساء؟ قال: ليس عليه طواف النساء، ورواية يونس رواه قال: ليس طواف النساء إلّا على الحاجّ.

وحكى الشهيد في الدروس عن الجعفي الافتاء بمضمون هذه الروايات، وهو غير بعيد لاعتبار سند بعضها وضعف معارضها ومطابقتها لمقتضى الأصل، إلّا أنّ المصير إلى ما عليه أكثر الأصحاب أولى وأحوط» (٣).

وقال في عمرة التمتع: «وحكى الشهيد في الدروس عن بعض الأصحاب أنّ في التمتعّ بها طواف النساء كالمفردة، وربما كان مستنده رواية سليمان بن حفص المروزي عن الفقيه عليه السلام قال: إذا حجّ الرجل فدخل مكّة متمتّعاً فطاف بالبيت وصلّى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام وسعى بين الصفا والمروة وقصر فقد حلّ له كلّ شيء ما خلا النساء فإنّ عليه لتحلة النساء طوافاً وصلاة»، وهذه الرواية ضعيفة السند بجهالة الراوي.

١- ١ تذكرة الفقهاء ٨: ١٥١.

٢- ٢ المصدر نفسه: ٣٥٣.

٣- ٣ مدارك الأحكام ٨: ١٩٧-١٩٨.

ص: ١٤٤

وقال الشيخ في التهذيب: ليس في هذا الخبر أنّ الطواف والسعي اللذين ليس له الوطء بعدهما إلّا بعد طواف النساء أهما للعمرة أو للحجّ وإذا لم يكن في الخبر ذلك حملناه على من طاف وسعى للحجّ، وبالجملة فالخلاف في هذه المسألة غير متحقّق لعدم ظهور قائله ولو تحقّق لكان معلوم البطلان» (١).

وردّ صاحب الجواهر الروايات التي استدلّ بها صاحب المدارك على عدم وجوب طواف النساء في العمرة المفردة المسماة بالمتولّ، بين مناقشة في سند ومتن، ثمّ قال: «فمن الغريب ميل بعض متأخري المتأخّرين إلى العمل بهذه النصوص القاصرة عن معارضة غيرها من وجوه، وترك المعتمدة الأولى التي عليها العمل قديماً وحديثاً المعتمدة مع ذلك بأصالة بقاء حرمة النساء» (٢).

ما يحرم بسبب ترك طواف النساء

وقع البحث بين الفقهاء في أنّ ما يحرم بترك طواف النساء هل هو خصوص الجماع أم يعمّ سائر الاستمتاع والمقدمات كالعقد أيضاً؟

ذهب العلّامة في القواعد إلى أنّ التحريم يختصّ بالوطء دون العقد (٣)، وأضاف الفاضل الهندي في كشف اللثام ما يحكم الوطء كالتقبيل والنظر واللمس، ثمّ احتمل قوياً حرمة العقد أيضاً (٤).

وقال المحقّق الكركي بأنّ «الأصحّ تحريم العقد أيضاً وكلّما حرّمه الإحرام ممّا يتعلّق بالنساء عملاً بالاستصحاب» (٥)، ومال صاحب الجواهر إلى ذلك أيضاً (٦).

١-١ المصدر نفسه: ١٩٩.

٢-٢ الجواهر ١٩: ٤٠٧.

٣-٣ قواعد الأحكام ١: ٤٤٥، ط جماعة المدرّسين.

٤-٤ كشف اللثام ٦: ٢٢٩، ط جماعة المدرّسين.

٥-٥ جامع المقاصد ٣: ٢٦٠.

٦-٦ جواهر الكلام ١٩: ٢٦٢، ٣٩٠.

ص: ١٤٥

وناقش السيد الخوئي في ذلك كله، فقال: «أما بالنسبة إلى العقد فلا ينبغي الريب في الجواز؛ لأنّ المتفاهم من النساء هو الاستمتاع منهنّ فالظاهر جواز العقد له بعد الحلق، ودعوى أنّ مقتضى الاستصحاب حرمة العقد أيضاً؛ لأنه قد حرم بالإجماع ونشك في زواله بعد طواف الحجّ وقبل طواف النساء والأصل بقاءه، مدفوعة: أولاً بأنّه من الاستصحاب في الأحكام الكليّة ولا نقول به كما حقّق في محله، وثانياً: بأنّه يكفي في رفع اليد عن ذلكصحيحة الفضلاء لقوله: إلّا فراش زوجها، فإنّه يدلّ على أنّه لو طاف طواف الحجّ وسعى يحلّ له كلّ شيء إلّا فراش زوجها المراد به الوطء خاصّة، ولا شكّ أنّ فراش زوجها لا يشمل العقد ولا الاشهاد عليه قطعاً، وسيأتي أنّ حلّة العقد بل الاستمتاع لا تتوقّف على طواف الحجّ وسعيه. وأما بالنسبة إلى بقيّة الاستمتاع كالتيقيل واللمس بشهوة فلا ريب في شمول النساء لذلك، ولكن هذه الصحيحة كالصريحة في أنّ المحرّم هو الجماع خاصّة دون بقيّة الاستمتاع، فإنّ المراد بفراش زوجها كناية عن المقاربه فإنّها تحتاج إلى الفراش، وأما بقيّة الاستمتاع من التقييل واللمس فلا تحتاج إلى الفراش.

ولا- شكّ أنّ مجرّد النوم على فراش زوجها غير محرم عليها حتّى في حال الإجماع، فالمراد بفراش زوجها هو الوطء خاصّة» (١)، ثمّ قال: «إنّ الاستفادة من النصوص أنّه لو لم يأت بطواف النساء حرم عليه من النساء خصوص الجماع، وأما بقيّة الاستمتاع فتحلّ له، وأمّا بالنسبة إلى ما بعد الحلق أو التقصير فمقتضى إطلاق النساء حرمة بقيّة الاستمتاع ولكن مقتضى صحيح الحلبي جواز الاستمتاع بعد الحلق وبقاء حرمة الجماع خاصّة، فقد روى عن أبي عبدالله عليه السلام

١-١ المعتمد في شرح المناسك: ٢٩، من موسوعة السيد الخوئي: ٣٥٦-٣٥٧.

ص: ١٤٦

قال: سألته عن رجل نسي أن يزور البيت حتى أصبح، فقال: ربما أخرته حتى تذهب أيام التشريق ولكن لا تقربوا النساء والطيب، فإنّ الظاهر من قرب النساء هو الجماع كما في قوله تعالى: ولا تقربوهنّ حتى يطهرن فيعلم أنّ الممنوع بعد الحلق إنّما هو الجماع والطيب، وأمّا بقيته المحرّمات فتحلّ بعد الحلق حتى العقد عليهن والاستمتاع بهنّ» (١).

كفارة الجماع قبل طواف النساء

أجمع الفقهاء عليصحة حجّ من جامع بعد الوقوف بالمشعر قبل أن يطوف طواف النساء.

قال السيّد العاملي في المدارك: «إنّ من جامع زوجته بعد الوقوف بالمشعر قبل طواف النساء كان حجّه صحيحاً وعليه بدنة لا غير. وهو مجمع عليه بين الأصحاب، حكاه في المنتهى، ويدلّ على سقوط القضاء مضافاً إلى الأصل مفهوم قول الصادق عليه السلام فيصحيحه معاوية: إذا وقع الرجل بامرأته دون المزدلفة أو قبل أن يأتي مزدلفة فعليه الحجّ من قابل، ويدلّ على وجوب البدنة روايات: منها ما رواه الشيخ الحسن عن معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل وقع على امرأته قبل أن يطوف طواف النساء قال: عليه جزور سمينه وإن كان جاهلاً فليس عليه شيء» (٢).

واستدلّ صاحب الحدائق على المسألة بالصحيح المروي عن الصادق عليه السلام أنّ سلمة بن محرز قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل وقع على أهله قبل أن يطوف طواف النساء، قال: ليس عليه شيء، فخرجت إلى أصحابنا فأخبرتهم فقالوا:

اتقاك هذا ميسر قد سأله عن مثل ما سألت فقال له عليك بدنة، قال: فدخلت عليه، فقلت: جعلت فداك أنّي أخبرت أصحابنا بما أجبتني فقالوا: اتقاك هذا

١-١ المصدر نفسه: ٣٥٩-٣٦٠.

٢-٢ المدارك ٨: ٤١٣-٤١٤.

ص: ١٤٧

ميسر قد سأله عما سألت فقال له: عليك بدنة، فقال: إن ذلك كان بلغه فهل بلغك؟

قلت: لا، قال: ليس عليك شيء» (١).

ثم قال عن الكفارة: «إن الأصحاب (رض) قد صرحوا بأنه مع العجز عن البدنة فبقرة أو شاة وبعض رتب الشاة على البقرة فأوجب البقرة أولاً ثم الشاة مع تعذرهما.

قال في المدارك بعد نقل ذلك: إنه قد اعترف جملة من الأصحاب بعدم الوقوف على مستنده، والظاهر أنه أشار بذلك إلى ما ذكره جده ٠ في المسالك والروضه حيث قال... الخ.

أقول: لا ريب أن مستند الأصحاب في الحكم المذكور هو ما رواه الصدوق في الفقيه عن خالد بن يحيى القلانسي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أتى أهله وعليه طواف النساء قال: عليه بدنة، ثم جاءه آخر فسأله عنها فقال: عليه بقرة، ثم جاءه آخر فسأله عنها فقال: عليه شاة، فقلت بعدما قاموا: أصلحك الله كيف قلت عليه بدنة؟ فقال: أنت موسر وعليك بدنة وعلى الوسط بقرة وعلى الفقير شاة» (٢).

وقت طواف النساء

يجب إيقاع طواف النساء بعد أعمال منى وبعد السعي، ولا يجوز تقديمه على السعي ولا على أعمال منى إلّا مع الضرورة.

قال الشيخ في النهاية: «وأما طواف النساء فإنه لا يجوز إلّا بعد الرجوع من منى مع الاختيار، فإن كان هناك ضرورة تمنعه من الرجوع إلى مكة أو امرأة تخاف الحيض جاز لهما تقديم طواف النساء ثم يأتيان الموقفين ومنى... ولا يجوز تقديم

١-١ الحدائق ١٥: ٣٧٦.

٢-٢ الحدائق ١٥: ٣٧٨-٣٧٩.



ص: ١٤٨

طواف النساء على السعي فمن قدّمه عليه كان عليه إعادة طواف النساء وإن قدّمه ناسياً أو ساهياً لم يكن عليه شيء وقد أجزأه» (١).  
وعلق السيد العاملي في المدارك بقوله: «أمّا أنّه لا يجوز تقديم طواف النساء على السعي لتمتّع ولا لغيره مع الاختيار فهو مذهب الأصحاب لا أعرف فيه مخالفاً، ويدلّ عليه الأخبار الكثيرة المتضمّنة لجوب تأخيره عن السعي...

ويؤيّد به رواية أحمد بن محمد بن محمد عمّن ذكره قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك متمتّع زار البيت فطاف طواف الحجّ ثمّ طاف طواف النساء ثمّ سعى فقال: لا يكون سعي إلّا من قبل طواف النساء، وأمّا جواز تقديمه على السعي مع الضرورة والخوف من الحيض فمقطوع به في كلام الأصحاب ولم أفق فيه على نصّ بالخصوص، وربّما أمكن الاستدلال عليه مضافاً إلى الحرج والمشقة اللازمين من إيجاب تأخيره مع الضرورة..» (٢).

وإذ عي صاحب الجواهر الإجماع على عدم جواز التقديم اختياراً، ووافق صاحب المدارك فيما قاله عن جواز التقديم في حال الضرورة إلّا أنّه استدرك قائلاً:

«ولكن مع ذلك كلّه لا ينبغي ترك الاحتياط في ذلك ولو بالاستنابة؛ لأنّه يحتمل عدم الجواز لأصول عدم الإجزاء مع مخالفة الترتيب وبقائه في الذمّة وبقائهنّ على الحرمة مع ضعف الخبر واندفاع الحرج بالاستنابة وسكوت أكثر الأصحاب على ما في كشف اللثام، وقد سمعت ما عن ابن إدريس من منع تقدّمه على الموقفين. واللّه العالم» (٣).

### موقف رسالي من أسرى بدر، وبنى قريظة

١- ١ النهاية: ٢٤١.

٢- ٢ المدارك ٨: ١٩٠-١٩١.

٣- ٣ الجواهر ١٩: ٣٩٨.

ص: ١٤٩

موقف رسالى من أسرى بدر، وبنى قريظة

يوسف مبارك

أسرى بدر:

قبل أن نتحدث حول المحور الأول، لابد لنا من إلقاء نظرة ولو خاطفة على المعاملة القاسية التي راحت قريش تعامل بها من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله ودعوته في مكة، هذه المعاملة كانت سبباً مباشراً لاستحكام العداة بين هؤلاء المستضعفين الذين كل ذنبهم وجريمتهم في نظر مشركى مكة أنهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وآمنوا بما جاء به محمد بن عبد الله لا غير، بين هؤلاء وقريش استحكم العداة وأنتج آلاماً ومصائب حلت بهذا الجمع المؤمن الذى ما استطاع أن يعيش فى مكة بأدنى مراتب العيش وأقلها، فاضطرّ أخيراً إلى أن:

(١) يهاجر جمع منهم بعقيدته إلى بلد آخر (الحبشة) تاركاً بلده وقومه وماله وكل شىء لقريش، بعد أن أذن رسول الله صلى الله عليه وآله لهم بالهجرة.

(٢) فيما هاجر بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وجمع آخر إلى المدينة تاركاً وطنه مكة التى أحبها قائلاً:

ص: ١٥٠

«ما أطيبك من بلدة وأحبك إلى! لولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت (١). وفي رواية ما سكنت غيرك».

(٣) ثم جاءت هجرة من تخلف من المسلمين في مكة، فهاجر هذا القسم إلى المدينة ملتحقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وتاركاً كل ما يملكه قليلاً كان أو كثيراً غنيمةً لمشركى قريش حتى يسمحوا له بالهجرة.

فهذا صهيب وهو شيخ كان واحداً من هؤلاء المعذبين المهاجرين، حينما هم بالخروج من مكة منعه المشركون، فقال لهم: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم أو لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم يضركم أو لم أضركم، فخذوا مالي ودعوني، فأعطاهم ماله، وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

إن أكثر من هاجر كان معذباً من قبل قريش، ولم تكتف قريش بهذا فتركهم وشأنهم، بل راحت تجزدهم من جميع أموالهم وما يملكون، فيما صادرت أموال الآخرين ممن كانوا من أشرف قريش ومن ساداتها الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وهاجروا معه.. وعندئذ تميزت أكثر دائرة العداة بل واستفحل أمره بين المسلمين والمشركين، حيث لم ينته هؤلاء الطغاة من ملاحقة أولئك المؤمنين حتى بعد هجرتهم، وبعد استيلائهم على ما عندهم من أموال في مكة، وحتى بعد أن ابتعدوا عن المجتمع المكي... وراحت جذور هذا العداة تمتد في العلاقة بينهما حتى بعد فتح مكة وإن هدأت شيئاً قليلاً.

لقد راح كل واحد من الطرفين يترصد بالآخر، المسلمون بقيت مشاعرهم مشدودة إلى بلدهم وعيونهم مفتوحة على أموالهم التي استحلها أعداؤهم المشركون في مكة، وكانوا ينتظرون فرصة تمنّ بها السماء عليهم لإعادتها، وهذا أمر طبيعي لا يختلف فيه اثنان.

ص: ١٥١

فيما راح المشركون يعدّون أنفسهم بمواصله وملاحقه المسلمين خاصه المهاجرين وإن فرّوا بأنفسهم وتركوا أموالهم لاستئصالهم.. خوفاً من أن تقوى شوكتهم وينتشر أمرهم، ويذيع بين قبائل العربصيتهم، فتدور الدائرة على قريش وسلطانها.. كانت لقريش رحلتان تجاريتان لإيلاف قريش\* إيلافهم رحله الشتاء والصيف... (١).

وكانت هاتان الرحلتان تشكّلان العصب التجاري والاقتصادى المهمّ فى حياتها بما تدرّان عليها من نعم عظيمه ومالٍ وفير. التفت المسلمون لذلك ورأوا أنّ فرصتهم آتية، وأنّ مسير قوافل قريش قريب منهم، وبالتالي إذا تمكّنوا منها فإنهم يحصلون عوضاً عمّا ضيّعوه وتركوه فى مكّه من أموالهم.. ويتأرون لأنفسهم، ويشفونصدورهم من مشركى قريش الذين أذاقوهم العذاب تلو الآخر، خاصه وأنّ هذه القوافل هى لزعماء قريش وكبرائها لا لعوام الناس وسوادهم.

فى خريف السنه الثانيه للهجره وردت أخبار إلى المدينه مفادها أنّ قريشاً خرجت قافلتها إلى الشام وعلى رأسها أبو سفيان مع ثلاثين أو أربعين رجلاً، وبما أنّهم محاربون لله ولرسوله، راح رسول الله صلى الله عليه وآله وجمع من الصحابه يترصدون أخبار عودتها من الشام وهى محمله، فقطعوا عليها طريق عودتها إلى مكّه، وكانت أهداف المسلمين من هذا العمل ويصحّ أن تكون أسباباً له: أولاً: تنفيذ ما نذبهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفلكموها». ثانياً: أخذ ما تحمله من أموالٍ عوضاً عمّا تركوه فى مكّه واستحوذ

ص: ١٥٢

عليه المشركون.

ثالثاً: إعلام المشركين بأنهم لا يستطيعون أن يجنوا شيئاً من مؤامراتهم ومواقفهم الشريرة ضد المسلمين.

رابعاً: لعل قريشاً توقف اضطهادها لمن بقي من المسلمين في مكة من الذين لم يستطيعوا مغادرتها بسبب تضييقها عليهم وتعسفها في معاملتهم.

خامساً: تنبيه قريش أن تجارتها مع الشام في خطر ولاسيما هي عصب حياتها، وتهديدها اقتصادياً، وهو ما أربكها وخلق الاضطراب فيصفوفها.

لم يكتف أبو سفيان زعيم القافلة - بعد أن علم بترصد المسلمين للقافلة - بأن يغير طريقها إلى موازاة البحر، بل بعث إلى مكة من يخبر قريشاً بخطه المسلمين وبما يناله من خطر إن لم يسعفه بمدد.

وما إن سمع المشركون وبالذات كبارهم بالتهديد الذي يشكله المسلمون على القافلة حتى هبوا بتسعمائة أو ألف مقاتل أو يزيدوا ليدافعوا عن أموالهم. وإذ هم في مسيرهم أقبل مخبر آخر من أبي سفيان يبشّرهم بأن القافلة قد نجت وليس هناك خوف عليها بعد أن غير مسيرها.

إلا أن أبا جهل وكثيراً من مشركي قريش رفضوا العودة إلى مكة مصرين على أن يواصلوا مسيرتهم نحو المدينة؛ لتلقي المسلمين درساً بليغاً يجعلهم لا يعيدون ما فعلوا مرةً أخرى أو يحسبون له ألف حساب.

وهنا وردت الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن القافلة نجت، وأن المشركين لم يقنعوا بذلك ويكتفوا بنجاة قافلته، فيعودوا من حيث أتوا بل قرّروا التوجه نحو المدينة وتهديدها.

لقد خرجت قريش بعددها وعدتها، بخيلائها وفخرها، وكان الحقد يملأ قلوبهم - إلا قليلاً منهم - على المهاجرين، انبعث هذا الجمع الحاقد من قريش بكامل رغبتهم، أي لم يكونوا مقاتلين عاديين مكرهين، بل كانوا مخططين لهذه

ص: ١٥٣

المعركة ومؤججين لها، وكان همهم الأول أن ينتقموا من أبناء قومهم الذين فارقوهم، فحينما تقابل الجيشان في المعركة خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن ربيعة، طالبين المبارزة، فخرج لهم فتية من الأنصار وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث وعبدالله بن رواحة، ولما أبصرهم عتبة قال: لا شأن لنا معكم، أو ما لنا بكم من حاجة، وحينما انتسبوا قال لهم: أكفء كرام، إنما نريد قومنا، فليخرج لنا من بنى قومننا، أى من المهاجرين؛ ليصتوا عليهم غضبهم وحقدهم ويشفوا قلوبهم.

فخرج إليهم عندئذ ثلاثة من المهاجرين: حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث، فقتلوا عتبة و من كان معه بعد مبارزة شرسة قاسية.

أما القليل من جيش المشركين فكانوا من المغلوبين على أمرهم ولهم فضل على المسلمين حينما كانوا فى مكّة، فأمر رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله أصحابه أن لا يقتلوهم وأمرهم بأسرهم، ومن هؤلاء بنو هاشم وكان العباس أحدهم وهو الذى تحمّل ألم مقاطعة قريش لبني هاشم فى الشعب ثلاث سنوات، وطالما وقفوا ضدّ المشركين مدافعين عن المؤمنين.

ومنهم أبو البخترى بن هشام الذى كان له الفضل فى إنهاء المقاطعة تلك، وتوجه إلى البيت لشقّ الصحيفة التى أكلتها الأرض ولم يبقَ منها إلّا لفظ (باسمك اللّٰه)، إلّا أنّ هذا الرجل لم يسمح للمسلمين بأسره وأصرّ على القتال حتّى قتل.

فكانت بدر، وكان النصر حليف المسلمين، والخزى والعار لأعدائهم، وقتل من المشركين سبعون، وأسر سبعون آخرون كان منهم عشرون من كبراء قريش وقادتها.

ونحن هنا نكتفى بإلقاء الضوء على واحدة من نتائج هذه المعركة، وهم الأسرى وكيف كان الموقف الإسلامى منهم، وكيف تمّ التعامل معهم.

ص: ١٥٤

الموقف من أسرى بدر

كان الموقف من هؤلاء الأسرى يتمحور حول أمور ثلاثة:

الأمر الأول: موقف الصحابة.

الأمر الثاني: موقف رسول الله صلى الله عليه وآله.

الأمر الثالث: موقف القرآن الكريم.

وهذا الموقف له شكلان:

الأول: الأسر وحكم الأسرى، الآيات (٦٧-٦٩) الأنفال.

الثاني: بعث الأمل في نفوس الأسرى... (٧٠-٧١) الأنفال.

موقف الصحابة:

حتى نهاية معركة بدر، لم ينزل شيء أو حكم من السماء بخصوص الأسرى، وإن كان هناك خبر بحلية الفداء (١) فما كان من رسول

الله صلى الله عليه وآله - بعد غياب مثل ذلك الحكم - إلا أن يستشير أصحابه ويسمع لهم في مصير السبعين أسيراً.

فبعد أن عاد رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر إلى المدينة، التفّ حوله في المسجد كبار صحابته، وطرح موضوع أسرى بدر

وكيفية التعامل معهم، وإلى الآن لم ينزل بشأن الأسرى شيء من السماء أيضاً، فراح كل صحابي يدلي برأيه فيهم:

فريق من الصحابة كان رأيه أن يبادوا جميعاً وكان منهم عمر بن الخطاب حيث قال:

يا رسول الله.. كذبوك وأخرجوك، قدّمهم واضرب أعناقهم. حتى قال قائل: لو كان فيهم أبو عمر أو أخوه ما أمر بقتلهم.

ص: ١٥٥

فيما قال عبد الله بن رواحة الأنصاري أشد من قول عمر وإن كان ينتهي إلى النتيجة نفسها وهو قتلهم: «يارسول الله.. انظر وادياً من حطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً».

فسمع العباس بن عبد المطلب وكان واحداً من الأسرى قول الأنصاري هذا، فقال له: قطعك رحمك.

فيما رأى أبو بكر وفريق معه الرأفة بهم والتأني في شأنهم، فقال: يا رسول الله.. قومك وأهلك، استبقهم واستأن بهم، لعل الله أن يتوب عليهم (١).

موقف رسول الله صلى الله عليه وآله:

كان لرسول الله صلى الله عليه وآله موقفان من هؤلاء الأسرى:

الأول: كان يتمثل في رعايتهم، حيث إن من أهم الأمور التي يجب توفيرها للأسير هو أن تحترم إنسانيته وأن يؤمن له أكله وملبسه، وأما سكناه فلا بد من أن يوضع في مكان يأمن به ويؤمن عليه أي في مكان يتعذر معه الهرب.

وهذا ما أمته الرسول صلى الله عليه وآله للأسير، وبما أنه لم يكن هناك مكان خاص يجمع به الأسرى، ولأنهم كانوا قلة، ولم تكن الحروب يومذاك طويلة بحيث تستدعي الإبقاء على الأسرى مدة الحرب وزيادة، لهذا نرى أنهم وزّعوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله على الصحابة، فكل صحابي يتكفل بأسير منهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله يوصى بهم خيراً.

فهذا أحد أسرى معركة بدر وهو أبو عزيز بن عمير وكان أخاً لمصعب بن عمير، يقول: كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا كلما قدموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا انفحنى بها، وكنت أستحي فأردّها على



ص: ١٥٦

أحدهما فيردّها عليّ ما يمسخها (١).

وعندما وقع آخر أسيراً فى يد المسلمين وهو ثمامة بن أثال، أتى به إلى المدينة وربط بساريه من سواري المسجد حتى يحكم فيه الرسول صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله: أحسنوا أساره واجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا إليه. وكان يقدم إليه لبن لفتح (ناقة حلوب) رسول الله غدواً ورواحاً ولما منّ عليه صلى الله عليه وآله أسلم وحسن إسلامه.

والعباس بن عبد المطلب هو الآخر كان أسيراً من أسرى معركة بدر الكبرى، فلاحت من رسول الله صلى الله عليه وآله نظرة إليه وقد تمزق ثوبه، فالتفت صلى الله عليه وآله إليه و آله ليجد له قميصاً يصلح، فوجد قميص عبد الله بن أبي فطلب منه فكساه إياه (٢).

وهذا هو الموقف الإسلامى فى رعاية الأسرى والاهتمام بهم فقد جعله القرآن الكريم ثالث ثلاثة إن أطعموا فإن ذلك يكون مورداً لنيل رضا الله سبحانه وتعالى:

وَعَدَّ الْإِنْفَاقَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْبَاتِ ذَاتِ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا\* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لِأَتُرِيدُوا مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٣).

الثانى: بعد أن أعلن جمع من الصحابة موقفهم الذى ذكرناه راح رسول الله صلى الله عليه وآله يثنى عليهم ويشبه موقف كل فريق بموقف نبي من أنبياء الله تعالى.

فشبه الأول بموقف نبي الله نوح عليه السلام إذ قال: رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٤).

فيما شبه الثانى بموقف نبي الله عيسى عليه السلام إذ قال: إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥).

١-١ موسوعة الغزوات الكبرى لمحمد أحمد باشمىل: ٢٢٤-٢٢٥، مجمع الزوائد ٦: ٨٦.

٢-٢ فتح البارى ٦: ٤٨٥.

٣-٣ سورة الدهر: ٨-١٠.

٤-٤ سورة نوح: ٢٥.

٥-٥ سورة المائدة: ١١٨.

ص: ١٥٧

وكان رأيه الأخير أن خير الأسرى فقال:

«أنتم اليوم عالة، فلا يفلتن منكم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق».

وتم إبلاغ مشركى مكة بقرار رسول الله صلى الله عليه وآله هذا، وهم يعيشون الدهول مما حل بهم والحزن والألم مما أصابهم والذل والعار مما جرح كبرياءهم وأطاح بعنجهيتهم كل هذا فى معركة بدر، فغدوا يفكرون فى مصير أسراهم... وقد كان المطلب بن وداعة السهمى ممن كان حاضراً مجلساً لزعماء قريش، وقد سمع ما قرّره فيه من عدم التعجيل فى فداء أسراهم حتى لا يتغالى المسلمون فيه، إلا أنه ما إن خرج من مجلسه هذا حتى توجه نحو المدينة، وفدى أباه الذى كان واحداً من أسرى بدر بأربعة آلاف درهم.

ولما سمعت قريش بهذا، أرسلت من يطلق أسراها ودفعت عن كل واحد منهم أربعة آلاف درهم.

وانتهت مسألة الأسرى هذه عملياً.

إما بفداء دفعه الموسرون منهم وكان مقداره أربعة آلاف درهم لكل أسير.

وإما بمن تكرم به الرسول صلى الله عليه وآله على فقرائهم.

وإما بتعليم جمع من أطفال المسلمين القراءة والكتابة، فقد كان من الأسرى من يقرأ ويكتب، فجعل عمله هذا فداءه.

ما آلت إليه مواقف بعض الأسرى:

قلنا: كان من بين الأسرى عم النبي صلى الله عليه وآله وآله العباس بن عبد المطلب، وقد أبلغ المسلمون رسول الله صلى الله عليه وآله رغبتهم فى إعفاء العباس من الفداء وإطلاقه مجاناً؛ لقربه من رسول الله، فرفض صلى الله عليه وآله ذلك، وكلف العباس بأن يدفع الفداء كغيره من الأسرى، هذا ما ذكره ابن كثير (١).

ص: ١٥٨

وأراد العباس أن يخرج من الأسر بلا فداء يقدمه، ولما وجد رسول الله صلى الله عليه وآله مصراً على أن يقدم الفداء، طلب منه أن يحسب كميّة الذهب التي صودرت منه يوم بدر من الفداء، فرفض الرسول صلى الله عليه وآله طلبه وقال: لا.. ذلك شيء أعطانا الله عزّ وجلّ. أي هو غنيمة.. وفي رواية: أمّا شيء خرجت تستعين به علينا فلا. (١) ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنّي كنت مسلماً، ولكنّ القوم استكروني.

إلّا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أصرّ على أن يدفع الفدية، وقد كان من الموسرين، من أغنياء مكّة، فدفع الفداء عن نفسه وعن ابني أخيه وهما عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن عبد المطلب، وعن حليف بني هاشم عتبة بن عمرو بن جحدم، وهؤلاء كانوا من أسرى بدر، وكان فداء كلّ واحد منهم مئة أوقية من الذهب، وكان ذلك بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّ العباس حاول جهده في أن يفلت من هذا أيضاً معتذراً، فقال: لا مال لي. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أين المال الذي وضعتّه عند أم الفضل، وقلت لها: إن أصبت، فللفضل كذا، ولعبيد الله كذا؟

قال: والذي بعثك بالحقّ، ما علم به أحد غيري وغيرها، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله.

وفدى نفسه وابني أخويه وحليفه (٢).

وقد ذكر بعض المفسّرين أنّ الآية الكريمة: يا أيّها النبيّ قل لمن في أيديكم من الأشرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً ممّا أخذ منكم... نزلت في هذا المورد، ويأتي الكلام فيه.

ثمّ رجع العباس بعد إطلاقه إلى مكّة، ويقال: إنّه أسلم وكتّم إسلامه، فكان عيناً على المشركين، يبعث بأخبارهم إلى النبي صلى الله عليه وآله، ثم ترك مكّة قبل الفتح، وعاد

١-١ انظر أسباب النزول للواقدي: ٢٤٥.

٢-٢ انظر: الكامل لابن الأثير ٢: ٩٢.

ص: ١٥٩

إليها وقد شهد فتحها مع المسلمين، وكان ممن ثبت في معركة حنين، وسجل دوراً مهماً فيها وبالذات لصوته الجهورى حينما راح يدوى فى سماء المعركة ويحضّ المنهزمين من المسلمين على الثبات..

أمّا الأسير الآخر من بنى هاشم فهو عقيل بن أبى طالب، فقد أسلم عام الفتح وشهد معركة حنين وثبت فيها، وشهد معركة مؤتة. وأمّا نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وهو ابن عمّ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، أسلم هو الآخر.

وأمّا أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس فقد بعثت زوجته زينب بقلادة سبق وأن أهدتها لها يوم زواجها من أبى العاص هذا أمّ المؤمنين خديجة، فلما رآها رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله رقى لها رقّةً شديدة، فقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها الذى لها فافعلوا. فأطلقوا سراح زوجها وردّوا إليها قلاذتها. وقد أسلم أبو العاص.

وكان من الأسرى الذين اقتدوا أنفسهم من الأسر سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامرى، وهو من أشرف مكّة ومن خطبائها المشهورين الذين كان لخطبهم أثر كبير فى الدعوة إلى حرب رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله.

فقد قدم مكرز بن حفص فى فدائه، فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم قالوا: هات الذى لنا، قال: اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلوا سبيل سهيل، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم..

يقول الخبر: لما جاء وقت دفع الفداء عنه، طلب عمر بن الخطّاب من الرسول صلى الله عليه وآله أن يحدث له عاهة لا يتمكّن بعدها من أن يقوم خطيباً ضدّ النبيّ صلى الله عليه وآله حيث قال: يا رسول الله، انزع ثيتى سهيل يدلع لها لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً فى موضع أبداً.

فرفض الرسول صلى الله عليه وآله طلب ابن الخطّاب وقال:

لا أمثل فيمثل الله بى وإن كنت نبياً، ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعمر: دعه فعسى أن

ص: ١٦٠

يقوم مقاماً نحمده.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله فيما قاله. فقد عاد سهيل بعد إطلاق سراحه من الأسر إلى مكة، وهو الذي عقد صلح الحديبية مع النبي صلى الله عليه وآله، ورفض أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، التي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بكتابتها، قائلاً: لا- أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، ورفض أيضاً ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله.. قائلاً: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

هذا سهيل وهذه موافقه قبل إسلامه، ولكنه أسلم عام فتح مكة وله موقف يذكر حينما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وارتد بعض أهل مكة وقف خطيباً وقال:

يا أهل مكة، لا تكونوا آخر الناس إسلاماً وأولهم ارتداداً، والله من رابنا من أمره شيء ضربنا عنقه كائناً من كان.. فكان بهذا قد أحمده الفتنة.

وله موقف آخر ينصر به المعديين، فقد حضر الناس باب عمر بن الخطاب، وفيهم أبو سفيان بن حرب وشيوخ من قريش، وكان سهيل معهم، فخرج إذن عمر يأذن لأهل بدر.. لصهيب الرومي وبلال الحبشي وغيرهم من أهل بدر.

فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا.

فقال سهيل بن عمرو:

أيها القوم، إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودعيتهم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسون فيه، ثم قال: أيها القوم، إن هؤلاء قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه، عسى الله عز وجل أن يرزقكم الشهادة، ثم نفص ثوبه ولحق

ص: ١٤١

بالشام، وخرج بجماعه أهله- إلأابنته هند- إلى الشام مجاهداً حتى ماتوا كلهم هناك، واستشهد في معركة اليرموك (١).  
حقاً فعسى أن يقوم مقاماً نحمده!

والوليد بن الوليد كان من الأسرى أيضاً فأرسل كل من خالد وهاشم وهما أخواه بفدائه، وعاد إلى مكة ثم أعلن إسلامه فيها، ولما  
سئل عن سبب إسلامه:

هلاً أسلمت قبل الفداء؟

فقال: خفت أن يعدوا إسلامى خوفاً.

وقد منعه أخواه حينما عزم على الهجرة إلى المدينة ليلتحق بركب المؤمنين، إلا أنه فر إلى النبي صلى الله عليه وآله في عمرة القضاء.  
وهب بن عمير الجمحى، وأبوه عمير من شياطين قريش وكان كثير الإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وللمؤمنين، وقد وهبه رسول  
الله صلى الله عليه وآله لأبيه عمير في قصة ملخصها:

أن عمير بن وهب وصفوان بن أمية جلسا يتذاكران ما حلّ بهم في معركة بدر من هزيمة كبرى وذكر أصحاب القليب فقال عمير: أما  
والله لولا دين علىّ ليس له عندى قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمّد حتى أقتله، فإنّ لى قبلهم علّة، ابنى  
أسير فى أيديهم.

فاغتمصفوان هذا وتكفل بدينه وعياله.

فدخل عمير المدينة متوشحاً سيفه، فأدخله جمع من الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: ... فما جاء بك يا عمير؟

قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه.

قالصلى الله عليه وآله: فما بال السيف فى عنقك؟

قال: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً؟!

ص: ١٤٢

قالصلى الله عليه و آله: أصدقنى، ما الذى جئت له؟

قال: ما جئت إلا لئلا ذلك.

قالصلى الله عليه و آله: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علىّ و عيال عندى لخرجت حتى أقتل محمّداً، فتحمل لكصفوان بدينك و عيالك، على أن تقتلنى له، والله حائل بينك و بين ذلك.

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إننى لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: فقّهوا أخاكم فى دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره، ففعلوا. (١) ومن الذين منّ عليهم رسول الله صلى الله عليه و آله ولم يأخذ منهم فداءً، أبو عزة، عمرو بن عبدالله بن عثمان، كان محتاجاً ذا بنات، فكلم رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: يارسول الله، لقد عرفت مالى من مال، وإننى لذو حاجة وذو عيال، فامنن علىّ.

فمنّ عليه رسول الله صلى الله عليه و آله، وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحداً، فقال أبو عزة فى ذلك يمدح رسول الله صلى الله عليه و آله، فذكر فضله فى قومه:

من مبلّغ عنى الرسول محمّداً بأنك حقّ والمليك حميد  
وأنت أمرؤ تدعو إلى الحقّ والهدى عليك من الله العظيم شهود  
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة لها درجات سهله وصعود  
فإنك من حاربتهم لمحارب شقى ومن سالمته لسعيد  
ولكن إذا ذكرتُ بدراً وأهله تأوّب ما بى حسرةً ووقود  
أسيران قُتلا!

كان من بين أسرى معركة بدر أسيران: النضر بن الحارث بن كلدة من بنى عبد الدار وقد حمل رايه المشركين فى بدر، والثانى عقبه بن أبى معيط من بنى أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف.

وكانا عنيفين بعداوتهما للمسلمين، حريصين على التنكيل بهم، شديدين فى إيذاء المستضعفين منهم، وكانا من ألدّ خصوم الدعوة وأشدّهم. إنهما مجرماً حرب أكثر من كونهما أسيرين.

ففى طريق عودته صلى الله عليه و آله من معركة بدر وعندما وصل إلى الصفراء أمر عليّاً عليه السلام أن يقتل النضر بن الحارث أو أن يضرب عنقه بالأثيل.

ولمّا رأى النضر أن يقتل طلب من مصعب بن عمير أن يكلم رسول الله صلى الله عليه و آله فى أمره، فقال له مصعب: كيف يمكن هذا؟

أما كنت تقول فى كتاب الله وفى نبيّه كذا وكذا؟

وأما كنت تقوم على تعذيب أصحابه؟

وراحت أخته قتيلة بنت الحارث ترضيه، ومن سمع شعرها قال: إن شعرها أكرم شعر موتور وأحسنه:

أيا راكباً إن الأثيل مظنة من بطن خامسة وأنت موفق

أبلغ به ميتاً فإنّ تحية ما إن تزال بها الركائب تخفق

متى إليه وعبرة مسفوحة جاءت لماتحها وأخرى تخفق

فليسمع النضر أن ناديته إن كان يسمع ميتاً أو ينطق  
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق  
أ محمد ولأن تصفو نجيبه (٢) فى قومها والفحل فحل معرق

١-١ أمحمد يا خير ضنء كريمة.

١-٢ أمحمد يا خير ضنء كريمة.





ص: ١٦٤

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو الغيظ (١) الخنق

فالنظر أقرب من تركت قرابته وأحقهم إن كان عتق يعتق

وروى: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو سمعت هذا الشعر قبل أن أقتله ما قتلته (٢)، والجواب: أن النبي صلى الله عليه وآله أقام عليه

الحكم العدل الذى لا تغيره أبيات من الشعر على جودتها وحسنها، فما نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله من القول المذكور لا أظنه

يصمد أمام النظر الدقيق، وعن ابن هشام أن هذه غير صحيحة، وهو الحق.

وموقف عقبه مجرم الحرب الثانى لا يقل عن موقف النضر.

فما إن وصل إلى عرف الطيبة حتى أمر بقتل عقبه بن أبى معيط، والذى قتله عاصم بن ثابت الأنصارى.

تقول الرواية: إن النبي صلى الله عليه وآله لما أمر بقتل عقبه، قال: أتقتلنى يا محمد من بين قريش؟

قال صلى الله عليه وآله: نعم.

ثم قال صلى الله عليه وآله لأصحابه: أتدرون ما صنع هذا بى؟

جاءنى وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران من رأسى، وجاء مرة أخرى

بسلا شاة (وهو ما يعقب الولادة من أوساخ وقاذورات) فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى.

إذن فهما الأسيران الوحيدان اللذان قتلا صبراً للأسباب التالية:

١- كانا من أشد الناس كفرةً وبغياً.

٢- كانا من أكبر مثيرى الحرب (معركة بدر) ومن الدعاة إليها والمحرضين

١-١ المغيض.

٢-٢ أنظر بلاغات النساء: ٢٣٥.

ص: ١٦٥

عليها بقوة.

٣- كانت لهما جرائم ارتكبوها، صحيح أنّهما لم يكونا الوحيدين اللذين ارتكبا الجرائم، ولكن من كان مثلهما فى الجريمة قتل داخل المعركة وانتهى أمره، ولو بقوا أحياء؛ لكان مصيرهم القتل كذلك.

٤- كان لهما تأثير واضح على مشركى مكة، فهم يسمعون لهما ويطيعون، ولهما القدرة على إقناعهم بما يريدان ويدبران.

٥- إن بقيا حيين فهما يشكّلان مصدر خطر عظيم على الإسلام والرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين، ولاسيما أنّ الحرب والمواجهة مع قريش لم تنته بعد، وهناك جولات مقبلة..

٦- كانا يسخران من القرآن ويقولان فيه ما لا يناسب من القول.

٧- لطالما وجهها لرسول الله صلى الله عليه وآله إهاناتهم وأسموه الشىء الكثير من الكلام البذىء، وطالما حرّضا عليه، وتربصا به الدوائر سواء فى مكة أو المدينة.

٨- كانا يلتمسان أى وسيلة وكل ما يتمكّنان منه ليقوعا الأذى بالمسلمين فى مكة، وتنفير الناس منهم.

فراى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ قتلها فيه مصلحة كبرى للإسلام والمسلمين ودرءاً للفتنة، وقد قتلا قبل أن يصل الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة وقبل اتخاذ قراره بخصوص الأسرى.

موقف القرآن الكريم:

قلنا: إنّ الموقف القرآنى من أسرى بدر، وهو الموقف الثالث بعد موقفى الصحابة والرسول صلى الله عليه وآله له شكلاّن:

الأول:

يدور حول الأسر وبيان حكم الأسرى، وهو ما تناوله قوله تعالى: مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ

ص: ١٦٦

الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ\* لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ\* فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
عَفُورٌ رَحِيمٌ (١).

اللغة

الثخانة لغه: الغلظة، فكل غليظ: تخين، والإثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته، يقال: قد أثخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه  
(٢). وإثخان النبي في الأرض استقرار دينه بين الناس كأنه شيء غليظ انجمد فثبت بعد ما كان رقيقاً سائلاً مخشى الزوال بالسيلان...  
(٣).

القراءة:

قرأ أبو الدرداء وأبو حياء: ما كان للنبي... (٤).

البيان:

كانت معركة بدر الكبرى أول معركة خاضها المسلمون ولما تنزل بعد أحكام الجهاد وأحكام تخص المراكز ونتائجها من غنائم  
وأسرى وغير ذلك. وجاءت الآيات لتبين أن هناك هدفين أو همين:  
هم يراود المقاتلين المسلمين وهم تريده الآيات.  
كان الهم الأول لأغلب المسلمين هو أن يغنموا ما في قافلة قريش التي كانت برئاسة أبي سفيان عوضاً عما خسروه وتركوه من أموالهم  
في مكة.. وتهديداً لقريش ومصالحها.. لعلها تكف عن ملاحقتهم والتأمر عليهم..  
ولما علمت قريش بذلك غيرت خطتها ثم حشدت مقاتليها لخوض المعركة مع المسلمين.. توجه المسلمون لميدان المعركة وما زال  
ذلك الهم يراودهم في

١- ١ سورة الأنفال: ٦٧-٦٩.

٢- ٢ مجمع البيان للطبرسي ٤: ٨٥٧.

٣- ٣ الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي ٥: ١٣٤.

٤- ٤ أنظر معجم القراءات القرآنية، الآية.

ص: ١٦٧

الحصول على الغنائم.

كان الهَمُّ القرآنى على العكس من ذلك، همّه قتل الكفار وتقتيلهم وإنزال أقسى الضربات بهم... فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١)

ولم ترد في الآية كلمة الأسر، الغنائم...

وقد عبرت عن هذه الضربات وذلك القتل والتقتيل بالإثخان..

وملاحظتهم، واجتثاثهم من الأرض، حتى يكونوا عبرة لغيرهم، في أن لا يعاودوا الكرة على المسلمين.

فإذا تمَّ الإثخان بكلِّ ما يحمله من معانٍ، من القتل والغلبة والشدة والرعب..

جاء دور الأسر كما قال تعالى بعد ما استقرَّ الإسلام في الحجاز واليمن:

... أَتَخَتَّمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ...

ثم تأتي المرحلة الأخرى بعد الأسر فإِذَا مَا مَنَّا بِغَدٍّ وَ إِذَا مَا فِدَاءً (٢)

، هذه المراحل التي أرادها القرآن الكريم وبينها فيما بعد.

وهذا الموقف القرآنى كان هو موقف رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً كما سيوضح لنا من البحث.

إذن ما كان لكم أيها المقاتلون المسلمون أن تبتغوا عرض الحياة الدنيا بأسر أعدائكم لتفدوهم أو تمنوا عليهم، فكل هذا متاع الدنيا

الزائل، وهذا ليس من شأن رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان للنبي... وعلى قراءة أخرى ما كان للنبي أى ليس له ولا في عهد الله

إليه. لأن يكون له أسرى من المشركين ليفديهم أو يمن عليهم حتى يُثخن في الأرض حتى يبالغ في قتل المشركين ليرتدع به من

وراءهم... (٣) قبل أن تعملوا السلاح بقوة في رقابهم، وما كان لكم أن تتهاونوا فيهم بغية أسرهم ليكونوا غنيمة

١- ١ سورة الأنفال: ١٢.

٢- ٢ سورة محمد: ٤.

٣- ٣ مجمع البيان للطبرسي ٣: ١٥٨.

ص: ١٦٨

لكم، فهو الدنيا بعينها وحبّ بأعراضها، وكان الأجدر أن لا يجدوا فيكم هوادهً أو رافهً أبداً وأن لا تتركوهم إلّوهم يعيشون الرعب من قوّتكم وفتككم بهم، وأن تجعلوا الضعف يلازمهم والوهن يلا-حقهم طيلة حياتهم حتّى لا- يعودوا لمثل ما جاؤوا به وما فعلوا، وهى فرصة عظيمة لكم كان بإمكانكم استثمارها داخل ميدان القتال، فإذا بالغم في قتلهم وقهرهم يرتدع من وراءهم، وأكثر من هذا تواصلوا القتال لتغلبوهم على بلادهم وتذليل أهلها كما على رأى بعض في تفسير الإثخان، حتّى تتمكنوا فى الأرض، لا أن يكون همّكم أسرهم ومفاداتهم والحصول على الغنائم وهو هدف ليس فيه بُعد نظر للمستقبل، فيما التفكير السليم أن تجعلوهم لا يفكّرون فى العودة لكم، بعد أن جاءوا للقضاء عليكم.

فقد كانت كفة الميزان راجحة للمقاتلين المسلمين، وكانت ساحة المعركة بأيديهم فكان بإمكانهم أن ينزلوا العقاب الرادع بعدوهم، وخير دليل على هذا هو قلّة شهدائهم فقد كانوا أربعة عشر رجلاً، ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، فيما كان قتلى العدو سبعين رجلاً بينهم من قادة قريش وزعمائها، وأما أسراهم فكانوا سبعين أيضاً بينهم زعماء من قريش، ولم يؤسر أحد من المسلمين. فمع جلاله وعظمه البدرين، وأن بجهودهم ودمائهم رويت شجرة الإسلام وأزهرت، لم يترك القرآن الكريم عملهم هذا بلا تعريض أو عتاب أو لوم، ليكون ذلك لهم درساً فى مستقبل حياتهم الجهادية، إنّها تربية السماء التى ما انفكت تلاحق المؤمنين فتثنى عليهم إن أحسنوا، وتعاتبهم إن أخطأوا، ليكون هذا ضمن دروس إيمانية متواصلة، وابتلاءات متلاحقة ورقابة مستمرة؛ لإعدادهم الإعداد الذى تبتغيه السماء وتريده لهم فى دنياهم وأخراهم.

حقاً كان الأولى استئصالهم من جذورهم ولا يتركونهم يعودون إلى أهلهم، ولاختصر المسلمون لو عملوا هذا الوقت فى نيل أهدافهم وتحقيقها بكبح أقوى قوّة تواجههم فى دعوتهم الجديدة ولما وقع ما وقع لهم، ولما عادت قريش لهم فى

ص: ١٦٩

أُخذ وما حلَّ بالمسلمين من خسائر فادحة..

والذي يؤيد هذا وأن الكثير منهم كان ينبغي من هذه الفرصة المتاحة هو الظفر بالقافلة، وبما أنهم لم يظفروا بها تراهم بذلوا جهدهم في أن يأسروا منهم ما يستطيعون به تعويض ما لم ينالوه، فراحوا في المعركة يبذلون جهدهم في تجريد أعدائهم من السلاح ومنعهم من القتال، بدلاً من أن يُعملوا السلاح بشدة في رقابهم وهم في ساحة الوغى. إن القرآن جاء يبين لهم خطأ ما فعلوه. وأن ما أرادوه لا تريده السماء بل تريد الآخرة لهم، وتنالوها لو قاتلتم هؤلاء الطغاة الذين أذاقوكم الخوف والذل والهوان ولم تدخل قلوبهم الرحمة بكم، ولم يفكروا يوماً بالعفو عنكم، أو يتركوكم وشأنكم..

يقول سيد قطب: الإثخان المقصود: التقتيل حتى تضعف شوكة المشركين وتشتد شوكة المسلمين، وهذا ما كان ينبغي قبل أن يكون للنبي والمسلمين أسرى، يستبقونهم ويطلقونهم بالفدية كما حدث في بدر، فعاتب الله المسلمين فيه.

ثم يواصل قوله: لقد كانت غزوة بدر هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين، وكان المسلمون ما يزالون قلّة والمشركون ما يزالون كثرة، وكان نقص عدد المحاربيين من المشركين ممّا يكسر شوكتهم ويذلّ كبرياءهم ويعجزهم عن معاودة الكزة على المسلمين، وكان هذا هدفاً كبيراً لا يعدله المال الذي يأخذونه مهما يكونوا فقراء.. (١).

وهناك في داخل معركة بدر ما يؤيد هذا، وأن ما فعله بعض المسلمين لم يكن محلّ قبول رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما كان خلاف ما يريد، لهذا جاء صدر الآية نافية ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى... حتى يشن القتل والتقتيل في أعدائه، ولا يكون أكبر همّه أسرهم بل إنزال العقاب الصارم بهم؛ لأهداف عظيمة تتغيها السماء.

ص: ١٧٠

تقول الرواية عن ابن إسحاق: «فلما وضع القوم أيديهم بأسرون، ورسول الله صلى الله عليه وآله في العريش، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله متوشحاً بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وآله يخافون عليه كره العدو، ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله فيما ذكر لي في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم! قال:

أجل والله يارسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان أحب إلي من استبقاء الرجال! ومما يدل على هذه الرغبة الجامحة بأسر أعدائهم، أن عبد الرحمن بن عوف أسر أمية بن خلف، فأبصره بلال الحبشي وقد ذاق منه الأمرين في مكة إذ كان يضع عليصدره في شدة الحر صخرة كبيرة ويطلب منه ذكر الرسول صلى الله عليه وآله بسوء والعودة إلى عقيدة الشرك، فيأبى بلال، وكلما اشتد عليه الألم قال: أحد أحد، فقال رأس الكفر أمية بن خلف: لا نجوت إن نجا واستعان ببعض الأنصار لقتله وعبد الرحمن يحزره منهم، إذ كان يطمع في فدائه بمال، ولكن تم التمكن منه والقضاء عليه، وكان مع عبد الرحمن أدرع من السلب، فقال أمية حين أسره: أنا خير لك من هذه الأدرع فألقاها وانفرد بأمية، ولما قتل أمية قال عبد الرحمن: رحم الله بلالاً فجعني بأدرعي وأسيري (١).

النضر بن الحارث كان أسيراً للمقداد، وكان يطمع أن ينال من فدائه مالاً كثيراً، ولما رأى أن الأمر يدور حول قتله صاح: النضر أسيري، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله أمر بقتله ودعا لمقداد أن يغنيه الله من فضله. مرمصعب بن عمير بأخيه أبي عزيز بن عمير وقد أخذ به أحد الأنصار أسيراً ووضع القيود في يديه، فقال مصعب للأنصاري: شد يديك به، فإن أمه ذات



ص: ١٧١

متاع لعلها تفديده منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بي؟ فقال مصعب: إنه أي الأنصارى أخى دونك.

ومع عظمه موقف مصعب هذا إلا أن القصة هذه تبين لنا همّ الریح (الفداء) الذى كان يراودهم الحصول عليه.

وليس هذا فى الأسرى فقط بل فى الغنائم عموماً. كان موقف أكثرهم ينصبّ على الغنائم، فتراهم يتنازعون فى حيازتها، فقال من جمعها: هى لنا، وقال الذين يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لو لا نحن ما أصبتموها، ونحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وآله مخافة أن يصل إليه العدو: والله ما أنتم بأحقّ بها منا، لقد كنّا ونحن نحرس رسول الله نرى الغنائم وما يحملها أحد، وكنّا نستطيع حيازتها لو أردنا، ولكننا آثرنا حماية رسول الله عليها، لقد خفنا أن يقتحمه العدو فقمنا دونه، فما أنتم بأحقّ بها منا.

صحيح أن هذا الموقف لم يكن موقفاً عاماً يتصف به جميع المقاتلين، وصحيح أنه موقف بعض فقرائهم وهم الذين بلغ منهم الفقر مبلغاً رقّ منه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا لهم فقال: «اللهم إنهم خفّاء فاحملهم... اللهم إنهم عراة فاكسهم». وصحيح أنهم لم يطلبوا باطلاً بل كانوا يعتقدون أنهم يطلبون الحقّ، ولو كانوا يعرفون أن ما يطلبونه باطل لما تمسكوا به أبداً، فهم تركوا كلّ شيء من أجل الحقّ ومرضاة الله... إلا أن هذا ترك أثره، فجاءت الآية معرضة بموقفهم هذا أو معاتبته... لكى لا يكرروه مستقبلاً.

وقفه قصيرة:

لَا بَدَّ مِنْ وَقْفِهِ مَعَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

أولاً: الذى يبدو من ظاهر الآية أنها جاءت رافضة للحالة التى انتابت جمعاً من المسلمين فى ميدان المعركة من الرغبة فى أسر المزيد من المشركين، وأن العتاب

ص: ١٧٢

أو التعريض الوارد فى الآية كان ينصب على هؤلاء المقاتلين، الذين راحوا يتسابقون داخل المعركة لأخذ المشركين أحياء أسرى ليفادوهم فيما بعد، لا أن التعريض القرآنى جاء للذين قبلوا الفداء من الأسرى بعد انتهاء المعركة، وبعدهما قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، وإلا فإنهم أخذوا الفداء منهم أو من الموسرين منهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله حينما اختار الفداء واحداً من عدة وسائل لتحرير أسرى بدر، وبالتالي إن قلنا: إن التعريض يشمل هؤلاء، فهو إذن يشمل رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه قرّره من ضمن خياراته لإطلاق سراحهم، ولو لم يقرّره لما تجرّؤوا على أخذه.

يقول العلامة الطباطبائي: والعتاب به على ما يهدى إليه سياق الكلام فى الآية الأولى إنما هو على أخذهم الأسرى كما يشهد به قوله فى الآية الثانية لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ أى فى أخذكم، وإنما أخذوا عند نزول الآيات الأسرى دون الفداء، بل يشهد قوله فَكُلُوا مِمَّا غَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا...، حيث افتتحت بفاء التفرّيع التى تفرّع معناها على ما تقدمها... (١)، هذا أولاً.

وثانياً: لم يكن النصّ القرآنى من موافقات القرآن الكريم لرأى عمر الذى أراد قتل الأسرى هو وعبدالله بن رواحه وفريق معهم؛ لأنّ تعريض القرآن الكريم لم يأتِ بخصوص الذين قبلوا الفداء بعدما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك حتى نقول: إنّه جاء موافقاً لما أراده عمر من قتل الأسرى كما يحلو لبعض المفسّرين ذلك، بل التعريض القرآنى جاء للذين راحوا يهّمون بالحصول - داخل المعركة - على أسرى، قبل أن يبالغوا فى تعميق جراح المشركين، وراحوا يتسابقون فى الحصول على أكبر عدد منهم أحياء طمعاً فى الفداء من قبل أن يجعلوهم عبرة لغيرهم وبالتالي فلا يعاودون الكرة على المسلمين أو على الأقلّ يحسبون لها ألف حساب قبل أن يقدموا عليها.

١-١ الميزان فى تفسير القرآن ٥: ١٣٥، فيه تفصيل وافٍ.

ص: ١٧٣

وإن قبلنا أن الآية جاءت موافقة لرأى أحدهم، فمن باب الإنصاف أنها جاءت موافقة لرأى سعد بن معاذ لا عمر بن الخطاب؛ لأن التفاتة سعد سبقت موقف عمر، وهى التفاتة داخل المعركة لا بعد أن وضعت المعركة أوزارها، واتخاذ القرار حول الأسرى. تقول الرواية: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فى وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم! قال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال.

ثالثاً: أن الإثخان الذى ذكرته الآية، المقصود به الإثخان حينما كانت المعركة قائمة، وحينما كان السلاح بأيدي المقاتلين المسلمين، فهذا أكثر وقعا على أعدائهم وهم مسلحون، وهو ما أراده سعد «... فكان الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال». لا الإثخان فيهم وهم مجردون من السلاح، فالإثخان فيهم قتلاً وتقتيلاً وهم مقاتلون يكون أكثر عبرة، لا وهم عزل أسرى، فتثار عندئذ الشبهات، فالأسر بعد أن يثخن النبي فى الأرض، يثخن فيهم فى ساحة الوغى قتلاً وتقتيلاً واستيلاءً على معقلهم وأرضهم... عندئذ يأتى الأسر إن كان هناك من يؤسر، لا أن يكون الهم الأول للمقاتل المسلم أن يأسر، بل الهم الأول يجب أن يكون القتل والردع وزرع الرعب فى قلوب المشركين ومن خلفهم وهو ما تريده الآية وتهدف إليه.

بينما الذى أراده عمر هو الإثخان بهم وهم أسرى، وبما أنه لا قتل بعد الأسر باستثناء مجرمى الحرب، فقد حلّ الفداء وجاز الانتفاع والتمتع بما يقدمه الأسير من مال لفك رقبتة خاصة بعد أن أقره رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر به.

تقول الآية: فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ

ص: ١٧٤

فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً (١).

أى أكثرتم فيهم القتل والجروح فى ساحه الوغى فضعفوا عن المقاومه عند إذن يأتى دور الأسر، وقد ذكر ابن هشام فى سيرته عن ابن إسحاق، قال: حدثنى محمد أبو جعفر بن على بن الحسين، قال... فقال: ما كان لنبى أى قبلك أن يكون له أسرى من عدوه حتى يُنخَنَ فى الأرض أى يشن عدوه حتى ينفيه من الأرض تُريدونَ عَرَضَ الدُّنيا أى المتاع، الفداء بأخذ الرجال. يقول الطبرسى: وهذا خطاب لمن دون النبي صلى الله عليه وآله من المؤمنين الذين رغبوا فى أخذ الفداء من الأسرى فى أول وقته ورغبوا فى الحرب للغنيمه... (٢) وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ أى بقتلهم؛ لظهور الدين الذى يريد إظهاره والذى تدرك به الآخرة (٣).

إذن فالإثخان المراد هو الإثخان فى المعركة، لا الإثخان فى الأسرى الذى أرادَه عمر بن الخطاب وفريقه.

أما بخصوص الآية التالیه لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ فَقَالَ: أى من الأسارى والمغانم عَذَابٌ عَظِيمٌ أى لولا أنه سبق منى أتى لا- اعدب إلا بعد النهى ولم يكن نهاهم أو حتى يبين لهم ما يتقون...، لعدبتكم فيما صنعتهم، ثم أحلها له ولهم رحمه منه، وعائده من الرحمن الرحيم فقال: فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٤).

فبعد أن بينت الآية الكريمة متى يقع الأسر، إنه بعد الإثخان، عرضت بما فعلوه من أخذ الأسرى طمعاً فى دنيا زائلة، وبعد هذا التعريض الذى أرادته الآية

١-١ سورة محمد: ٤.

٢-٢ مجمع البيان ٣: ٨٥٨.

٣-٣ السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٦٧٦-٦٧٧.

٤-٤ مجمع البيان للطبرسى ٣: ٨٥٨.

ص: ١٧٥

درساً بليغاً لهم... راحت تبيح لهم ما أخذوه من غنائم وما أخذوه من فداء على الأسرى. على أن يتقوا الله تعالى، وأن لا يعودوا لمتلها بأن يكون همهم هو الغنائم والأسرى، فأين هذا مما ذكره بعض المفسرين ومما أسموه - بلا وجل - بالموافقات لقول عمر؟! الثاني: بعث الأمل في نفوسهم...

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَٰعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ\* وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١).

نزلت هذه الآية المباركة في أسرى بدر؛ لتشكّل بذلك موقفاً قرآنيّاً لصالحهم، فلم يقف القرآن الكريم عند تبيين حكم الأسرى، بل راح يسليهم عما فقدوه من أجر عظيم بسبب موقفهم ضدّ الرسالة الجديدة، ويفتح لهم أبواباً أخرى للخير والعطاء، يمكن أن تعوّضهم عما خسروه من أجر ومن فداء؛ ليشتروا به حرّيتهم التي ذهبت بأسرهم، وربّ ضارة نافعها كما يقال، إذا أحسنوا واتّقوا.

فقد روى عن العباس بن عبدالمطلب أنّه قال: نزلت هذه الآية فيّ وفي أصحابي، كان معي عشرون أوقية ذهباً فأخذت منّي، فأعطاني الله مكانها عشرين عبداً، كلّ منهم يضرب بمال كثير، وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحبّ أن لي بها جميع أموال أهل مكّة، وأنا أنتظر المغفرة من ربّي.

فيما قال قتادة: ذكر لنا أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً، وقد توضّأ لصلاة الظهر، فماصلي يومئذ حتّى فرّقه، وأمر العباس أن يأخذ منه

ص: ١٧٦

ويحسى فأخذ، فكان العباس يقول: هذا خيرٌ ممّا أخذ منّا وأرجو المغفرة.. (١).

يقول سيد قطب: ثمّ يلمس قلوب الأسرى لمسةً تُحيى فيها الرجاء، وتطلق فيها الأمل، وتشيع فيها النور، وتعلقها بمستقبل خير من الماضي، وبحياة أكرم ممّا كانوا فيه، وبكسب أرجح ممّا فقدوا من مال وديار، وبعد ذلك كله بالمغفرة والرحمة من الله. ثمّ واصل حديثه بقوله: هذا الخير كله معلق بأن تصلح قلوبهم فتفتح لنور الإيمان فيعلم الله أنّ فيها خيراً.. والخير هو الإيمان حتى ما يحتاج إلى ذكر وتنصيب. الخير محض الخير، والذي لا يسمّى شيء ما خيراً إلاّ أن يستمدّ منه وينبثق منه ويقوم عليه. ثمّ قال: إنّ الإسلام إنّما يستبقى الأسرى لديه؛ ليلمس في قلوبهم مكانَ الخير والرجاء والصلاح، وليوقظ في فطرتهم أجهزة الاستقبال والتلقّي والتأثر والاستجابة للهدى، لا ليستذلّهم انتقاماً، ولا ليسخرهم استغلالاً، كما كانت تتّجه فتوحات الرومان وكما تتّجه فتوحات الأجناس والأقوام (٢).

إذن فالإسلام طموحٌ ويأمل الخير من هذه النفوس التي كانت بالأمس تقاتله وتريد الإطاحة به وبمبادئه التي جاءت لإنقاذ الإنسان، نعم إنّه لا يقنط من أن يفجر فيها منابع الخير ومنابت العطاء. لهذا تراه يرفع الأسرى ويمدّهم بكلّ ما يخرجهم من هذا الأسر ومن ماضيهم التعيس.

فجاءت هذه الآية دليلاً واضحاً وبرهاناً ساطعاً على هدف الإسلام العظيم.  
بنو قريظة:

١-١ انظر مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي ٤: ٨٦٠-٨٦١ وغيره من التفاسير.

٢-٢ انظر في ظلال القرآن، سيد قطب ٣: ١٥٥٣.

ص: ١٧٧

اليهود بطوائفهم الثلاث بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، هؤلاء الثلاثة كانوا قد اتخذوا من أطراف المدينة سكناً لهم بعد أن طردهم بنوخذنصر من الشام وشتت جمعهم ولاحقهم حتى لم يجدوا مكاناً يأوون إليه ويأمنون به من ملاحقه بنوخذنصر ومن بطشه بهم، إلا يثرب، سكنوا فيها وصارت لهم أسواقهم واتسعت تجارتهم وقويت شوكتهم، ولكنهم لم تطهر نفوسهم كأنها ورثت الحقد والخبث على غيرهم، حقاً ما في الآباء يرثه الأبناء.

ولما حل رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة بعد هجرته من مكة، وراح يبنى أسس دولته الفتية على أكتاف جموع المؤمنين به وبرسالته الجديدة، من المهاجرين والأنصار، كان من مهامه الأساسية وهو عارف بتركيبة مجتمع يثرب وقبائلها وطوائفها المتعددة والتي كان منها قبائل اليهود الثلاث، أن يوادع هذه القبائل متعهداً باحترامهم واحترام عقائدهم مع ضمان حرية عبادتهم وشعائرتهم ولهم أن يعيشوا ويعملوا كالأخرين بأمن وسلام.. ما داموا موادعين مسالمين، لا يهجمون على مسلم ولا ينصرون عدواً للمسلمين، ولا يعكرون أمناً ولا يسيئون إلى جوار...

لم يتمالك هؤلاء أنفسهم وما فيها من بغض لرسول الله صلى الله عليه وآله وللمسلمين وقد جبلوا على الفتنة والتآمر، فسرعان ما نقض بنو قينقاع العهد وتبعهم على ذلك بنو النضير، فراحوا يحرضون الأعداء، ويتعاونون معهم ويقدمون ما يحتاجه المنافقون داخل المجتمع المدني الجديد، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن أجلاهم عن قراهم، فذهب جمع منهم إلى منطقة أدرعات فيما ذهب الآخرون إلى خيبر، واكتفى رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الإجراء؛ لأن عملهم لم يرتق إلى أكثر من هذه العقوبة.

فيما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مع بنى قريظة أمر آخر وحكم أشد، وكانت عقوبتهم على قدر جريمتهم النكراء وخيانتهم الكبرى، وأخيراً فقد كلفتهم هذه الجريمة حياتهم.

جريمتهم القذرة:

حيى بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وهما من كبار ومن زعماء يهود بنى

ص: ١٧٨

النضير، ذهبوا مع آخرين منهم في السنة الخامسة من الهجرة النبوية إلى مكة حيث المشركون من قريش وحيث زعماءهم لإقناعهم وتحريضهم على الدين الجديد ونبية محمد صلى الله عليه وآله، وعلى قتالهم ووضعوا قدراتهم بين أيديهم ووعدوهم بغيرها كثمار خبير لعام كامل، ثم ذهبوا إلى غطفان للمهمة نفسها، وراحوا يحزبون قريشاً وغطفان ويقولون لهم: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله...

ولما سألتهم قريش: يا معشر اليهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه.

فأنزل الله في موقفهم هذا قرآناً (الآيات ٥١-٥٥ من سورة النساء).

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعواهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله فاجتمعوا لذلك واتعدوا له... (١). ولم يكتفوا بهذا بل راحوا يحزبون يهود بني قريظة على نقض عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله والانضمام إليهم وإلى عشرة آلاف مقاتل من مشركي قريش وغطفان، الذين تمركزوا بأطراف المدينة بقيادة أبي سفيان، والذي منعهم عن اجتياز المدينة وهو الخندق، في إشارة من الصحابي الجليل سلمان الفارسي، حفر المسلمون خندقاً في ستة أيام، في الجانب المكشوف من المدينة، وراحت عساكرهم الثلاثة آلاف تخندق إلى جانبه وظهورهم كانت إلى جبل سلع الذي يحميهم من الخلف. في هذه الحالة التي يعيشها المسلمون اقتنع زعيم بني قريظة كعب بن أسد بأراء حبي بن أخطب فنقض عهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ليتحوّل إلى طابور يقوّض وحدة المسلمين من الداخل، كما وعد المشركين بأنه معهم في قتالهم مع المسلمين،



ص: ١٧٩

وبدأ يمدّهم بالعون والمساعدة، فشكّل بعمله هذا دوراً قذراً وخطيراً على الجماعة المسلمة.

ما إن سمع رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله بما آلت إليه أمور بنى قريظة وأفعالهم، حتّى أرسل رسولين منه وهما سعد بن معاذ سيّد الأوس وسعد بن عباد سيّد الخزرج مع شخصين آخرين؛ ليستطلعوا الأمر، فوجدوا بنى قريظة مصرّين على موقفهم هذا، وباءت جهود الوفد فى إقناع بنى قريظة بعدم نقض عهدهم وإلّا سيحلّ بهم الجزاء العادل كما حلّ ياخوانهم اليهود من بنى قينقاع وبنى النضير، باءت جهود الوفد هذه بالفشل، وكان جواب كعب يتّصف بالغلظة والشدة، ناكراً أن يكون قد عاهد الرسول صلى الله عليه وآله بشيء، وراح وزمرته الخبيثة يشتمون رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله.

ولم يقف عملهم هذا عند حدّ، بل استعدّ كعب وبنو قريظة وأرسلوا إلى الأحزاب يستمهلونهم عشرة أيّام؛ لإكمال عدّتهم وطلبوا من الأحزاب مشاغلة المسلمين، ريثما يرتّبون أمورهم، فيما راح الأحزاب يوزعون أنصارهم على ثلاث فئات أو جماعات، كلّ واحدة تقف فى مكان قرب الخندق لمواجهة المسلمين.

هذان العدوآن راحا يتفعلان مع المنافقين داخل المدينة، هؤلاء الذين أسسوا علاقات سرّية مع كلا الجانبين، مع المشركين فى أطراف المدينة ومع اليهود خاصّة بنى قريظة داخل المدينة.

بدأ الخوف يدخل قلوب مسلمى المدينة خاصّة من ضعف إيمانهم، فأتى جمع منهم إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله قائلين له: إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ... أَى هى غير حصينة ولا منيعة وتجب عن ذلك السماء: وَ مَا هى بَعْوَرَةٌ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً (١).

هذا الواقع المرير وخطورته راح يصوّره لنا القرآن الكريم بقوله:

إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ

ص: ١٨٠

الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا\* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا\* وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا\* وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ... (١).

مقابل هذا هناك تصوير آخر يبين فيه تعالى وضع المخلصين الصادقين من المسلمين حيث يقول: وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا (٢).  
ال حرب خدعة

قدّر لرجل من آل غطفان يكتنم إسلامه، دورٌ عظيم، فقد خلط على الأحزاب واليهود أوراقتهم، وراح ينقّر بعضهم من بعض عبر خطئه ذكيّة.

لم يكن هذا الرجل حتّى وقت قريب من مشروعه هذا مسلماً، بل عرف بين المشركين واليهود بأنه عدوّ لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وهذا ما نفعه كثيراً في تخذيلهم عبر خطئه التي أمره بها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حينما جاء ليسلم. وكان أوّل عمله أن ذهب إلى بنى قريظة، وكان من ندمائهم في الجاهليّة، ولم يكن لهم علم بإسلامه، فقال لهم: إنكم نكتنم العهد وقررت مناصرة الأحزاب، ولكن ماذا تكون نتيجتكم لو رجعت الأحزاب دون نصر، فإنّ الدائرة تدور عليكم وحدكم؛ لذا أرى أن ترسلوا إلى قريش وغطفان وتطلبوا منهم رهناً حتّى تضمّنوا بقاءهم.  
قالوا: لقد أشرت بالرأى.

ثم مضى على وجهه إلى قريش فغطفان وأسّر إليهم أن بنى قريظة ندموا على

١-١ الأحزاب: ١٠-٢٧.

٢-٢ الأحزاب: ٢٢.

ص: ١٨١

نقض العهد، وأنهم أرسلوا إلى الرسول يسترضونه ويقولون: إنهم يأخذون منكم رهائن ويرسلونهم إليه ليضرب أعناقهم، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوها. هذه خلاصة خطته، وأما تفصيلها:

فيقول الخبر عن نعيم هذا: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إنى قد أسلمت، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة، وكان لهم نديماً فى الجاهلية فقال:

يا بنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم، وخاصية ما بينى وبينكم، فقالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم، لا تقدرن على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمّد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونسأؤهم بعيدة، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهزة (انتهاز الفىء واختلاسه) أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتى تنجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمّداً، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عنى، فقالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد، وقد أرسلوا إليه: إننا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم؟

ص: ١٨٢

فأرسل إليهم: أن نعم.

فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى وعشيرتى، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهموننى، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم.

قال: فاكتموا عنيّ، قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم (١).

فعلماً إنها مكيدة ذكية، راحت تفعل فعلها فيهم جميعاً وتؤتى نتائجها، فقد أرسل الأحزاب جماعة منهم عكرمة بن أبي جهل إلى بنى قريظة، قائلين لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمّداً، ونفرغ ما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت لا نعمل فيه شيئاً... وطلبوا من الأحزاب رهائن ضماناً لبقائهم معهم.

وهنا لم يبق عند الأحزاب - بعد الذى سمعوه - شكّ فيما قاله نعيم، فداخلهم الشك والقلق من حلفائهم بالأمس، ثم راحت الأحوال الجويّة هي الأخرى تؤدّى دوراً آخر، فهطول الأمطار وغزارتها وهبوب الرياح وبرودتها والعواصف وشدّتها قلعت خيام الأحزاب وبعثت أمتعتهم، فأدخلت بذلك الرعب والخوف عليهم.

وهم فى هذه الحالة المقلقة، داخلهم وهم أن المسلمين بدأوا يقتربون من مواقعهم، مقدّمةً لمداهمتهم.

وراحت هذه الأوهام والمخاوف تتجدّر فى نفوسهم فإذا بطلحة بن خويلد وقد نادى: أن محمّداً يعبر إلينا ويورثنا الهلاك فالتمسوا النجاة، وما إنصكّ هذا

ص: ١٨٣

النداء آذان أبى سفيان حتى نادى بمثله.

فرحلت الأحزاب تحت جناح الظلام، وعند الصباح لم يكن لهم أثر يذكر.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا... (١).

والجنود الأولى هم: قريش وغطفان وبنو قريظة، والجنود الأخرى هم الملائكة. وباءت خطئة يهود بنى قريظة بالفشل الذريع، وحل بهم جزاء فعلتهم هذه العقاب العادل.

إذ كان دورهم وغدرهم مساوياً إلى دور قريش وغطفان ولا يقل عنهما أبداً إن لم يكن أشد من ذلك وأمضى فعدو الداخل قد يكون أكثر خطراً من عدو الخارج وأعظم كيداً. لهذا ترى القرآن الكريم يذكرهم جميعاً بمنزلة واحدة إذ جاءتكم جنود...، إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم... والجنود هم: بنو قريظة الذين جاءوهم من فوقهم، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان (٢).

جزاؤهم

إذن بنو قريظة ارتكبوا خيانة كادت تودي بالجماعة المسلمة وتقضى على الدين الجديد، وفي أقل التقادير عرضت المجتمع الجديد ورسالته لأخطر موقف وأشدّه، وكاد أن يترك آثاره السيئة على الحالة الإسلامية لولا رحمة السماء، وقد استشهد من المسلمين نتيجة هذا التحالف القدر والتآمر الدنيء ستة نفر.

فخيانتهم للعهد وغدرهم برسول الله صلى الله عليه وآله، وممالأتهم لمشركى قريش وتقديم العون لهم، وتعاونهم مع منافقى المدينة فى أن يجعلوا أنفسهم عامل هدم للمسلمين

١- ١ الآيات ٩- ٢٥ من سورة الأحزاب.

٢- ٢ انظر الآيات الخاصة بوقعة الخندق وبنى قريظة ٩- ٢٧ من سورة الأحزاب.

ص: ١٨٤

من داخل المدينة، لتشتيتهم وتضعيف كيانهم.

وأيضاً إصرارهم على مواقفهم هذه التي منبعها الخبث والحقد مع كل جهود رسول الله صلى الله عليه وآله في أن يحييهم، إلا أنهم زادوا عناداً وإصراراً على موقفهم هذا.

خيائنه عهد وعداء قذر للمسلمين، وإعلام مضاد شتوه ضدهم، وتعاون مع المنافقين، وتحريض الأحزاب وإمدادهم بما يحتاجون إليه. ما إن مكث رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون قليلاً لصلاة الظهر حتى أمر مناديه أن يؤذن في الناس: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة».

فتوجه المسلمون من فورهم إلى حيث حصونها وقلاعها يتقدمهم الإمام على عليه السلام برايته. حتى إذا دنا سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وآله فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وآله بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لم؟ أظنك سمعت منهم أذى؟ قال: نعم، يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. تقول الرواية: فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وآله من حصونهم، قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً.

وكما تقول الرواية: إن جبريل سبق رسول الله صلى الله عليه وآله - بعد أن أبلغه أمر السماء بالتوجه إليهم - نحو بني قريظة ليزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم.

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، ولما تيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال أحدهم وهو كعب بن أسد: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها شتم، قالوا: وما هي؟ قال:

نتابع هذا الرجل ونصدقّه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم.

ص: ١٨٥

قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره.

ثم طلب منهم أن ينزلوا إلى المسلمين ليقاتلوهم، فاعتذروا مرةً بأنهم لا يستطيعون قتل نساءهم وأبنائهم كما طلبها هو، ومرةً بأنهم لا يريدون إفساد سبتهم.

فقال لهم: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلةً واحدةً من الدهر حازماً (١).

ثم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث لهم أبا لبابة بن المنذر؛ ليستشيره لكنه لم يحسن التصرف، وقصته معروفة (٢). ولما يئسوا من مقاومتهم للمسلمين وإنهاء الحصار المضروب عليهم طيلة هذه المدة، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، وشفعت لهم الأوس وهم حلفاؤهم في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فذاك إلى سعد بن معاذ. وقبل اليهود بحكمه قائلين: نزل على حكم سعد بن معاذ، ثم قال له جمع: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما ولّاك ذلك لتحسن فيهم... فقال: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه... فإنّي أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسّم الأموال، وتسبى الذراري والنساء.

تقول الرواية: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (سموات، الواحدة: رقع) (٣).

وهذا نتيجة خيانتهم وغدرهم وتآمرهم، وتمّ قتلهم وفيهم حبي بن أخطب، وكعب بن أسد رأسهم، واختلف في عددهم فقول: إنّهم ستمائة أو سبعمائة، وقول:

١- ١ انظر السيرة النبوية ٣: ٢٤٦-٢٤٧.

٢- ٢ انظر السيرة النبوية ٣: ٢٤٧ وما بعدها.

٣- ٣ انظر السيرة النبوية ٣: ٢٥١.

ص: ١٨٦

إن عددهم كان بين ثمانمائة وتسعمائة (١).

ولم يقتل من نسايم إلامرأة واحدة، تلك التى طرحت الرحى على خلاد بن سويد فقتلته، أما بقية نسايم وأطفالهم فقد قسمت بين المسلمين، وبعث رسول اللهلصلى الله عليه وآله بحصه الدوله منها إلى نجد فبيعت هناك، واشترى بها سلاحاً وخيلاً عدده للمسلمين. قال تعالى:

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْصِياصَتِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا \* وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢).

ويبدو أن سعد بن معاذ لم يكن فى حكمه هذا بعيداً عما ورد فى شريعة اليهود فى أعدائهم إذا ظفروا بهم، ومن العدل أن يحكم فيهم بما يحكمون به أعداءهم.

فهذه التوراه، فى سفر التثنيه ١٠-١٥ تقول:

«حين تقرب من مدينه لكى تحاربها استدعها للصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير وتستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً فحاصرهما، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينه كل غنيمه فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمه أعدائك التى أعطاك الرب إلهك».

### حوار مع رئيس بنك التنمية الاسلامى

١-١ السيره النبويه ٣: ٢٥٢.

٢-٢ سورة الأحزاب: ٢٦-٢٧.



ص: ١٨٧

حوار مع رئيس بنك التنمية الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

معالى الدكتور أحمد محمد على رئيس بنك التنمية الإسلامى المحترم:

بدءاً نقدم لكم جزیل شكرنا، لهذه الفرصة الطيبة لإجراء هذا اللقاء الخاص لمجلة ميقات الحج الذى تفضلتم به علينا ونحن لكم من الشاكرين، وندعو الله سبحانه وتعالى طيب الإقامة لكم فى الجمهورية الإسلامية.

: فى بدء لقائنا هذا، يودّ قراء مجلة ميقات الحج التعرف على شخصكم الكريم، فهلاً تفضلون بذلك مشكورين!؟

أحمد محمد على رئيس البنك الإسلامى للتنمية، من مواليد المدينة المنورة حيث أكملت بها دراساتى الابتدائية والثانوية، ثم التحقت بجامعة القاهرة وتخرّجت من كلية التجارة وكلية الحقوق، ثم عملت فى وزارة المعارف لمدة ثلاث سنوات قبل أن أذهب للدراسة فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصلت على الماجستير من جامعة ماشكن، والدكتوراه فى الإدارة العامة والإدارة المالية من جامعة ولاية نيويورك، بعدها عُينت رئيس جامعة

ص: ١٨٨

الملك عبد العزيز بالنيابة عند إنشاء هذه الجامعة وخدمت بها خمس سنوات، ثم عُيِّنَت وكيلاً لوزارة المعارف بالشؤون الفنيَّة وبعدها تشرفت بأن انتُخبتُ رئيساً للبنك الإسلامي للتنمية في عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

ومنذ ذلك الحين وأنا أعمل رئيساً للبنك الإسلامي للتنمية باستثناء فترة سنتين كنت انتخبت أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي، فمعنى ذلك أنني خدمت الآن حوالي ما يقرب من سبعة وعشرين عاماً في البنك الإسلامي للتنمية رئيساً لهذه المؤسسة.

: منذ سنوات عديدة والحجاج خاصة الإيرانيين منهم كانوا يتمنون أن تكون هناك طريقة للاستفادة من ذبائح الهدى، فمن أي وقت فكر معاليكم في حل هذه المشكلة؟

في الحقيقة البنك الإسلامي للتنمية يشرف حالياً على تنفيذ مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من أضاحى الحج الذى انشى عام ١٤٠٣ هجرية بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين، وقد تم تنفيذه والإشراف عليه من قبل لجنة مكونة من عدد من الجهات الحكومية، وهناك العديد من الوزارات وهى: وزارة الأشغال العامة والإسكان باعتبارها الجهة المشرفة على مشاريع وزارة الداخلية ووزارة المالية والاقتصاد الوطنى ووزارة الحج ووزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ووزارة العدل ووزارة الشؤون البلدية والقروية ممثلة بأمانة العاصمة وهى إمارة منطقة مكة المكرمة لها ممثلون فى هذه اللجنة التى تشرف على تنفيذ مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من أضاحى الحج، واسند تنفيذ هذا المشروع إلى البنك الإسلامي الدولي، ومنذ عام ١٤٠٣ هجرية وهذا المشروع يتطور تدريجياً بفضل الإمكانيات التى وفرتها حكومة المملكة العربية السعودية

ص: ١٨٩

لإنشاء المجازر الحديثة المجهزة. وقد تطوّر هذا المشروع منذ عام ١٤٠٣ هجرية فاستفيد من حوالى ٦٣ ألف رأس فى حين وبمحمد اللّهُ فى العام الماضى تجاوزت الأغنام التى استفيد منها ٦٠٠ ألف رأس إلى جانب حوالى ٦٠٠٠ رأس من الجمال والبقر، فالمشروع بمحمد اللّهُ تطوّر تدريجياً. الآن جميع المجازر الموجودة فى المشاعر تعمل فى إطار هذا المشروع، فى الأول بدأت مجزرة واحدة نموذجية هى معيصم رقم واحد، ثم مجزرة نموذجية معيصم رقم اثنين، ثم معيصم رقم ثلاثة، ثم مجزرة الجمال والأبقار، ثم مجزرة السنبله بعد ذلك المجزرة القديمة ازيلت وحلت محلها خيام حديثة للحجاج وانشتت المجزرة الحديثة التى افتتحت من قبلصاحب السمو الملك عبداللّهُ بن عبد العزيز ولّى العهد نائب رئيس مجلس الوزراء العام قبل الماضى.

فالمجزرة هذه لها سنتان تعمل من العام الماضى كما شاهدتم بأنفسكم كانت الإدارة أحسن من العام السابق، ونتوقع السنة القادمة تكون أفضل، وكلّ سنة إن شاء اللّهُ نستفيد من تجارب السنوات الماضيه لخدمة حجاج بيت اللّهُ الحرام، ونحن أيضاً سعيديون للتعاون القائم مع منظمة الحج والعمرة فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وللتعاون الوثيق والقوى القائم بين المشروع وبين بعثة المنظمة المذكورة.

: معالى رئيس بنك التنمية الإسلامى، فى الوقت الحاضر المشروع فى أى مرحلة من مراحلها؟ وكم هو عدد الحجاج الذين يقومون بذبح الأضاحى عن طريق البنك؟

طبعاً الإحصاءات التى بأيدينا هى إحصاءات متعلقة بعدد الذبائح، وهناك بعض الحجاج يأتون بوكالات عن أشخاص ربما أنّهم ما حجّوا يطلبون

ص: ١٩٠

منهم تقديمصداقات نيابة عنهم، فالإحصاء الذى لدينا لا يدلّ بدقّة على عدد الحجّاج، ولكن لدينا إحصاء عدد الأغنام التى تمّ شراؤها من الحجّاج، نحن عندنا إحصائيات، سوف نعطيكم إحصائية كاملة، من بداية المشروع عام ١٤٠٣ هجرية إلى حجّ العام الماضى ١٤٢٠ هجرية، سنعطيكم إيّاها بدقّة إن شاء الله تعالى.

: بقيّة الحجّاج من ناحيته ذبح الأضاحى ماذا يعملون، هل يقومون بأداء حجّ الافراد أو يذبحون من مسالخ مكّة المكرّمه؟  
 طبعاً هناك عدّة فئات كما تفضّلت، بعض الحجّاج المفردىن الذين ليس عليهم دم أى أنّهم لا يذبحون طبعاً هم فى خيار الصيام فبعضهم يصومون ثلاثة أيام فى الحجّ وسبعة إذا رجعوا وتلك عشرة كاملة، وعند الشوافع هؤلاء يذبحون الهدى بمجرّد التمتع حينما يأتى متمتعاً، فبمجرّد أنّه يتمتع بالعمرة يقوم بذبح الهدى، فيقومون بأداء هديهم قبل الحجّ من مجازر مكّة العادية، وقليل من الحجّاج أيضاً حتّى أيام الحجّ يذبحون فى مجازر موجودة فى مكّة وفى مجزرة البديرة هذه البعيدة عن منى، أمّا المجازر الموجودة حالياً حول مشعر منى وأنتم تعرفون أنّها لصيقة بحدود منى الشرعية، هذه المجازر كلّها تأتي فى إطار مشروع المملكة للإفاده من الحجّ.

: كيف أقدمتم على حلّ المسائل الشرعية بالنسبة لنحر الأضاحى؟

طبعاً هناك كثير من الامور الشرعية كما تعلم، وهناك العديد من المدارس الفقهيّة. فنحن والحمد لله تعالى نعتزّ بثروة الفقه الإسلامى، كما تعلمون عندنا ثروة كبيرة؛ فلذلك هناك العديد من الآراء فى طرق أداء المناسك، فنحن نحاول بقدر المستطاع أن نلبي وجهات نظر جميع هذه

ص: ١٩١

المدارس من أجل أن يقتنع الحجاج بما يقومون به والاسلوب الذى يقومون به بأداء هذا النسك العظيم، فمثلاً بالنسبة للاخوة الأحناف والاخوة فى المذهب الجعفرى الذين يرون، أو الذين يأخذون بالآراء الفقهية التى ترى وجوب ترتيب أعمال أيام النحر بمعنى أنهم يرون أن الحاج بعد أن يرمى جمرة العقبة عليه أن يقوم بأداء الهدى، ثم بعد ذلك الحلق أو التقصير ثم التحلل الأول فى حين أن- كما تعلمون- رأى الجمهور يرى عدم وجوب هذا الترتيب وإنما إذا رمى جمرة العقبة وحلق أو قصّر يؤذن له أن يتحلل فى أداء اثنين من الثلاثة، فهؤلاء الناس طبعاً ممكن أنهم يحلون إحرامهم خلافاً للمدارس الفقهية الاخرى التى هى غير ذلك، فلمساعدة هؤلاء المشروع أو وجد نظام الوكالة، فهذا المشروع يُتيح لكلّ ثلاثين حاجاً أن يرسلوا وكيلًا عنهم، وهذا الوكيل يُعطى تصريح بدخول المجزرة والإشراف على أداء النسك الخاص به وبموكله وله أيضاً إذا رغب أن يذكى أصالة عن نفسه أو نيابةً عن موكله يأخذ ماشاء من اللحوم ومن الذبائح، وهذا الوكيل حينئذٍ يخبر موكله أنه تم أداء النسك فى تلك الساعة، وحينئذٍ يتمكنون من أن يفكوا الإحرام ويتمكنوا من التحلل الأول بعد أن يكونوا قد رموا جمرة العقبة. هذه وسيلة من الوسائل التى أمكن معالجتها ما يذهب إليه الاخوة الحجاج الذين يتبعون المذهب الجعفرى أو يتبعون رأى الإمام الحنفى. هناك العديد من التوصيات الاخرى أنا كنت ذكرت بعضها.

: هل يرى معاليكم أن فى حالة ازدياد عدد المسالخ وإيجاد تسهيلات أكثر للحجاج، فسوف يتمكن أكثر عدد من هؤلاء الحجاج من نحر الأضاحى عن طريق بنك التنمية الإسلامى؟

الرسول صلى الله عليه و آله قرّر أربعة أيام للذبح وهى يوم عيد النحر وأيام التشريق

ص: ١٩٢

بأكملها، فنحن الآن الإمكانات الموجودة تفى بجميع احتياجات الحجاج، ففى العام الماضى على سبيل المثال من بعد عصر اليوم الثانى قفلنا وحدتين من الوحدات الأربع فى المجزرة الحديثه واكتفينا بوحدين فقط، لأن الطاقة موجودة، لو كان الطلب أكثر لما قفلنا وحدتين، فمعنى ذلك الطاقات الموجودة الآن فى المجازر كافيه لتلبية جميع حاجه حجاج بيت الله الحرام فى السنوات القليلة المقبلة بإذن الله تعالى.

: فى السنة الماضيه كثير من الحجاج الإيرانيين كانوا مسرورين بالطريقة التى يستفاد بها من لحوم الأضاحى، وهذا عمل خير وكانوا مسرورين لهذا، ولكن فى بعض الامور هناكصعوبات حدثت لبعضهم؛ منعهم من الاستفادة، وكان السبب الذى لمسها المسؤولون عندنا أن بعض الرجال الذين كانوا موجودين هناك والمأمورين لم يكن عندهم النشاط اللازم من أجل القيام بهذه المهمه، فكيف تقيّمون هذه المشكله، وهل رأيتم حلًا لها؟

الحقيقه فى العام الماضى هناك نقص فى أعداد الجزارين العمال بعد ظهيرة اليوم الأول، لكن الحمد لله أمكن التغلب ومعالجه هذه المشكله بحيث إنه أمكن ذبح أكثر عدد ممكن فى اليوم الأول، ولا تحضرنى الآن الإحصائيه لكن أحاول أن أحصل عليها، ذبحت أعداد كبيره جداً وفى اليوم الثانى بعد الظهر تقريباً المجزرة صار فيها عدد قليل من الناس يعنى ظهيرة اليوم الثانى كان أغلب الحجاج تقريباً قد تمكّنوا من استكمال الذبح أو النحر بحيث كما أخبرتك أننا تقريباً بعد ظهر أو بعد عصر اليوم الأول أقفلنا وحدتين من وحدات المجازر الأربع؛ لأنه ما كان عليها طلب ما كان هناك حجاج وهذا تقريباً من عصر اليوم الثانى. فمعنى ذلك الحمد لله جميع احتياجات الحجاج تُبث قبل مغرب اليوم الثانى وهذا شىء عظيم.

ص: ١٩٣

: هل بإمكانكم توفير العدد اللازم من الأضحى التى تتوفّر فيها الشروط اللازمة وفقاً لمذهب الشيعة، فمثلاً على سبيل المثال سلامة آذانها والقرون وباقى الأشياء؟

مشروع المملكة لنحر الأضحى الهدف الأساسى من قيامه هو توفّر جميع الشروط الشرعية والبيطرية فى كلّ ما يعرض من الأنعام فى المجازر، هذا هو الهدف الأساسى والأول؛ فلذلك حينما يعلن عن توفير الأغنام توضع جميع الشروط الشرعية التى يجب توفّرها، فإذا كان هناك شروط اخرى غير التى نحن نعرفها فى رأى الجمهور خاصة بالمذهب الجعفرى أرجو إعطائى إياهاو والبنك يسعى بإذنه تعالى إلى توفير الأغنام والأنعام التى تحمل هذه الشروط، ونحن على استعداد لمراجعة العلماء الأجلّاء فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

: معالى رئيس بنك التنمية الإسلامى، ماذا تتوقعون من الحجاج الإيرانيين حين ذبح الأضحى فى المكان المخصّص؟  
أول شىء نرجوه هو أن يأتوا من الصباح الباكر حين يبدأ الذبح فبعد أن يسلم الإمام فيصلالة المشهد صلاة العيد ويقول: السلام عليكم، بعد انتهاء هذه الصلاة يبدأ الذبح يعنى تقريباً من الساعة السابعة والسابعة والنصف صباحاً إلّا أنّ وكلاء الحجاج لا يأتون إلّا الساعة ٩/٣٠- ١٠ فيضيع وقت ثمين من الصباح الباكر تكون المجازر خالية؛ لذلك نحن رجونا من الاخوة المسؤولين فى منظّمة الحج والعمرة أن وكلاء السيدات باعتبارهنّ ينفرن من مزدلفة بعد منتصف الليل مباشرة ويتم رمى جمرة العقبة مبكراً، وكلاء السيدات يأتون إلينا مبكرين صباحاً حتّى نستفيد من فترة الصباح يعنى ساعات مهمّة جداً هذه واحدة.

ص: ١٩٤

الأمر الثانى: بالنسبة للتفويج أن يكون هناك تفويج منظم بحيث فترات الندوة ما يكون فيها ازدحام أكثر مما يجب. الأمر الثالث: أنه طبعاً لا يمكن ذبح جميع الأغنام فى اليوم الأول؛ لأنه كما ذكرت يتم ذبح ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ ألف فى خلال فترة الحج فلا- يمكن ذبح الكل فى اليوم الأول، فلذلك نرجو أن يكون هناك تنظيم بحيث إنه جزء من الهدى يتم ذبحه فى اليوم الثانى ونحن نعد بإذن الله بأنه فى اليوم الثانى جميع ما يتبقى من الهدى يتم ذبحه قبل مغرب اليوم الثانى بإذنه تعالى.

: كيف يتم الاستفادة من الأضاحى؟ ولأى الدول تصدر هذه الأضاحى؟

وبالنسبة لمصاريف النقل هل بنك التنمية يقوم بدفعها أو الدول التى تصدر إليها تدفع مصاريف النقل؟ بالنسبة للاستفادة كما تعلم وكما ذكرت أول شىء بعد التأكد من جميع الشروط الشرعية والصحية، والتأكد من سلامة الأغنام والذبائح وصلاحياتها للاستهلاك الآدمى، يتم التوزيع من أول أيام العيد- عيد الأضحى المبارك- على حجّاج بيت الله الحرام فى منى كما يتم التوزيع أيضاً على فقراء الحرم، وبعد ذلك يتم إرسال كميات إلى حوالى ٢٧ دولة من الدول الإسلامية، ويتم الشحن بكل وسائل النقل، فعن طريق البر يتم الشحن براً إلى الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين وإن كان هذه السنة قد منعت السلطات الإسرائيلية من دخول الأغنام إلى الأراضى الفلسطينية، ولكن فى السنوات السابقة كنا نرسل شحنات أيضاً إلى فلسطين عن طريق البر، يتم الشحن جواً أيضاً ابتداءً من ثانى أيام عيد الأضحى المبارك للاجئين الأفغان فى الباكستان وإلى الدول الإفريقية التى لا موانئ لها، وهناك شحنات جوية تنقل إلى الخرطوم فى السودان وإلى جمته فى شاد وإلى



ص: ١٩٥

نيامى فى النيجر وإلى وكندوگو فى بركى نقاسو وإلى ماكو من مالى، ويتم الشحن بحراً إلى موانئ البحر الأحمر فى السويس والسودان، جيبوتى وحينما تكون الأحوال مستتبّة فى الصومال نرسل إلى الصومال وشرق افريقيا كانت ترسل شحنات إلى بمبسه من كينيا وإلى دار السلام من تنزانيا وزنجبار وإلى جزر القمر وإلى موزنيق، وهناك باخرة يكون فيها حوالى ما يزيد عن ٥٥ ألف رأس إلى بنغلادش مباشرة وهناك باخرة اخرى لغرب افريقيا تنقل إلى جميع الموانئ- موانئ الدول الإسلاميه فى غرب افريقيا بدءاً من نواكشوط موريتانيا إلى دكار فى السنغال وإلى بنجو فى كامبيا إلى غينيا بياو وغينيا كركلى وبرى تاون فى سيرالون وهناك شحنه أيضاً تُرسل إلى آذربايجان وإلى ألبانيا وإلى البوسنة والهرسك، هذه تقريباً بإيجاز الأماكن التى تمّ التوزيع لها.

بالنسبة إلى تكاليف الشحن أول ما بدأ المشروع من أول سنة فى البنك الإسلامى للتنمية، كانت التكلفة حوالى ١٠ مليون ريال تحمّل البنك الإسلامى فى التنمية التكلفة كاملة، ثم بعد ذلك كان الحجّاج يصرون على المساهمة فى تكاليف الجزارين والبيطريين والمشرفين وتكاليف الإيصال إلى المستحقين، وفعلاً صار الحجّاج يسهمون فى هذه التكاليف فى السنوات الاولى كان يصير عجز كان البنك الإسلامى يسدّد هذا العجز، ثم بعد ذلك أصبح الآن مساهمات الحجّاج تغطّى المصاريف الجارية التى هى كما ذكرت مصاريف الجزارين والأطباء البيطريين والمشرفين وتكاليف النقل، أمّا تكاليف إنشاء المجازر فهى طبعاً تكاليف عالية جداً، يعنى الحاج لا يساهم فى تكاليف المجازر، وبالنسبة للتوزيع هذا تقريباً التكاليف إلى الآن يساهم فيها الحاج بتغطية كامل تكاليف النقل حالياً، الآن لو نبغى نقلها إلى أماكن اخرى تحتاح إلى تكاليف اخرى ولتلاً نضيف تكاليف إضافية صرنا نطلب

ص: ١٩٦

أى طلب جديد يأتينا الآن أو نطلب من الجهة التي تتقبل بأن تتحمل تكاليف النقل إلى تلك البلدان وذلك لأنه في الوقت الحاضر ما عندنا أى مبالغ إضافية لنقل إضافي إلى أماكن جديدة، ولهذا السبب نحن شاكرون لمؤسسة إمداد الإيرانية التي تفضلت ووافقت على أن تنقل على نفقتها ٢٠ ألف رأس من ميناء جدّه إلى إيران، ونرجو أن يكون ذلك في الوقت القريب إن شاء الله. أرجو أن أكون قد أجبت عن سؤالك.

: معالي رئيس بنك التنمية الإسلامي؛ نشكركم جزيل الشكر على هذا اللقاء وعلى هذه الفرصة التي أتحتوها لمجلتنا وكان عندنا أسئلة أخرى لكن وقتكم ضيق ولا نريد مزاحمتكم أكثر من هذا، نتمنى لقاءكم في فرصة أخرى.

**الحجّ في الأدب العربي**

ص: ١٩٧

الحج في الأدب العربي

مكة والبيت المبارك في عيون الشعراء

بيت بنته يد التقوى وشيده أبو النبيين.. للأجيال يرفعه  
 أمجاده في كتاب الدهر حافلته ثوب الجلال عليه الرب يخلعه  
 تدرعت بسياج الدين حرمته والله من عبث الباغين يمنعه  
 أولاه بالحج تشريفاً وتكريمه حتى غدت موئل التقديس أربعه  
 وكعبة الروح بالتوحيد شاهده كالشمس تسطع نوراً وهي منبعه  
 ولما رأت أبصارهم بيته الذي قلوب الورى شوقاً إليه تضرم  
 كأنهم لم ينصبوا قط قبله لأن شقاهم قد رحل عنهم  
 فله كم من عبرة مهراقه واخرى على آثارها لا تقدم  
 وقد شرقت عين المحب بدمعها فينظر من بين الدموع ويسج  
 إذا عاينته العين زال ظلأمها وزال عن القلب الكئيب التألم  
 ولا يعرف الطرف المعين حسنه إلى أن يعود الطرف والشوق أعظم  
 ولا عجب من ذا فحين أضافه إلى نفسه الرحمن فهو المعظم  
 كساه من الإجلال أعظم حله عليها طراز بالملاحة معلم  
 فمن أجل ذا كل القلوب تحبه وتخضع إجلالاً له وتعظم

\*\*\*

في عيوني من بيت مكة نور وقلبي ومهجتي وشعوري



ص: ١٩٩

ملءٌ روحى، وحقٌّ نافخٌ روحى لهفهٌ نحو بيته المعمورِ  
 إنّه فى بصيرتى يتراءى رغم غمضى وحلكته الدّيجورِ  
 وكأنّ الآيات من كسوة الكع - به، تزهو على السواد الوقورِ  
 نُقِشتُ فوق غرّة الدهرِ هدياً أبدياً، بجوهرٍ من نورِ  
 بسمه المؤمن النقى يُناجى فى الدّجى ربّه بقلبٍ طهورِ  
 مشرقٌ كالسنا، كومضة نارٍ أوقدت للسرّاء فى رأس طورِ

\*\*\*

وكأنى والبيت يُشرقُ حولى شامخ المجد فى سنا الأسحارِ  
 ذاب جرمى فى ماء زمزم حتى خلّتنى طرت من خلال إزارى  
 جاوز الروح بي معالم أرضى فالسموات والعوالم دارى  
 والمفاهيم، فى مسارح روحى والمساحات، غير ذات قرارِ  
 فقيامى فى الحجر، لآح سُجوداً وسجودى، سبّح مع الأعمارِ

ص: ٢٠٠

وانطلاقي أَسعى، هِدوئٌ مَرِيحٌ ووقوفى، سياحَةٌ فى البرارى  
وضجيجُ الحَجيجِ حولى سَكُونٌ وبسَمعى جأرةُ الأحجارِ  
وتَلَفَتِ الأَقصى وبيِن جُفونِهِ دَمَعٌ وبيِن ضلوعِهِ نيرانُ  
يتناجيان و كُلِّ نَجوى حُرْقَةً وَلَظَى يَزِيدُ أوارِهِ الحَدَثانُ  
لا تلتقى العِينانُ إلّا و الدِّمَا لَهَبٌ و كُلُّ بطاحِهِ بُرْكانُ  
يا لوعَةَ الأَقصى! و دَوَّتْ صرْحَهُ يَطوِي صِداها ذِلَّةً و هوانُ  
أين التُّقاة! و ما تقومُ بِأَيِّه إلّا و كانِ صدى القِيامِ سِنانُ

مناجاة فى الحَجِّ

قد فاض قلبك أشواقاً و تحناناً لبيتِهِ الطاهر المعمور إيماناً  
نوازِع الشوقِ فى الأَضلاعِ ثائرةٌ حَرى توجِّجُ فى الأعماقِ نيراناً  
هاهمُ ضيوفك فى شوقٍ و فى لَهْفٍ جاءوا إلَيْكَ زَرافاتٍ و وحادانا  
مهللين و لحنِ الحَبِّ يجمعهم و القلبُ يُرسلُ فى الأعماقِ أَلحانا

ص: ٢٠١

وكلهم أملٌ يرجون مغفرةً وهم يناجون بالإخلاص رحمانا  
إني لأعجز عن تصوير مشهدهم حيث الصفاء وحيث الكونُ مزدانا  
طافوا على حرقٍ والنفس في قلبي حتى غدا القلب بالإيمان ريانا  
الله أكبر ما أحلى اجتماعهم قد أصبحوا في ظلال البيت إخوانا!  
كأنهم ولباس الطهر زينتهم ملائكتك ملئوا حباً وإيماناً  
جنناك ياربِّ والأشواق تغمرنا هاجت بنا الروح أفرحاً وتحناناً  
وهذه (الكعبة الشّماء) قبلتتنا مهوى القلوب وفيها السعدُ وافانا  
تسلو همومك في أعتاب حضرته والقلبُ من ظمأً قد بات لهفانا  
فأنت عند كريم في ضيافته تخلى نفسك في الفردوس نشوانا  
لا يفترون عن التكبير عاليهً أصواتهم كهدير الموج ميزانا  
يامنُّ يُجيب دُعا المضطرِّ يرحمه فهب لنا من لدنك اليوم غفرانا

ص: ٢٠٢

أَحْسِنُ إِلَيْنَا تَجَاوِزَ عَن مَسَاوِينِنَا يَا مَنْ يُجَازِي عَلَى الْعَصِيَانِ إِحْسَانًا  
فَرَجٌ كَرُوبًا دَهْتِنَا - وَهِيَ مَظْلَمَةٌ وَاعْفِرْ ذُنُوبًا وَصَفْحًا عَن خَطَايَانَا  
وَلَا تُحْمَلْ نَفُوسًا فَوْق طَاقَتِهَا نَشْكُو إِلَيْكَ فَهَلْ وَاسِيَتِ شَكْوَانَا؟  
كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُهُمْ مَنْ بَاتَ مُعْتَرِفًا بِالذَّنْبِ أَشْوَانَا  
وَهَاهِي الْفَرْحَةُ الْكَبِيرَى تَمُوجُ بِنَا فَكُلُّ قَلْبٍ غَدَا بِالصَّفْوِ جَدْلَانَا  
رَبَّاهِ وَارْحَمِ (عَبِيدًا) ذَابَ مِنْ وَجَلٍ وَرَاحٍ يَسْكُبُ فِي الْأَنْفَاسِ أَشْجَانَا  
وَقَدْ تَجَلَّى عَلَيْهِم بِالرِّضَى كَرَمًا مَا أَكْرَمَ اللَّهُ مَا أَسْمَاهُ مَوْلَانَا!  
تَبَارَكَ اسْمُكَ بِالْإِحْسَانِ تَنْفَحُنَا تَبَارَكَ اسْمُكَ بِالْغَفْرَانِ تَغْشَانَا  
إِنَّا عَبِيدُكَ حَاشَا أَنْ تُخَيِّبَنَا وَأَنْ نَرَى مِنْكَ إِعْرَاضًا وَحَرْمَانَا  
فَاشْمَلْ بِعَفْوِكَ يَا مَوْلَايَ جَمْعَهُمْ وَاجْعَلْ (ضِيُوفَكَ) أَوْفَى الْخَلْقِ مِيزَانَا  
صَلَّى إِلَهَ عَلَى طَهٍ وَعَتْرَتِهِ الْكُونَ أَصْبَحَ بِالْمُخْتَارِ مُزْدَانَا

**شخصيات من الرميين الشريفين (١٢) فَبَابُ بن الأَرْتِ من الذين صبروا وعلى رَبِّهم يتوَكَّلون**



ص: ٢٠٣

شخصيات من الحرمين الشريفين (١٢) خَبَابُ بن الأَرْتِ من الذين صَبَرُوا وعلى رَبِّهم يتوكلون

حسن محمّد

الحديث عن مدرسة رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله الأولى لا ينتهى ولا يقف عند حدّ، فما إن نختم الكلام عن تلميذ من تلامذتها وشخصية من شخصياتها وعظيم من عظمائها وشهيد من شهدائها.. حتى يجزنا الحديث أو يبدأ عن آخر هو فى العظمة لا- يقلّ عنصاحبه، وفى التضحية والإيثار لا يكون أدنى منه.. ويفصدق الإيمان وعمقه لا أظنه إلّامساوياً له أو قد سما عنه، فهم يتبارون بإيمانهم ويتسابقون لنيل أرقى مراتبه ودرجاته فى الدنيا وفى الآخرة.

إنّها مدرسة عظيمة ذات آفاق واسعة وجذور عميقة ثابتة، فهى شجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كلّ حين؛ لأنصانعتها ومؤسسها عظيم، راحت يدها المباركتان تمدانها بقوة، وراح قلبه الحانى يخصّها بحنانه وشفقته، وراح علمه يُصبّ عليها، ولا ينضب له نبع ولا يضوى له طلع، إنّه ماء موصول وطلع نضيد..

وها نحن الآن أمام شخصية من شخصيات هذه المدرسة النبوية المحمّدية الأصيله، أمامصحابى جليل انتشله الإسلام من واقع مرير، قنّ

ضعيف وعبد

ص: ٢٠٤

ذليل فإذا هو فارس مُهاب، ومقاتل شجاع، يحسب له أعداؤه ألف حساب...

فكان عظيماً من عظماء الإسلام.. من فرسان الجهاد في سبيله تعالى، يدعو إلى الحق لا لغيره، ويدعو إلى العدل لا لسواه، ويدعو للإسلام الحنيف لا لدين غيره وكيف يدعو لغيره، وهو يعلم أنه وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١)

؟! إنه قَمِيَّةٌ في المبادئ والقيم وفي الصدق والإخلاص حتى نال حظوةً كبيرةً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعند المسلمين ومن قبلهم عند الله تعالى.

وَنِعَمَ ما قال عنه إمام الموحدين عليّ عليه السلام: «رحم الله خبأياً! أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش زاهداً، وابتلى في جسمه فصبر، ولن يُضيع الله أجر من أحسن عملاً» (٢).

لقد كان سلاحه اليقين والتقوى، قلبٌ مملوء بهما، وكفصلبه تمسك سيفاً أبيصاحبه أن يضعه ما دام الإسلام بحاجة إليه، لم يفتأ هذا السيف يطارد الكفر والشرك والطغيان، فقد شهد مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله كلفها، تراه في بدر يعلو هامات الأعداء وتراه في أحد هو الآخر يمزق جموعهم، وتراه في معارك الإسلام الأخرى فارساً جوالاً بين الصفوف لا يهاب عدواً ولا يخاف باطلاً... كان هذا الصحابي الجليل من أولئك الأوائل الذين حظوا بأن يكونوا قاعدة الانطلاق الأولى للإسلام والنخبة الصالحة له بعد أن آمنت به دعوةً وجاهدت في سبيلها صدقةً، يوم لم تكن هناك مطامع دنيويةً يبغيها، ويوم لم تكن هناك منافع شخصية يحوزونها، بل عذاب مستمرّ وصبر دائم وجهاد متواصل ضد المشركين، الذين راحوا يكيدون لهم الكيد كله ويذوقونهم أنواع العذاب، لقد آمنت هذه الطليعة إيماناً خالصاً وأحبت رسول الله صلى الله عليه وآله حباً صادقاً، وسعت في الدفاع عنه يوم

١-١ سورة النحل: ٤٢.

٢-٢ انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٠١.

ص: ٢٠٥

كان وحيداً لا يقف معه إلا نخبه صالحه من عشيرته وعدد قليل من أصحابه، لا يشوبهم شك فيه ولا ينتابهم ريب في دعوته وصدقه- لقد ادعت هذه العصابة بالإيمان والإيمان وحده لتقاوم ما صب عليها من بلاء وما نالته من أذى وعذاب، خاصية هؤلاء الذين هم ضعاف المجتمع الحجازي يومذاك، العبيد، طبقه سخرت لمصالح اقتصادية وتجارية وخدمية، قام على أكتافها المجتمع المكي، خدمته بأقل الأثمان، رغيف خبز لا غير، ووضع ذليل وسخريه تنصب عليهم من أسيادهم، وسيط تنهال على ضلوعهم وظهورهم... لقد كان خباب واحداً من أولئك الذين وصفهم المشركون الطغاة بأنهم «الأردلون» وراحت هذه التسمية يطلقونها عليهم ويعيرونهم بها حتى بعد أن أعلن هؤلاء الزعماء المشركون إسلامهم، بقيت في نفوسهم وعلى ألسنتهم، بغض قديم وسخريه متأصلة لم يتخلوا عنها حتى بعد إعلانهم الشهادتين.

لفظه ليست جديدة إنها قديمة قدم دعوة التوحيد وقد رافقت أكثر من آمن بدعوة نوح وهود وصالح وإبراهيم... أ تُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ (١)

، وَ مَا تَرَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ (٢)

. إنه استعلاء بل طغيان اتصف به هؤلاء الذين أرادوا علواً في الأرض وأرادوا فيها فساداً، يسمون أنفسهم أشراف القوم أو ساداتهم وزعماءهم..

إنها الجاهلية العمياء التي لا ترى لأصحاب الدعوات الصالحة أي فضل وأي كرامة ما دام الذين سبقوا إليها هم من ضعاف الناس وأقلهم مالاً وسلطاناً.

كيف يؤمن طغاة قريش برسالة محمد صلى الله عليه وآله وقد سبقهم إليها عمّار وأبوه ياسر وأمه سمية، وخباب،؟!...

١- الشعراء: ١١١.

٢- هود: ٢٧.

ص: ٢٠٦

لقد أدرك خباب الفرق بين الحرية والعبودية فنأى عن الثانية مصوباً وجهه نحو الاولى وكان يعلم الثمن الباهظ الذى سيدفعه فداءً لعمله هذا، يعلم أن الثمن قد يكون حياته، لكنه رأى أن الموت بعز خير من الحياة بذل، الموت مؤمناً أفضل من الموت كافراً، الموت قوياً أجمل من أن يموت ضعيفاً.

لقد أدرك خباب البون الشاسع بين الحق والباطل... بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ (١)

فنبذ الباطل وأعرض عنه والتحق بصفوف الحق متجاوزاً ما سبتره فعله هذا عليه من عذاب واضطهاد وتشريد.

لقد أدرك خباب طعم العلم وذل الجهل، فأدار بوجهه بعيداً عن جاهليته عمياء نحو نور وكتاب مبين\* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ... (٢)

؛ لهذا فقد خلد خباب واخوانه، وخلد ظالمهم أيضاً، إلا أن الفرق كبير والبون شاسع بين الفريقين، وبين الخلودين، فأولئك دخلوا التاريخ مؤمنين مجاهدين غير ظالمين وقد خلدوا فيه وهم يحملون هذه الصفات العظيمة فيما دخل هؤلاء التاريخ طغاة متجبرين ظالمين، وقد خلدوا فيه أيضاً، وهم يحملون أبشع الصفات وأقذرهما. فشتان شتان بين الخلودين!

\*\*\* خباب، الأرت. لغه

ما إن يقرأ شخص أو يسمع باسم هذا الصحابي الجليل حتى يلتفت إلى غرابه اسمه دون أسماء الصحابة الآخرين، فيعود إلى معجم اللغة، ليرى ماذا تقول فى خباب وفى الأرت، فيجد أن الخبب: هو نوع أو ضرب من العدو، أو الرمل، أو هو السرعة، وقد خبت الدابة تخب بالضم خباً وخبياً وخبياً.

١-١ سورة الحج: ٦٢.

٢-٢ سورة المائدة: ١٥-١٦.

ص: ٢٠٧

وهناك قول آخر: إنَّ الخبب هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً، وأياسره جميعاً أيضاً، وقيل: هو أن يراوح كلَّ من الفرس والبعر بين يديه ورجليه.

ومن العجب أن هذه كلها منصفات الفارس والفروسيه.

إلما أتى عشرت على معنى آخر للخبب وهو الخداع، فرجل خبُّ أي خداع، خبب فلان غلامى أى خدعه، والقول المأثور: الحرب خدعة. هذا فى خصوص خبَاب.

أما ما يتعلّق بالأرت فتأوه مشدّده، وهو الذى فى لسانه عجله أو عقده أو قله أناه... فلا يطاوعه لسانه عند إرادة الكلام، فإذا شرع يتكلم أتصل كلامه، وهناك من يقول: إنَّ أبا خبَاب كان كذلك يرتل فى كلامه، أو فى لسانه رتّه أى عجمه (١).

فيما نسب كلَّ من الواقدى والبلاذرى هذه الرتّه فى اللسان إلى خبَاب نفسه، حيث قال الواقدى: كان ألكن، إذا تكلم بالعربية، فسَمّى الأرت، وقال البلاذرى:.... وإنه كانت به رتّه، وهما يتحدّثان عن ترجمه خباب (٢).

نسبه وكنيته:

بعد أن عرّفته كتب التاريخ ومراجعته بأنّه خبَاب بن الأرت بن جندله بن سعد ابن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد بن مناه بن تميم، وكنيته أبو عبدالله أو أبو يحيى أو أبو محمّد، إلّا أنّها اختلفت فى نسبه (٣).

فهو بين خزاعى، وتميمى، وزهرى، وسباعى، والذى يبدو لى من مراجعه

١- ١ انظر فى هذا لسان العرب لابن منظور ١: ٣٤١، ٢: ٣٤٢، أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٦: ٣٠٤، وتنقيح المقال للمامقانى ١: ٣٩٥.

٢- ٢ انظر قاموس الرجال للعلامة التستري ٤: ١٥٥.

٣- ٣ انظر أسد الغابه فى معرفة الصحابة لابن الأثير ٢: ٩٨؛ الإصابه فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ١: ٤٢٣؛ وأعيان الشيعة لمحسن الأمين ٧: ٧٥.

ص: ٢٠٨

حياته أن السبب في هذا الاختلاف، هو الموضوع الاجتماعي الذي عاشه والسبب الذي آلت إليه حياته، مما سبب له هذا الانتماء المختلف فيه.

فلنستعرض أقوال المؤرخين، فبعضهم قالوا: إنه تسمى بالنسب، خزاعي بالولاء، زهري بالحلف، كان سيباً اشترته امرأة من خزاعة وأعتقته فهو خزاعي لحقه هذا بالولاء، وبما أنها كانت من حلفاء عوف بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة فهو زهري حلفاً، وأما نسبه الحقيقي فهو ابن مناة بن تميم جدّه السابع وبالتالي فهو تميمي.

وهناك من يقول: إن سيدته التي اشترته هي أم أنمار بنت سباع الخزاعية، وأبوها سباع حليف عوف بن عبد عوف من بني زهرة (١). فسبب هذا له أن يكون خزاعياً وسباعياً من الأسباع، وزهرياً.

وقيل: بل هي أم سباع بن عبد العزى الذي قتله حمزة يوم أحد، وهي التي عنا حمزة بن عبد المطلب، حين قال لسباع بن عبد العزى: هلم يا ابن مقطعة البظور (٢)، وهو ما حدا ببعض المؤرخين إلى الذهاب بأن أم خناب كانت ختانه في مكة. وإن ذهب بعض المؤرخين إلى أن أم أنمار وأم سباع كانت واحدة (٣).

وقال غيرهم: هو عربي لحقه سبب في الجاهلية (٤). وقال بعض: لم يلحقه سبب ولكنه انتهى إلى حلفاء أمه بني زهرة (٥). وأنا إذ أبحث عن حياة هذا الصحابي عثرت على شخص آخر وهو أيضاً صحابي يحمل اسم خناب واسم أبيه، إلا أنه كان يكنى أبا يحيى وكان عبداً لعتبة

١- ١ الإصابة ١: ٤٢٣ وصفة الصفوة لابن الجوزي ١: ٤٢٧.

٢- ٢ البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٢٢.

٣- ٣ المنتظم لابن الجوزي ٥: ١٣٨.

٤- ٤ أسد الغابة ٢: ٩٨.

٥- ٥ الإصابة ١: ٤٢٣.

ص: ٢٠٩

ابن غزوان المازني، وشهد معارك الإسلام ومنها معركة بدر الكبرى، وتوفي في المدينة أيام خلافة عمر بن الخطاب، سنة ١٧ أو ١٩ هجرية وله خمسون سنة، وصلى عليه الخليفة (١).

وأته هو الذي كان طباعاً للسيوف بمكة، لا هذا الذي هو موضع كلامنا، كما أن الثاني لم يكن قيناً فيما كان الأول قيناً (٢)، إلا أن ما اشتهر بين المؤرخين أن خباباً كان يقول: كنت رجلاً قيناً... وكان في الجاهلية قيناً حدّاداً يعمل السيوف (٣). وهو أقل شهرة من الذي هو محلّ كلامنا هذا. وإن ذهب بعض المؤرخين إلى أنه هو واحد وليس شخصين اثنين. خباب يصنع السيوف:

قدر لهذا الصبي أن يقع بين يدي أم أنمار الخزاعية، التي كانت تفتش لها عن غلام في سوق النخاسين في مكة، وهو مكان يكتظ بالعبيد، فوقع نظرها على هذا الغلام، فأعطت ثمنه وانطلقت به إلى منزلها، وإذ هي في طريقها راحت تحدّثه وتساءله عن اسمه فقال لها: خباب.

وما اسم أبيك، فقال لها: الأرت.

فقلت له: ومن أين أنت؟

قال: من نجد.

فقلت: إذن أنت عربي!

قال: نعم ومن بني تميم.

قالت: وما الذي أوصلك إلى أيدي النخاسين في مكة؟

قال: أغارت على حينا قبيلة من قبائل العرب، فاستاقت الأنعام، وسبت

١- ١ انظر أسد الغابة ٢: ١٠١.

٢- ٢ تصحيقات المحدثين لأبي هلال العسكري: ١١١.

٣- ٣ أسد الغابة ٢: ٩٨؛ الطبقات الكبرى ٣: ١٦٤، دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٥٥.

ص: ٢١٠

النساء، وأخذت الدراري. وكنت فيمن أخذ من الغلمان، ثم مازالت تتداولني الأيدي حتى جىء بي إلى مكة، وصرت في يدك (١). وما إن وصلت أم أنمار إلى منزلها حتى دفعته إلى من يعلمه صناعة السيوف، فأقنتها، ثم استأجرت له دكاناً واشترت له عدّة، وراحت تستثمر قدرته وتستفيد من مهارته، وتستغله أيما استغلال. لكنّه اشتهر بهذه الصناعة وبدقّة عمله. إسلامه:

لقد وجدت قلوب المستضعفين أمانها وطمأنينتها بالدعوة الجديدة، فقد عانت من الهوان والذلّ ما جعلها تصبوا لمنقذ لها كانت تعيشه حُلماً جميلاً فإذا به واقع أمام أعينهم، فراحوا يبادرون إلى التصديق به والتضحية في سبيله. وخبّاب هذا واحد من أولئك العبيد الذين كانوا فته كبيرة في المجتمع المكي يسخرهم سادة ذلك المجتمع في نواحٍ متعدّدة تجاريّة وزراعيّة وخدميّة بأثمان رخيصة لا- تتجاوز رغيّف الخبز وافتراش الأرض، معاملته سيئاً للغاية، وظلم نزل بهم، وحيث لا يفارقهم، وتعذيب لا يتوقّف؛ لهذا ما إن رأوا نور الإسلام يبرز في مكة إلّا وتراهم يؤمنون به ويتفانون في الدفاع عنه. لقد كان سادس الذين آمنوا في مكة وهو سبق عظيم ناله ومنزلة رفيعة ظلّت ترافقه في حياته، وذكرى حسنة ظلّت هي الاخرى وساماً خالداً.

تقول الرواية:

إنّ خبّاب بن الأرت أسلم سادس ستّة له سدس الإسلام (٢).

والاخرى تقول:

أول من أظهر الإسلام سبعة، وعدت منهم خبّاباً (٣).

١- ١ صور من حياة الصحابة، للدكتور عبدالرحمن رأفت باشا: ٤٣١-٤٣٢.

٢- ٢ أسد الغابة ٢: ٩٨؛ حلية الأولياء للأصفهاني ١: ١٤٣.

٣- ٣ أسد الغابة ٢: ٩٨؛ الوسائل إلى معرفة الأوائل لعبد الرحمن السيوطي: ٩٦.



ص: ٢١١

وثالثه تقول:

كان إسلامه قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله دار الأرقم وقبل أن يدعو بها (١).

فمن الإمام على عليه السلام: السباق خمسة، فأنا سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبش، وخباب سابق النبط (٢).

وذكر اليعقوبي في تاريخه:

كان أول من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء، وعلى بن أبي طالب من الرجال، ثم زيد بن حارثة، ثم أبو ذر، وقيل: أبو بكر قبل أبي ذر، ثم عمرو بن عبسة، ثم خالد بن سعيد بن العاص، ثم سعد بن أبي وقاص، ثم عتبة بن غزوان، ثم خباب بن الأرت، ثم مصعب بن عمير (٣).

وبإسلامه وإسلام رفاقه، بدأت حياتهم من جديد، حيث عقب الحرية والمساواة، وهم يسمعون: لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الهجرة بين خباب وجبر بن عتيك، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فيما وقع الخلاف بين علماء الرجال والمؤرخين في أنه هل أدرك معركتيصفين والنهروان؟ فمنهم من قال:

أدركهما مع الإمام على عليه السلام، ومنهم من قال: حال بينه وبينهما المرض والموت، فيما أدرك ابنه عبد الله بن خباب النهروان فذبحه الخوارج وبقروا بطن امرأته (٤).

إنه لمن المعدبين!

ما إن علموا بإسلامه حتى تحولقوا حوله، ولم ينفصوا منه إلا وقد أخذت سياطهم من جسمه مأخذها، لكنّها لم تنل شيئاً من إيمانه ولم تنخر عزيمته، ولم

١-١ الطبقات الكبرى ٣: ١٦٥.

٢-٢ الخصال للشيخ الصدوق ١: ٣١٢.

٣-٣ تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣.

٤-٤ انظر المامقاني في التنقيح ١: ٣٩٥؛ والتستري في قاموسه ٤: ١٥٨.

ص: ٢١٢

تضعف بناءه، إنه إيمان عظيم وعزيمة لا تهين وبناء كالجبل لا يُهدّ...

كان خباب مَمَّن يَعَذَّبُ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِمَكَّةَ فِي الرَّمْضَاءِ حَتَّى بَرَصَ ظَهْرَهُ (١).

وعن عروة بن الزبير أنه قال: كان خباب بن الأرت، من الذين يَعَذَّبُونَ بِمَكَّةَ لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ (٢).

ويقول الشعبي عنه:

لقد صبر «خباب» ولم تَلْنِ لَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْكُفَّارِ قَنَاءً أَوْ أُعْطَوْهُمْ [بعض المعذَّبين من المسلمين] ما أرادوا حين عَذَّبُوا إِلَّا خَبَابَ بِنِ الْأَرْتِ،

أَوْ إِنْ خَبَابًا صَبِرَ وَلَمْ يُعْطِ الْكُفَّارَ مَا سَأَلُوا، فَجَعَلُوا يَلْصِقُونَ ظَهْرَهُ الْعَارِي بِالرَّضْفِ (٣)، حَتَّى ذَهَبَ لَحْمُهُ أَوْ لَحْمٌ مِثْلَهُ (٤).

لقد حَوَّلَ كُفَّارَ قَرَيْشٍ جَمِيعَ الْحَدِيدِ الَّذِي كَانَ بِمَنْزِلِ «خَبَابٍ» وَالَّذِي كَانَ يَصْنَعُ مِنْهُ السِّيُوفَ.. حَوَّلُوهُ كُلَّهُ إِلَى قِيُودٍ وَسَلَاسِلٍ، كَانَ

يُحْمَى عَلَيْهَا فِي النَّارِ حَتَّى تَسْتَعْرِ وَتَتَوَهَّجَ، ثُمَّ يَطُوقُ بِهَا جَسَدَهُ وَيَدَاهُ وَقَدَمَاهُ... (٥).

لقد ذهب خباب بن الأرت وبعض رفاقه المعذَّبين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، لا أظنهم جزعين من التضحية بل كانوا راجين

العافية.

يقول خباب: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو متوسد بُردةً له في ظلِّ الكعبة، قلنا له: ألا تدعو الله لنا؟

قال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظمٍ أو عصبٍ، وما يصده ذلك عن

دينه، والله لئنمَّنَّ هذا الأمر حَتَّى

١- ١ انظر تصحيفات المحدثين: ١١١.

٢- ٢ الطبقات الكبرى ٣: ١٦٥.

٣- ٣ الرضف: الحجارة المحمّاء.

٤- ٤ ذكر هذا خالد محمد خالد في رجال حول الرسول: ٢٩٣.

٥- ٥ خالد محمد خالد، رجال حول الرسول: ٢٩٣.

ص: ٢١٣

يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون (١).  
 راحت كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله تترك بصماتها عليهم، فعادوا منه وقد ازدادوا إصراراً على مواقفهم وعاهدوا ربهم أن يجعلوا أنفسهم نماذج للعطاء والتضحية والاستبسال في سبيله، حتى يجعلوا كلمة الله هي العليا وكلمة الكافرين هي السفلى.  
 لم يبق أحد من المشركين وزعمائهم بل وحتى سيدته أم أمار التي كان عبداً لها راحت هي الأخرى تشفى غليلها منه، تمسك حديدة محيأة ملتبهة لتضعها مرة فوق رأسه وأخرى فوق جسده، وكان خباب بين هذه وتلك صامتاً صابراً لا ينطق بشيء ولا يظهر لهم حتى الأنين، فيشفي صدورهم، ويرضى كبرياءهم وجبروتهم، فراح غيظهم يزداد، وحنقهم يعظم... وكان يعينها على ذلك أخوها سباع بن عبد العزى... وقد أقر الله تعالى عيني خباب برؤيته سباع هذا وقد نال جزاء شركه وظلمه حيثصرعه سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب في معركة أحد.

وهو بهذه الحال يعذب بين أيديهم إذ به يسمع صوت حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ينطلق من قلب مملوء شفقة وألماً ومرارةً عليه: «اللهم انصر خباباً».

ما أعجل الجزاء الذي نزل بسيدته العنيد أم أمار! راحت تعوى كالكلاب بعد أن اصيبت بسعار عصب، حتى وصفوا لها علاجاً لا ينفعها إلا أن تضع رأسها بالنار كي يكوى، وقد قدر لخباب أن يتولى هذا العمل فكان يأخذ الحديدة المحمأة فيكوى بها رأسها. (٢)  
 فكان عقابها من جنس ما اقترفته يداها، إنه العقاب العدل!.

١- صحيح البخارى ٣: ١٣٢٢ ح ٣٤١٦.

٢-٢ أسد الغابة ٢: ٩٨.

ص: ٢١٤

آيات ترعاهم:

وراحت قيم الإسلام وكلمات الرسول الكريم تدق إسفيناً بينهم وبين كبار قريش ومترفيهم وطغاتهم..

إنه الإسلام، إنه النور الذي يشق الظلام ويبعث الحياة من جديد.

كما راح القرآن يواكبهم ويرافقهم ويحيطهم بالرعاية، ضد قريش التي ما انفك طغيان زعمائها وكبرائها من ملاحقته هؤلاء المستضعفين، والسخرية منهم والتعالى عليهم... حتى بعد إعلانهم الشهادتين والتحاقهم بالصف الإسلامي ظاهراً وهو ما يبدو من المتابعة الدقيقة لحياة الكثير منهم، فقد كانوا أقرب للنفاق منه إلى الإسلام...

فيما راحت آيات القرآن الكريم تدحض كيدهم وتطيح بتآمرهم ودسائسهم، التي ما انفكوا يحيكونها ضد هذه الفئة المظلومة المستضعفة من الصحابة المؤمنين، كما راحت تشيد بهؤلاء الثلاثة المؤمنة وبصدق إيمانهم، وتحض على الوقوف معهم وعدم تركهم وحدهم وسخرية واستهزاء زعماء قريش تلاحقهم، والتصدي لكل تأمر ضدهم، وعدم الاستجابة لمطالب هؤلاء الطغاة والمستكبرين، بل أخذت هذه الآيات تغدق على هؤلاء المعذبين أوسمة عظيمة ظلت تشكل ذكرى طيبة خالدة لهم في الدنيا والآخرة:

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١).

نزلت بعد أن مكثت قريش على ضلالها وعنادها وكبريائها وهي ترى ضعاف مجتمعها يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وآله ليكونوا شوكة تنخر مجتمعها الفاسد وكيانها الضال، وجنوداً لثورة عارمة ضد طغيانها وجبروتها.. كانت تدر ك كل

ص: ٢١٥

هذا.. لهذا راحت تصب عليهم غضبها وتنزل بهم العذاب فلعلها تحدد من انتشار هذا الدين بينصفوفهم إن لم تستطع إيقافه وإماتته.. وإعادتهم إلى ما تعبد إلى دين آبائهم وأجدادها أذلةً خاسئين.

نزلت هذه الآية- على ما قاله الشيخ الطبرسي- في المعذبين بمكة مثل:

صهيب وعمار وبلال وخباب وغيرهم مكنهم الله بالمدينة، وذكر أنصهياً قال لأهل مكة: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم، وإن كنت عليكم لم يضركم، فخذوا مالي ودعوني، فأعطاهم ماله، وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال له أبو بكر: ربح البيع يا صهيب.

ويروى أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءً، قال له: خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما آخره لك أفضل، ثم تلا هذه الآية (١).

فيما قال الواحدى فى أسبابه: نزلت فى أصحاب النبى صلى الله عليه وآله بمكة: بلال، وصهيب، وخباب، وأبى جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم وآذوهم، فبؤأهم الله تعالى المدينة بعد ذلك (٢).

حقاً أن الله تعالى بؤأهم مكاناً محموداً فى الدنيا ومنحهم أجراً عظيماً فى الآخرة، راحت تتغنى بأمجادهم هذه الأجيال ويقتدى بسيرتهم الثوار والمجاهدون، وراحوا يقفون عند مفاسل حياتهم الجهادية وهم يعدون وهم يخوضون غمار معارك الإسلام الأولى، كل هدفهم الشهادة فيكتمل بذلك موقفهم الإيماني، وتنزل بذلك النعم عليهم فهم بها غير زاهدين وليسوا بقليلها مقتنعين، إنما كانوا يطلبون المزيد من كرامة الدنيا وثواب الآخرة، وكان ديدنهم الشكر قولاً وعملاً ومزيداً من التضحيات والتحمل والصبر، وكانوا مصداقاً لقوله تعالى:

١-١ تفسير مجمع البيان للطبرسي: ٥٥٧/٦، وفى تفسير الآية من سورة النحل.

٢-٢ أسباب النزول للواحدى: ٢٨٥.

ص: ٢١٦

لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ (١).

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... (٢).

نزلت في سلمان وأبي ذرّ وصهيب وعمار وخبّاب وغيرهم من فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وذلك أن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهم عيينة بن الحصين والأقرع بن حابس وذوهم، فقالوا: يا رسول الله إن جلست فيصدر المجلس ونحيت عنّا هؤلاء روائصناهم (تنن الابط) وكانت عليهم جباب الصوف، جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء، فلما نزلت الآية قام النبي صلى الله عليه وآله يلتمسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عزّوجلّ، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من امتي، معكم المحيا ومعكم الممات (٣).

.. وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (٤).

بعد أن يثت قريش من أن تصل إلى غايتها بأساليبها القدره، بدأت باتّباع اسلوب آخر في تعاملها وملاحقتها للتوّار البرره لا يقلّ قذاره عن الذي سبق، ألا وهو أن اطرد يا محمّد هؤلاء «عمار وصهيب وبلال وخبّاب وسلمان وأبو ذرّ وغيرهم من الفقراء الذين آمنوا به حين كذّبه هؤلاء الذين يسمونهم بالأشراف، ونصروه حين خذله الناس الآخرون ومنهم هؤلاء الأثرياء وكبار قريش...»

١-١ سورة إبراهيم: ٧.

٢-٢ سورة الكهف: ٢٨.

٣-٣ انظر مجمع البيان، للطبرسي ٦: ٧١٧-٧١٨.

٤-٤ سورة الأنعام: ٥٢.

ص: ٢١٧

فيكون لنا مجلس معك وكلام؛ لأنه لا يليق بنا أن يضمنا مجلس واحد مع هؤلاء الفقراء العبيد وذوى الثياب الرثة، فتساوى معهم، فلو  
نحيتهم عن مجلسك لتوافد عليك أهل الثراء والإشراف، وقد تتبعك، ما أشبه اليوم بالبارحة، حيث قال زعماء قوم نوح عليه السلام  
له: وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ (١)  
إنها الشائبة القذرة!

فلعلها بهذه الطريقة توقع بين محمّد وصحبه وتزرع الشقاق فى الجماعة المسلمة وتنخر بالجسم الواحد فيفتت، ولخطورة هذا  
الاسلوب، ولفداحة ما ينتجه وما يتركه على نفوس هؤلاء المعذبين وهم يرون معدّبيهم بين يدي رسول الله معززين مفضّلين وهم عنه  
بعيدون إنها ذلّة لا تستطيع نفوسهم تحملها! وهل هذا جزاؤهم؟! وهل هذه مكافأتهم؟!  
سارعت السماء فأنزلت قرآناً يحسم هذا الكيد ويطيح به، وتضمن مواقف المعذبين وتدين مواقف غيرهم.  
يقول عبد الله بن مسعود:

مرّ الملاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وعند هصيب وخبّاب وبلال وعمّار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا  
محمّد أراضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهم؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك،  
فأنزل الله تعالى: ولا تطرد....

قال سلمان وخبّاب: فينا نزلت هذه الآية؛ جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزارى وذوهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا  
النبى صلى الله عليه وآله قاعداً مع بلال وصهيب وعمّار وخبّاب فى ناس من ضعفاء المؤمنين فحقّروهم، وقالوا:  
يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتى نخلو بك، فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحي

ص: ٢١٨

أن يرونا مع هؤلاء الأعداء، ثم إذا انصرفنا، فإن شئت فادعهم إلى مجلسك، فأجابهم النبي صلى الله عليه وآله إلى ذلك، فقال له: اكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً، فدعا بصحيفة وأحضر علينا ليكتب.

قالا: ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبرئيل عليه السلام بقوله تعالى: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ... إلى قوله: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ. فنحى رسول الله صلى الله عليه وآله الصحيفة، وأقبل علينا ودنونا منه، وهو يقول: كتب ربكم على نفسه الرحمة. فكنا نقعد معه (١). وعن عكرمة قال: جاء آل شيبه وعتبه ابنا ربيعة ونفرٌ معهما سَمَاهم أبو طالب، فقالوا: لو أن ابن أخيك محمداً يطرد موالينا وحلفاءنا، فإئنا هم عبيدنا وعسفاؤنا (٢) كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وآله فحدثه بالذي كلموه، فأنزل الله عز وجل الآية.

قال: وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر مولى أبي حذيفة بن المغيرة، وسالماً مولى أبي حذيفة بن عتبة، وصبيحاً مولى اسيد، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو وخباباً مولى أم أنمار.

وكانت قصة دين خباب على العاص بن وائل سبياً في نزول آيات:

فعن خباب أنه قال: كان لي على العاص بن وائل دين، حين كان قد باعه سيوفاً عملها له، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد.

قال: فقلت له: إنني لن أكفر بمحمد حتى تموت، ثم تبعث.

قال: وإنني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد.

١-١ مجمع البيان للطبرسي، في تفسير الآية.

٢-٢ العسيف: الأجير المستهان به، انظر لسان العرب: عسف.



ص: ٢١٩

قال وكيع: كذا قال الأعمش.

قال: فنزلت أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً\* أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً\* كلاً سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً\* ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً (١).

علمه:

كان خباب بن الأرت ممن يرجع إليه في القرآن قراءة وحفظاً وفقهاً لمعانيه وفهماً لمقاصده، وكان استاذاً لجمع من الصحابة الذين كان منهم عبدالله بن مسعود، فقد كان من تلاميذه ومريديه.

ولما كانت الدعوة الإسلامية تعيش مرحلة الكتمان والسرية في مكة، كان هذا الصحابي الجليل يختلف سرّاً إلى إخوانه ممن آمنوا وكنتموا إيمانهم خوفاً من بطش مشركي مكة وكبريائهم؛ ليحفظهم ما ينزل من آيات القرآن الكريم ويعلمهم ما تتضمنه من معاني جميلة ومقاصد عالية. وهذه من النعم الكبيرة التي هيأها الإسلام له بعد إسلامه وإخلاصه وجدّيته في تلقي علوم الإسلام ومعرفة آيات القرآن الكريم ومفاهيمه.

مما رواه وقاله:

ذكرت له عدّة روايات في كتب الأحاديث، لعلها تصل إلى ٣٨ حديثاً، منها:

تلذك الرواية التي ذكرناها والتي قال فيها وجماعته لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟... (٢).

وهذه الرواية تبين طغيان وقسوة المستكبرين، وما عاناه هؤلاء المؤمنون بل ما تعاناه الأجيال المؤمنة على مرّ التاريخ من ظلم الطغاة وتعذيبهم وبشاعتهم...

١- صحيح مسلم ٢٠٦٤/٤ ح ١٢، صحيح البخارى ٢: ٧٣٦-٧٣٧ ح ١٩٨٥.

٢- صحيح البخارى ٣: ١٣٢٢ ح ٣٤١٦.

ص: ٢٢٠

قال: هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وآله نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير، وعلى قول آخر حمزة عم النبي، قتل يوم احد، وترك نمره (برده)، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نغطى رأسه، ونجعل على رجله شيئاً من إذر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها (١).

ومنها الرواية التي نقلناها فيما سبق وكانت سبباً لنزول الآية أفرأيت الذي كفر بآياتنا... (٢).

أخبر جماعة من أصحاب خباب: بينما نحن في المسجد إذ جاء خباب بن الأرت فجلس فسكت، فقال له القوم: إن أصحابك قد اجتمعوا إليك لتحديثهم أو لتأمرهم.

قال: بم أمرهم؟ ولعلي أمرهم بما لست فاعلاً.

قال قيس: أتيت خباباً وهو بينى حائطاً له، فقال: إن أصحابنا. وفي رواية أخرى أصحاب محمد صلى الله عليه وآله مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئاً، إنا أصبنا من بعدهم شيئاً، وفي رواية: وإنا أصبنا من الدنيا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب (٣).

موقف خالد:

قضى الشطر الأكبر من حياته رضوان الله عليه في فقر وفاقة، حاله حال الكثير من إخوانه المؤمنين، إلا أنه في أواخر عمره من الله تعالى عليه فاعتنى حتى ذكر أنه ملك ما لم يكن يحلم به من الذهب والفضة.

ومع هذا كله بقي هذا الرجل كما عرف عنه زاهداً لم تغيره الدنيا ولم تضعف إيمانه؛ لهذا راح يتصرف فيما جعله الله مستخلفاً فيه بوجه لا يخطر على بال أحد.

١- المصدر نفسه ٣: ١٤١٥ ح ٣٦٨٤.

٢- صحيح البخاري ٢: ٧٣٦-٧٣٧ ح ١٩٨٥.

٣- المصدر نفسه ٥: ٢٣٦٢-٢٣٦٩ ح ٦٠٦٦.

ص: ٢٢١

وضع ماله ودرهمه و دنائره فى مكان من بيته غير مستور، أى لم يخبئه، ولم يشدد عليه رباطاً ولم يحكم عليه قفلاً، وقد أذن لمن هو فى حاجة أن يأخذ منه ما يسد حاجته دون أن يسأله أو يستأذن منه؛ لينال بذلك رضا الله تعالى. ومع موقفه هذا من الذى بين يديه، تراه يخشى من أن يكون غناه و ثراؤه هذا أجراً لما قدمه من مواقف وتضحيات فى سبيل الله، استوفاه فى الدنيا. فقد حدث جمع من أصحابه قائلين:

دخلنا على خباب فى مرض موته، فقال:

إن فى هذا المكان ثمانين ألف درهم، وإنى ما شددت عليه رباطاً قط، ولا منعت سائلاً قط، ثم بكى.

فقالوا له: ما يبكيك؟

فقال: أبكى لأن أصحابي مضوا ولم ينالوا من أجورهم فى هذه الدنيا شيئاً، وأنى بقيت فنلت من هذا المال ما أخاف أن يكون ثواباً لتلك الأعمال، أو لقد خشيت أن يذهب بأجورنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ما أصبنا من الدنيا. الكوفة:

لأسباب عديدة، قد يكون الوضع السياسى فى خلافة عثمان بن عفان واحداً منها، غادر جمع من الصحابة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله متوجهين نحو الكوفة، حيث سبق وأن أقطع عثمان جمعاً من المسلمين ومنهم خباب والزبير... قطعة من أرض الخراج فى الكوفة، اتخذوها سكناً لهم حينما تركوا المدينة.

تقول الرواية:

... كان الناس يقدمون على عثمان بن عفان، وكان منهم ابن مسعود وابن ياسر والزبير وغيرهم، فيسألونه أن يعوضهم مكان ما خلفوا من أرضهم بالحجاز وتهامه، ويقطعهم عوضه بالكوفة والبصرة، فأقطع خباب بن الأرت

ص: ٢٢٢

استينيا، قرية بالكوفة (١).

وفي خبر إنّما القطائع كانت على وجه الفضل من خمس ما أفاء الله.  
وفي رواية اخرى:

وابتنى - خَبَاب بن الأرت - بالكوفة داراً في جهار سوج خُنيس (٢)..

وفي معجم البلدان: يعرف بجهار سوج الهيثم بن معاوية من القواد الخراسانية، وهي كلمة فارسية... وهي من محالّ بغداد في قبلة  
الحربية، خرب ما حولها من المحال وبقيت هي والنصيرية والعثايون ودار القزّ متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب  
بغداد (٣).

بعض ما قاله فيه علماء الرجال:

كان لخباب عند علماء الرجال منزلة محموده وأنه ثقة جليل، فقليلاً ما تخلوا كتبهم من ذكر اسمه وترجمه حياته والإشادة به.  
فهذا شيخ الطائفة عدّه من جملة رجاله (٤)، فيما قال عنه بحر العلوم (٥) في رجاله: خباب بن الأرت التميمي أبو عبد الله أحد  
السابقين الأولين الذين عدّوا... فيما قال التستري في قاموسه:... وممدوحية خباب مسلمة كما عرفت من مدح أمير المؤمنين عليه السلام  
له (٦).

فيما ذكره العائمة ابن عبد البرّ وابن مندة وأبو نعيم... بأنّه صحابي جليل وأنه كان من فضلاء المهاجرين الأولين... (٧)

١- ١ انظر معجم البلدان، لياقوت الحموي. وتاريخ الطبري ٢: ٤٣٨.

٢- ٢ انظر تاريخ الكوفة: ٣٩٨.

٣- ٣ انظر معجم البلدان ٢: ١٩٣.

٤- ٤ رجال الطوسي: ١٩.

٥- ٥ رجال بحر العلوم.

٦- ٦ القاموس للعلامة التستري ٤: ١٥٦.

٧- ٧ المصادر نفسها.

ص: ٢٢٣

وفاته رضوان الله عليه:

كان هذا الصحابي الجليل على موعد مع ظهر (أى ما غلظ وارتفع) الكوفة، هناك حيث رقد جسده المعذب بعد صبرٍ طويلٍ ومثابرةٍ عظيمةٍ وثباتٍ منقطع النظير فى أن يبقى على العهد مؤمناً صادقاً مجاهداً حتى يلقى الله تعالى صابراً محتسباً. وبوفاته ودفنه فى الكوفة كان أول صحابي يدفن فيها.

تقول الرواية وهى عن ابن خناب: كان الناس يدفنون موتاهم بالكوفة فى جباينهم، فلما ثقل خناب قال لى: أى بُنى إذا متُّ فادفنى بهذا الظهر، فإنك لو قد دفنتى بالظهر قيل: دُفِنَ بالظهر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فدفن الناس موتاهم، فلما مات خناب رحمه الله، دفن بالظهر فكان أول مدفون بظهر الكوفة (١).

وهذا محل اتفاق المؤرخين إلا أنهم اختلفوا فى سنة وفاته رضوان الله عليه، فهناك من يقول: صلى عليه على وجهه منصرفه منصفين (٢)، وقول: فى السنة السادسة والثلاثين من الهجرة (٣). وقول آخر: إنه توفى فى السنة التاسعة عشرة من الهجرة (٤). وآخر بعد معركة النهروان سنة ٣٩ هجرية. إلا أن الأكثر شهرة أنه توفى فى السنة السابعة والثلاثين من الهجرة، بعد ما شهد صفين مع على رضى الله عنه والنهروان، وصلى عليه على، وكان عمره إذ مات ثلاثاً وسبعين سنة...

فيما قال ابن الأثير بعد هذا: الصحيح أنه مات سنة سبع وثلاثين وإنه لم يشهد

١- ١ انظر الطبقات الكبرى ٣: ١٦٧.

٢- ٢ حلية الأولياء ١: ١٤٧.

٣- ٣ الاستيعاب ١: ٣٢.

٤- ٤ المصدر نفسه: ٤٢٣-٤٢٤ والإصابة ١: ٤١٦.

ص: ٢٢٤

صَفِين، فَإِنَّه كَانَ مَرَضُهُ قَدْ طَالَ بِهِ فَمَنْعَهُ مِنْ شَهُودِهَا (١).

إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشْغُولًا فِي حَرْبِ صَفِينٍ، وَتَرَكَ خِيبًا مَرِيضًا فِي الْكَوْفَةِ وَلَعَلَّ الَّذِي يُؤَيِّدُ كَوْنَهُ مَرِيضًا، مَا وَرَدَ فِي كَلَامِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْآتِي. «وَابْتَلَى فِي جِسْمِهِ فَصْبِرًا». وَلَمْ يَكُنْ حَاضِرَ وَفَاتِهِ وَهُوَ مَا تَوَهَّمَهُ بَعْضُ الْإِمَامِ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ مُؤَيِّنًا

مَا إِنْ عَادَ الْإِمَامُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَعْرَكَةِ صَفِينٍ وَوَصَلَ إِلَى ظَهْرِ الْكَوْفَةِ حَتَّى سَأَلَ: مَا هَذِهِ الْقُبُورُ؟ فَقَالَ قِدَامَةُ بْنُ الْعِجْلَانَ الْيَزْدِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ خِيبَ ابْنِ الْأَرْثِ تَوَفَّى بَعْدَ مَخْرَجِكَ، فَأَوْصَى بِأَنْ يُدْفَنَ فِي الظَّهْرِ، وَكَانَ النَّاسُ إِذَا يَدْفَنُونَ فِي دَوْرِهِمْ وَأَفْنِيَتِهِمْ، فَدْفَنَ بِالظَّهْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَدْفَنَ النَّاسُ إِلَى جَنْبِهِ.

فَوَقَفَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى هَذِهِ الْقُبُورِ قَائِلًا:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمَوْحِشَةِ وَالْمَحَالِّ الْمَقْفَرَةِ! مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، أَنْتُمْ لَنَا فِرْطٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِيعٌ، نَزُورُكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ، وَنَلْحَقُ بِكُمْ بَعْدَ زَمَانٍ قَصِيرٍ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِهِمْ، وَتَجَاوِزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّا خَلْقَنَا، وَعَلَيْهَا مَمَشْنَا، وَفِيهَا مَعَاشْنَا، وَإِلَيْهَا يُعِيدُنَا، طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَقَنَّعَ بِالْكَفَافِ، وَأَعَدَّ لِلْحِسَابِ (٢)!

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُؤَيِّنًا وَقَدْ انْفَرَدَ بِقَبْرِ غُضِّ رَطِيبٍ يَضُمُّ رِفَاتَ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ:

رَحِمَ اللَّهُ خِيبًا! لَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَجَاهَدَ طَائِعًا، وَعَاشَ زَاهِدًا، وَابْتَلَى فِي جِسْمِهِ فَصْبِرًا!

وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣).

## اسرار وعلوم الحج

١- ١ أسد الغابة ٢: ١٠٠.

٢- ٢ انظر: تاريخ الطبري ٣: ١٠٨، وأسد الغابة ٢: ١٠٠، ووقعة صفين: ٥٣٠، شرح نهج البلاغة ١٩: ٢٠٦-٢٥٧.

٣- ٣ انظر العقد الفريد ٣: ٢٠١، أسد الغابة ٢: ١٠٠.

ص: ٢٢٥

أسرار وعلوم الحج

عبدالقادر (١)

تقديم:

الحج عبادة عظيمة سنوية شرعها الله للعباد ولما فيها من المنافع العظيمة وما تهدف إليه من المقاصد الجليلة ولما يترتب عليها من خير في الدنيا والآخرة، وهي فريضة على جميع المكلفين في جميع أقطار العالم رجالاً ونساءً إذا استطاعوا السبيل إليها حيث قال الله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (٢)**

، فالحج من أفضل العبادات لاشتماله على المال والبدن، فهو يجمع معاني العبادات كلها، فمن حج فكأنما صام وصلّى واعتكف وزكى ورابط في سبيل الله وغزا وجاهد الشياطين من الجن والإنس. والحج أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو عرضة سنوية للملة الإسلامية

١- ١ استاذ مساعد في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة شيتاغونغ - بنغلاديش.

٢- ٢ سورة آل عمران: ٩٦- ٩٧.

ص: ٢٢٦

يرجع إليها الفضل في نقاء هذه الأمة وأصالتها وفي بقاء هذا الدين، بعيداً عن التحريف والغموض والالتباس، وفي بقاء هذه الأمة، بعيدة عن الانقطاع عن الأصل والمصدر والأساس، محفوظة من المؤامرات والمغالطات التي وقعت أمم كثيرة فريستها في الزمن الماضي، وعن طريق هذه المؤسسة العظيمة الحكيمة تبقى هذه الأمة تحتفظ بطبيعتها الإبراهيمية الواعية، الثائرة القوية الحنيفة السمحة وتتوارثها جيلاً بعد جيل فكانها القلب الحي القوي الذي يوزع الدم إلى عروق الجسم وشرائينه وبها تستعرض هذه الأمة مجموعها فيصعيد واحد، فينفى بذلك علماءها وزعماءها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وخرافة المخرفين ويردونها إلى الأصل الإبراهيمي الحنيفة وإلى الشريعة المحمدية الصافية وإلى الدين الخالص، وبها تستطيع هذه الأمة أن تحافظ على وحدتها الدينية والعقلية والثقافية وتعتصم عن أن تؤثر فيها الاقليمية والمحلية تأثيراً يفقدها الوحدة الحنيفة الإبراهيمية والصبغة الإسلامية المحمدية، فالحج هو الطريق الوحيد الذي يلتصق به الأمة الإسلامية مآثرهم القديمة كما تلتصق طرق حل مشاكلهم الفردية والاجتماعية والدولية التي تواجهها الأمة في العصر الراهن.

معنى الحج لغة:

الحج - بفتح الحاء وكسرها - لغة هو القصد والإرادة، يقال: حج إينا فلان:

أي قدم، وحجه يحجه حجاً أي قصده، ويقال: رجل محجوج أي مقصود، وقال جماعة من أهل اللغة: الحج: القصد لمعظم، والحج بالكسر: الاسم، والحجّة: المرّة الواحدة، قال الشاعر:

وقفت بها من بعد عشرين حجّة فهلا عرفت الدار بعد توهم

وهو من الشواذ، لأن القياس بالفتح، وقال ابن منظور: تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك والحج إلى البيت خاصة، تقول: حج يحج حجاً، والحج



ص: ٢٢٧

قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة (١).

الحج في الاصطلاح:

الحج هو القصد إلى بيت الله الحرام لأعمال مخصوصة في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة، أي: أن الحج هو قصد موضع مخصوص وهو بيت الله الحرام وعرفه في وقت مخصوص وهو أشهر الحج للقيام بأعمال مخصوصة وهي الوقوف بعرفة والطواف والسعي بشرائط مخصوصة (٢).

ثبوت فريضة الحج:

إن الله تعالى قد فرض الحج على المسلم المستطيع في العمر مرة واحدة فحسب، قد نزلت الآية بمناسبة فرض الحج عام الوفود في أواخر سنة تسع من الهجرة النبوية، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أدى فريضة الحج في حياته الطيبة مرة واحدة في السنة العاشرة من الهجرة، في هذه السنة قد طهر بيت الله الحرام من الرجس والأوثان كما طهره من آثار الشرك والعصيان وعن نشاطات المشركين في رحاب الكعبة المشرفة كما أمره تعالى: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ (٣) وأيضاً قال تعالى: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا (٤).

قد ثبت فرض الحج بالكتاب المحكم و السنة النبوية صلى الله عليه وسلم وإجماع الامة الإسلامية.

أ- ثبوت الحج بالقرآن:

قال الله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (٥)

، وقال

١- ١ ابن منظور، لسان العرب ٢: ٢٢٦.

٢- ٢ الموسوعة الفقهية ١٧: ٢٣.

٣- ٣ التوبة: ٣.

٤- ٤ التوبة: ٢٨.

٥- ٥ آل عمران: ٩٧.

ص: ٢٢٨

تعالى: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ (١)

، وقال تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢).

ب- ثبوت الحج بالسنة:

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان (٣)، وعن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب وشديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً... (٤).

ج- ثبوت الحج بالإجماع:

قد وقع الإجماع في فريضة الحج حيث إنه لم يخالف أحد في فرضه من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا (٥). فمن هذه الأدلة - نحن نلاحظ - أن الحج واحد من أركان الإسلام كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها، فمن جحد وجوبه وأنكر فرضيته أو شك فيه فهو خارج عن دائرة الإيمان وعن حدود الإسلام وعن زمرة المسلمين، ومن أقرَّ بوجوبه وامتنع من فعله مع القدرة والاستطاعة عليه فكفى بالله حسيباً، فقد روى سعيد بن

١-١ البقرة: ١٩٦.

٢-٢ الحج: ٢٧.

٣-٣ الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح: ١٢.

٤-٤ المصدر نفسه: ١١.

٥-٥ أبو الحسن علي الندوي: فقه العبادات: ٤٦٥.

ص: ٢٢٩

منصور عن الحسن البصرى قال: قال عمر بن الخطاب: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين (١). وأيضاً روى عن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً (٢). فضائل الحج:

الحج له فضائل عظيمة ومكانة سامية وأثر كبير في غفران الذنوب والآثام، وفي بناء المجتمع على أساس الشريعة الإسلامية، فالمرويات التالية تدل عليها:

أ- عن ابن شبرمة قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقه الموت، فبكى طويلاً وقال: لما جعل الله تعالى الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبسط يمينك لأبايعك، فبسط يده فقبضت يدي، فقال: ما لك يا عمرو؟ قال: أردت أن أشتري، قال: تشتري ماذا؟ قال: أن يغفر لي، قال: ما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله (٣).

ب- عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور، والحج المبرور هو الحج الذي لا يخالطه إثم (٤) وقال الحسن: أن يرجع زاهداً في الدنيا وراغباً في الآخرة.

ج- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جهاد الكبير والضعيف والمرأة

١-١ الحافظ أبو الفدا إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصر: ١: ٣٨٦.

٢-٢ المصدر نفسه: ٣٨٦.

٣-٣ الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح: ١٤.

٤-٤ المصدر نفسه: ٢٢١.

ص: ٢٣٠

## الحج والعمرة (١).

د- عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لكن أفضل الجهاد حجّ مبرور (٢).

ه- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (٣).  
و- وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة (٤).  
الحج حكمته وفلسفته:

إنّ الحكمة والفلسفة في الحج هي تسليء الحج والبيت للمسلمين وتشويقهم وتقوية إيمانهم وغفران ذنوبهم... لأنّ الشوق غريزة في الإنسان الحي السليم وحاجه من حاجاته، فيبحث له عمياً يقضى به حاجاته ويروى غلته، وكان البيت العتيق وما حوله من شعائر الله والحج وما فيه من مناسك خير ما يحقق رغبته ويسلّي شوقه وعاطفته، وقد قال الله تعالى في بيان هذه الحكمة والفلسفة: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ\* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ\* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ\* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٥).  
، وأيضاً قال تعالى:

١- ١ سنن النسائي ٢: ٢.

٢- ٢ صحيح البخارى ١: ٢٠٦.

٣- ٣ المصدر نفسه: ٢٠٦.

٤- ٤ الصحيح لمسلم ١: ٤٣٦.

٥- ٥ الحج: ٢٦- ٢٩.

ص: ٢٣١

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِئًا وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١).

يقول الإمام الغزالي: فالشوق إلى لقاء الله تعالى يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة، هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبته إضافة والبيت مضاف إلى الله تعالى،- فالبحر أن يشترك اليه بمجرد هذه الإضافة- فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل (٢).

يقول الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي: ربما يشترك الإنسان إلى ربه أشد شوق، فيحتاج إلى شيء يقضى به شوقه فلا يجده إلا في الحج (٣).

أسرار الحج:

إنَّ للحج ديناً يهدف- بعباداته- إلىصلاح الدين والدنيا، فالحج المؤتمر الإسلامى العظيم والاجتماع الحاشد، فيه من المنافع الدينية والدنيوية والثقافية والاجتماعية والسياسية ما يفوت الحصر والعد.

فأما المنافع الدينية: فما يقوم به الحاج من هذه العبادات الجليلة التى تشتمل على أنواع من التذلل والخضوع بين يدي الله تعالى، فمنها تقحم الأسفار وإنفاق الأموال والخروج من ملاذ الحياة بخلع الثياب واستبدالها بإزار ورداء، حاسر الرأس وقد ترك الطيب والنساء وترك الترفه بأخذ الشعور والأظفار ثم التنقل بين هذه المشاعر، كل هذا بقلوب خاشعة وأعين دامعة وألسنة مكبرة مليئة، قد حدا بهم الشوق إلى بيت ربهم، ناسين، فى سبيل ذلك، الأهل والأوطان والأموال والنفس والنفيس، فما ترى ثوابهم عند ربهم؟! وأما المنافع الثقافية: فقد أمر الله بالسير فى الأرض للاستبصار والاعتبار

١-١ البقرة: ١٢٥.

٢-٢ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ١: ٢٤.

٣-٣ الشيخ ولى الله الدهلوي، حجة الله البالغة ١: ٧٥.

ص: ٢٣٢

ففيه من معرفة أحوال الناس والاتصال بهم والتعرف على شؤون الوفود التي تمثل أصقاع العالم كله ما يزيد الإنسان بصيرة وعلماً إذا التقى بعلمائهم واتصل بنبهائهم فيجد لكل علم وفن طائفة تمثله.

وأما المنافع الاجتماعية والسياسية: فإن الحج مؤتمر عظيم يضم وفوداً متنوعه العلوم، مختلفه الثقافات، متباينه الاتجاهات والنزعات، فإذا اجتمع كل حزب بحزبه وكل طائفة بشيبتها ومثلوا «لجان الحكومه الواحدة» ودرسوا وضعهم الغابر والحاضر والمستقبل، ورأوا ما الذي أخرهم وما الذي يقدمهم وما هي أسباب الفرقة بينهم وما أسباب الائتلاف والاجتماع وتوحيد الكلمه، وبحثوا شؤونهم الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية على أساس المحبة والوثام وبروح الوحدة والالتيام، أصبحوا يداً واحدة ضد عدوهم، وقوة مرهوبة في وجه المعتدى عليهم على ضوء قوله تعالى: وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ (١) ، وبهذا يصير لهم كيان مستقل خاص، له مميزاته وأهدافه ومقاصده، يسمعه صوته ويصغى إلى كلمته ويحسب له ألف حساب، وبهذا يعود للمسلمين عزهم ويرجع إليهم سؤددهم ويننون دولة إسلامية دستورها كتاب الله وسنة رسوله، شعارها العدل والمساواة، وهدفها الصالح العام وغايتها الأمن والسلام، حينئذ تتجه إليهم أنظار الدنيا وتسلم الزمام إليهم فيمسكونه بأيديهم، ويقوضون مجالس بنيت على الظلم والبغى، ويننون على أنقاضها العدل والإحسان، وبهذا يقر السلام ويستتب الأمن وتتجه المصانع التي تصنع للموت الذريع أسلحة الدمار والخراب، إلى أن تخرع المعدات التي تساعد على التثمير والتصنيع وإخراج خيرات الأرض، فتحقق حكمة الله بخلقه، ويحلّ الخصب والرخاء والأمن والسلام مكان الجذب والغلاء والخوف والدماء، كما قال

ص: ٢٣٣

تعالى: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا (١).

مقاصد الحج وأهدافه:

من مقاصد الحج الرئيسية تجديد الصلوة بإمام الملة الحنيفة ومؤسسها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والتشبع بروحه، والمحافظة على إرثه، والمقارنة بين حياتنا وحياته وعرضها عليها، واستعراض ما يعيش فيه المسلمون في العالم، وتصحيح ما وقع في حياتهم من أخطار أو فساد أو تحريف، وإعادة ذلك كله إلى أصله ومنبعه. فالحج عرضة سنوية للملة تضبط أعمال المسلمين وحياتهم ويتخلصون بها من نفوذ الامم والمجتمعات التي يعيشون فيها (٢). قال الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي: ومن مقاصده موافقة ما توارث الناس عن إبراهيم وبنيه إسماعيل عليهما السلام....

.... فمن الواجب المحافظة على ما استفاض عن إمامها كخصال الفطرة ومناسك الحج، حيث قال عليه الصلاة والسلام: قفوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث أبيكم (٣).

إن مقاصد الحاج وأهدافه الفوز بالجنة والنجاة من النار وغفران الذنوب وحط الخطايا، إن إبراهيم عليه السلام قد دعا إلى ربه لهذا البلد فاستجاب الله هذا الدعاء فبعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالأمر التي بينها إبراهيم عليه السلام فرفعهم بالأخلاق الفاضلة وطهرهم من الأخلاق الدنيئة والصفات المنكرة. إن أعظم صفات الامم الإسلامية التوحيد لله وحده وإخلاص العبادة له في جميع الأحوال وترك عبادة ما سواه والايمان به وبرسوله وبكل ما أخبر الله به ورسله عما كان وما يكون، والايمان بنبيه محمداً صلى الله عليه وسلم والاستقامة على دينه، هذا أصل هذا الدين وأساسه وتوحيد الله والإخلاص له،

١-١ البقرة: ١٢٥.

٢-٢ أبو الحسن على الندوي، الأركان الأربعة: ٢٤٩.

٣-٣ ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة ٢: ٥٦.

ص: ٢٣٤

وهو أعظم هدف للحج وأعظم مقصد أن يأتي العبد مخلصاً لله ويترك كل ما سواه ويقصد وجهه الكريم بالتلبية والدعاء ويكرّر: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

إن الحج هو العبادة الوحيدة الذي يمكن أن يظهر القوة والوحدة الإسلامية أمام الملحدين والغالين والمخالفين للدين الحنيف، ويظهر الأرض المقدسة من المشركين الكافرين بأن يعبدوه وحده عند بيته الكريم ويطهروا ما حول البيت من الأصنام والأوثان وسائر ما حرم الله، ومن النجاسات ومن مؤامرات الشياطين ومن كل ما يؤذى الحجاج أو العمار أو يشغلهم عن هدفهم، فاليبت للمصلين وللطائفين وللعاكفين وهم المقيمون عنده يعبدون الله فيه وفي حرمة الذي يجب أن يظهر لهم من كل ما يصد عن سبيل الله أو يلهي الوافدين إليه من قول أو عمل.

قد أذن ابراهيم عليه السلام في الناس بأداء الحج، فأسمع الله صوته لمن شاء من العباد، وأجاب الناس هذه الدعوة من عهده إلى يومنا هذا، ففي الحج منافع عاجلة وآجلة، فمن أعظم المنافع أن يشهدوا توحيد الله تعالى والإخلاص له في الطواف ببيته والصلاة في رحاب بيته والدعوة له والإنابة إليه والتضرع إليه واجتماعهم كاجتماع يوم المحشر وإتاحة الفرصة لهم حتى يتبادلوا أفكارهم ومشاكلهم الفردية والاجتماعية والعالمية والتشاور فيما بينهم للتفتش لحل هذه المشاكل.

ومن مقاصد الحج أن يتعارف المسلمون ويتواصوا بالحق ويتناصحوها، فهم يأتون من كل فج عميق من غرب الأرض وشرقها وجنوبها وشمالها أي من أقطار الأرض كلها، فيجتمعون في رحاب بيت الله العتيق وفي عرفات وفي مزدلفة وفي منى وفي رحاب مكة يتعارفون ويتناصحون ويرشد بعضهم بعضاً ويسعون لمصالح عاجلة وآجلة، فيسعون في رحاب بيت الله ومسجد رسول الله لما فيه من الهداية والبلاغ والصالح والفلاح والرشاد، فالحج - لا شك - موسم يشهده المسلمون من آفاق الأرض ونواحي العالم الإسلامي ليشهدوا منافع لهم.. يستطيعون فيه أن



ص: ٢٣٥

يتبادلوا الرأى السديد والفكر الحصيف ويتعرّف بعضهم ببعض يجتمعون على كلمة واحدة راجحة راشدة.  
تعاليم الحج:

فى الحج فوائد عظمى وآثار كبرى تعود بالخير العميم والنفع الجليل للفرد والجماعة، فمنها:

الأول: الحج برهان عملى من المؤمن على أنه يفضل حبّ الله تعالى على أهله وماله وعمله ودياره، فيتحمل مشاق السفر ومخاطر الطريق، تلبيةً لدعوة الله تعالى وابتغاء لرضوانه.

الثانى: فى الحج تعويد للحاج على الصبر؛ تحمل الشدائد، مفارقة الأهل والأولاد والأوطان وتمارين عملى على حياة الخشونة وشظف العيش لكى يكون المسلم مدرّباً على خوض المعارك واقتحام الخطوب.

الثالث: فيه تقوية للإيمان وتهذيب للنفس وتكفير للذنوب؛ لأن المؤمن يتفرغ فيه للعبادة والتفكير وذكر الله تعالى، لا تشغله هموم الحياة ولا تفتنه بهارجها الزائلة.

الرابع: وفى الحج المساواة التامة، والاخوة الإنسانية تتحقّق بأجليصورها، فلا- فرق بين أبيض وأسود ولا فرق بين فقير وغنى ولا بين عربى وأعجمى...

فتكون هذه المشاهد سبيلاً لغرس هذه المبادئ الإنسانية فى نفس المسلم بشكل عملى.

الخامس: يكتسب المسلم فى الحج ثقافة واسعة وخبرة عملية حيث يختلط بالناس بمختلف ديارهم وأوطانهم، فيتعرّف أخبارهم ومشاعرهم.

السادس: يرى المؤمن البقاع الطاهرة التى شهدت مولد الإسلام واعتزت بمواقف الرسول الكريم وصحبه المجاهدين الأبطال الذين ضحوا بكلّ غال ورخيص، فتثور فى نفسه كوامن العزة والكرامة ودوافع الجهاد لإعادة عزنا ومجدنا.

ص: ٢٣٦

السابع: الحج وسيلة قوية لتعارف المسلمين وتعاونهم واثتلاف قلوبهم وجمع كلمتهم، فبالحج تحطم محاولات الأعداء فى تمزيق الشمل وتفريق الصفوف وإقامة الحدود المصطنعة، ويشعر المسلمون فى الحج: أن لهم قوّة كبيرة تحقّق لهم أهدافهم لو نظمت ووحدت ووّجّهت التوجيه الصحيح.

الثامن: الحج تجمّع إسلامى عام دورى يستطيع فيه قادة الرأى من المسلمين فى السياسة والاجتماع والثقافة والاقتصاد أن ينتهزوا فرصة اجتماعهم لعرض مشكلاتهم فى إطار الدين ومناقشتهم فى جوّ من الحب والاخاء واتخاذ الحلول والسبل الحازمة لها.

التاسع: فى الحج تكتل واتحاد للكلمة فى التوجه إلى جهة واحدة ونحو هدف واحد وجمع لأشتات المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها (١).

الحج مظهر الجامعة الإنسانية الإسلامية:

الحج انتصار للقومية الإسلامية على القوميات الوطنية والعنصرية واللسانية التى قد يصبح بعض الشعوب الإسلامية فريستها تحت ضغط عوامل كثيرة، وهو إظهار لشعار هذه القومية، فتتجرّد جميع الشعوب الإسلامية عن جميع ملابسها وأزيائها الاقليمية التى تميّز بعضها عن بعض ويتعصّب لها أقوام، وتظهر كلّها فى مظهر واحد يسمّى «الاحرام»، حاسرة رؤوسها ما بين رئيس ومرؤوس وصغير وكبير وغنى وفقير وتهتف كلّها فى لغة واحدة ونعمة واحدة: «لييك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

هكذا تتجلّى القومية الإسلامية فى اللباس والهتاف، وهما من أوضح ما تجلّت فيه قومية، وفى وحدة المناسك والغايات التى يقوم بها جميع الأفراد والشعوب ويسعى إليها العرب والعجم ويلتقى عليها القاصى والدانى، فكلّهم يطوفون حول

ص: ٢٣٧

بيت واحد، ويسعون بين غايتين مشتركتين «الصفاء والمروءة» وكلهم يقصدون «منى» وكلهم يؤمون «عرفات» ويقفون في موقف واحد وكلهم يبيتون في مبيت واحد، فإذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبلة لمن الضالين (١)

، ويفيضون إفاضة واحدة، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (٢)

، وكلهم يقفون أياماً في منى تجمع بينهم اشغال واحدة من نحر وحلق ورمى.

الحج فريضة باقية إلى يوم القيامة ومؤسسة خالدة خلود هذه الامة، فالمسلمون لا تبتلعهم القوميات كما ابتلعت امماً كثيرة ولا يصبحون ضحيتها ولا تكون بلادهم التي يحبونها... قبله يتوجهون إليها وكعبة يحجون إليها، إنما هي قبله واحدة يتوجه إليها الشرقي والغربي والعجمي والعربي، إنما هي كعبة واحدة يحج إليها الهندي والایراني والأفغانى والتركى والمسلم الأوربي والأمريكى وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى (٣)

، ويحج إليها المسلم في أقصى الأرض وينذر لهذه الرحلة النذور ويسعى إليها على الرأس والعين، ويعتبر ذلك غاية الأوطار وأقصى الأمانى وأعظم السعادات (٤).

الجوانب الإعلامية في الحج:

إن ما يقوم به الحجيج من أعمال التعارف والذكر والاجتماع على كلمة واحدة، وهتاف واحد فيصعيد واحد، وما يتجلى في أداء مناسك الحج من مظاهر الوحدة والثقة ودعم عقيدة التوحيد، ورفع التلبية وتكرارها، يحمل كل ذلك من الفوائد الإعلامية الواقعية ما لا تتحمله أجهزة الإعلام في عصر التقدم العلمى والرقى

١-١ البقرة: ١٩٨.

٢-٢ البقرة: ١٩٩.

٣-٣ البقرة: ١٢٥.

٤-٤ أبو الحسن على الندوى، الحج عرضة شرعية سنوية، البعث الإسلامى، ١٤١٢ هـ، العدد ٤: ١٩-٢٠.

ص: ٢٣٨

الحضارى، فمن المعلوم أنّ الاعلام لا- يهدف إلّا تركيز الفكرة أو الصورة، وترسيخ المفاهيم والمشاهد بوسائله المتعدّدة، ثم التأثير بذلك كلّ في عقول الناس ومرئياتهم، وقد قيل: إنّ الاعلام سلاح ذو حدّين، يبنى ويهدم وينفع ويضرّ، كذلك أعمال الحج تحقّق هذه الغاية الإعلاميّة من تركيز العقائد وفضائل الأخلاق وتحريك الهمم وإيقاظ الروح وإشعال جمره الايمان وإذكاء نار العداوة والبغضاء ضد الشياطين والوثنيات والكفر والعادات الخبيثة والأعمال القبيحة والمعاصى المدمّرة، وهى تبنى معالم الهدى والسعادة والعلم والايمان وتخطّط للمستقبل الإنسانى التّير، وتوفّر لأهلها فرصاً سانحةً للوحدة والتضامن والتعاون على البرّ والتقوى، وتهدم مسالك الغى والضلال، ومناهج الظلم والطغيان وتحطّم أغلال الشرك والعبوديّة والخنوع لغير الله.

إذا كان الاعلام يرسم الخطوط ويضع القواعد ويفصل المناهج لتركيز الفكرة وتصوير الآلام والأحلام والآمال والأهواء، وتمثيل مناظر اللهو والمجون والفواحش والنكبات والصور الإنسانية من جميع الأنواع، فإنّ أعمال الحج ومناسكه تمثّل المشاهد الإنسانية والمناظر الجذّابة من الرباط الوثيق بين العبد وربّه وبيته ومشاعره والعلاقة المخلصه الجادة بصاحب الشريعة وحامل الوحي ورسالة الإسلام محمّد صلى الله عليه وسلم الذى بعث رحمة للعالمين، إنها تصور ذلك الواقع الإنسانى الذى رفع البشر إلى أعلى قمة من السعادة والهداية والطمأنينة والهدوء، كذلك فإنّ فى الحج كلّ نوع من الاعلام والإبلاغ والتوجيه والدعوة والتمثيل والتصوير، فيه كلّ نوع من دروس الحبّ والهيام والتفانى فى سبيل الهدف السامى، وفيه تزيك العواطف وتنزيه المشاعر وتنمية روح الفضائل بإزاء العداوة للشيطان والكراهية للردائل والفرار من خداع النفس، وأخذ الحذر من كلّ ما يغرى العبد المؤمن فى طريقه إلى الله، ومن كلّ ما يخدعه من المظاهر الكاذبة المزخرفة والاستفادة من الجوانب الإعلاميّة المتوافرة فى هذا الركن العظيم، فى النواحي الإيجابية والسلبية كليهما...

ص: ٢٣٩

ثم إن جماعات الحجيج التي تمثل جميع عواصم العالم وطبقات الأمة ومجتمعات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، تحمل الأنباء والأخبار عما يجري حول العالم من الظروف والأوضاع المتنوعة، وتتولى مهمة كشف الحقائق عن كثير من شؤون السياسة والاجتماع العالمية والنوايا والتحديات التي توجه إلى العالم الإسلامي والمسلمين لتصفية الوجود الإسلامي حيناً، وإضعاف معنويتهم وثقتهم بخلود الإسلام وعالمية رسالته حيناً آخر (١).

كذلك تتضاعف البرامج بأنواعها وألوانها بنقل المشاهد والحقائق بأجهزة الاعلام المختلفة إلى جميع أنحاء العالم مما يفيد المجتمعات الإنسانية في العالم كله، ويزودها بصورة حيية وبأشكال متحركة لمناسك الحج وأعماله في أجواء الربوع المقدسة حيث يعيش ملايين الحجاج في وحدة ووثام ليس له نظير في أي أمة ولا تاريخ، ولا سيما الخطبة التي تلقى في يوم عرفة لأحكام المناسك ودروس الحج، كما يذكر فيها مشاكل الأمة الإسلامية وطرق حلها، ويذكر فيها تعاليم الإسلام ومفاهيمه التي تكون نصالحة لبناء الحياة الإسلامية... لقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أمته مناسك الحج وفسر لها معالمه ومراميه ومفاهيمه بحيث لم يترك صغيرة ولا كبيرة، دقيقة ولا جلية إلا أحصاها، فقد سجل التاريخ خطبته التي ألقاها بعرفات مخاطباً العدد الهائل من أصحابه الكرام وكان يبلغ هذا العدد أكثر من مائة ألف، إنما كانت خطبته هذه ميثاقاً للحياة الإسلامية والاجتماعية، ولكل ما جاء في هذه الخطبة من حرمة الحياة الإنسانية والأموال والأعراض وحقوق النساء والأولاد وشؤون سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية (٢).

١-١ بتغيير يسير من مقال «جوانب إعلامية مشرقة في الحج» لسعيد الأعظمي، البعث الإسلامي، ١٤١٣ هـ، العدد ٤: ٣-٨.

٢-٢ السيرة النبوية لابن هاشم ٢: ٦٠٣-٦٠٥، قد ذكرت فيه هذه الخطبة، أيضاً ذكرت في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ٢: ١٥-١٧.

ص: ٢٤٠

الختام:

لقد قدّر الله لهذه الامة الخالدة أن تعيش في بيئات مختلفة وفي أقاليم عديدة وتجتاز أدواراً كثيرة جداً، مختلفه جداً، من حرارة وقوة وجمود وخمود وعنف وقسوة ومصارعة ومقاومة واغراءات مادية وسياسية، وتقدّم في الحضارة والمدنية وتوسع في المال وضيق وضحك وبذخ وترف وعسر ويسر وشدة ورخاء وتسلطّ عدو قاهر وملك جائر، وكانت الامة في حاجة دائمة إلى إشعال جذوة الايمان وإثارة عاطفة الحبّ والحنان وإعادة الوفاء والولاء في سائر الأجزاء والأعضاء، فجعل الحج ربيعاً تورق فيه أغصان هذه الشجرة الخالدة كل عام، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربّها، وتكتسى فيه هذه الشجرة العالمية لباساً جديداً قشياً غصّاً طريّاً. قال الشيخ ولي الله الدهلوي: كما أن الدولة تحتاج إلى عرضة بعد كل لتمييز الناصح من الغاش والمنقاد من المتمرد، ليرتفع الصيت وتعلو الكلمة ويتعارف أهلها فيما بينهم، فكذلك الملة تحتاج إلى حج، لتمييز الموفق من المنافق وليظهر دخول الناس في دين الله أفواجاً وليرى بعضهم بعضاً فيستفيد كل واحد ما ليس عنده (١).

يأتي موسم الحج كلّ عام ولكنّ المسلمين يعيشون حياة لا طموح فيها ولا ثقة، تحيط بهم ظروف قاسية وتهدّدهم بالذوبان حيناً في تيار الأحداث والأوضاع المفروضة عليهم والانسحاق حيناً آخر مع المصالح السياسية والاجتماعية دون أن يكون لهم رصيد من الذاتية والاستقلال النفسي والفكري في مجالات الحياة المهمة، ذلك بالإضافة إلى ما يكتنفهم من الغموض فيما تصير إليه الحياة الاجتماعية وتتجه إليه المجريات من الامور، لقد أنهكتهم المآسى التي تولتها الأيدي الأثيمة لقوى الظلم والبغى والطغيان وقضت على الأمن والهدوء النفسي

ص: ٢٤١

وعكّرت جوّ الحبّ والثقة والاخوة، ذلكم الواقع المشرق الذي عاشته الامة الإسلامية في العالم الإسلامي على امتداد تاريخها الطويل، منذ أن أضفى عليهم الإسلام لباس الحب والاخوة الايمانية ولون الطهر والعفاف، فقال تعالى: **وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ كُنْتُمْ اَعْدَاءً فَاَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ اِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلٰى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَاَنْقَذَكُمْ مِنْهَا (١)**.

يتوجه الحاج المسلم إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج ولكنه بمجرّد حضوره إلى بلد الله الأمين وطوافه ببيت الله العتيق وسعيه بين الصفا والمروة سيجد في نفسه راحةً وطمأنينةً وينصرف عن جميع الأحاسيس والمخاطر التي كانت تزعجه وتعكر عليه صفو العبادة ولذّة العيش في رحاب البيت، ومع قرب أيام التشريق والذهاب إلى منى وعرفات والمزدلفة مشاعر الله في الأرض، يتناسى هموم الدنيا وأحزان الحياة ومتاعب الأحداث والمآسى التي مرّت عليه كأموج البحر الطامة وظلمات الليالي المدلهمة وتعود إليه الطمأنينة بجميع مظاهرها ومعانيها وتغطي كيانه من كلّ جهة. إنّ الحج كلّّه ذكر وعبادة وهو حبّ وتضحيةً وجهاد، يقول الدكتور زهير الأعرجي: «التعبير الإنسانية كالبكاء والشعور بالذنب والتوبة الخالصة لله سبحانه، والإشارات المنظمة كالتظام الطواف وأفعال الصلاة ورمي الجمرات وتقليد الهدى ونحوها، كلّها تمثّل رموزاً تتفاعل بها مع ديننا الحنيف وخالقنا العظيم إلّا أنّ هذه الرموز الموحّدة لا تساعدنا على التفاعل الروحي مع خالق الوجود فحسب، بل تساعدنا على التفاعل الاجتماعي أيضاً؛ لأننا نشعر عن طريق ممارسة هذه المناسك والأعمال التعبديّة أنّ لآخرين أنفساً تشابه أنفسنا في الدعاء والابتهاال والتدلل لخالقنا العظيم» (٢).

١-١ آل عمران: ١٠٣.

٢-٢ الدكتور زهير الأعرجي، الأبعاد الاجتماعية لفريضة الحج: ١١٢.

ص: ٢٤٢

إنّ الحجيج يتزوّد بزاد التقوى ويودع أهله وإخوانه وأقاربه بشعور رقيق من الخشية والتواضع وعواطف الشكر لله تعالى كما يودّع الملابس الدنيوية والعلائق النفسية والوشائج المادية، ويتطهّر من الذنوب والآلام ومن الهموم والأحزان، ويتحوّل إلى خلق جديد بعيد عن الأهواء ومزالق النفس والشيطان والطاغوت، ويتمثّل في صورة عبد خاشع لله ولا يلتجئ إلّا إليه فيناجيه في أمور تهّمه في دينه ودنياه، وتساعد على بناء ما تهدّم من القيم والأخلاق والمعنويات وإصلاح الفساد الذي عمّ بين الأفراد والمجتمعات، واستبدال الظلم والخوف بالعدل والأمن والثقة برفض الصهيونية والرأسمالية والاشتراكية والقوى الطاغية والشياطين الكبرى بإعلان: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ (١).

أخيراً نسأل الله التوفيق على اداء فريضة الحج كما أدّى سيد الشهداء الحسين ابن علي عليهما السلام بشعور إسلامي عميق، وذلك أنه أراد الرحيل إلى كربلاء قبيل موسم الحج، فقال كثير من معه: قد قرب الموسم، إن أردت فتؤدى فريضة الحج ثم ترتحل، فأجاب: الحج الذي يؤدى برئاسة يزيد فليس بحج إبراهيمي.

### علل الحجّ في كتب الصدوق (٢) ابواب علل الاحكام وغيرها



ص: ٢٤٣

علل الحجّ في كتب الصدوق (٢) أبواب علل الأحكام وغيرها

فارس حسون كريم

١- باب علّة جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس

١- عن أبي بصير- ليث المرادي-، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة (١). (٢) ٢- باب علّة وضع

البيت

١- عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لو عطّل الناس الحجّ لوجب على الإمام أن يجبرهم على الحجّ «٣» إن

شاءوا وإن أبوا؛ لأنّ هذا البيت إنّما

١- ١ قال الفيض الكاشاني رحمه الله: يعنى بقيامها قيام طوافها وحجّها كما قال سبحانه: جعل الله الكعبة.. قياماً للناس، [المائدة: ٩٧]،

ويحتمل قيام بنيانها.

٢- ٢ الكافي ٤: ٢٧١ ح ٤، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٣ ح ٢٣٠٧، علل الشرائع: ٣٩٦ ب ١٣٢ ح ١، روضة المتّقين ٤: ١٣٢، الوافي ١٢:

٤٠ ح ٨ وسائل الشيعة ١١: ٢١ ح ٥، و ١٣: ٢٤٢ ح ١٥، بحار الأنوار ٩٩: ٥٧ ح ١٠، مرآة العقول ١٧: ١٥٤ ح ٤.

٣ قال المجلسي رحمه الله: أى يجبر من وجب عليه الحجّ منهم.

ويحتمل: أن يكون مع عدم الاستطاعة أيضاً واجباً كفائياً لئلا يتعطل البيت كما هو ظاهر الخبر، ولم أرَ قائلاً به.

ص: ٢٤٤

وضع للحج (١).

٣- باب علة وضع البيت وسط الأرض

١- عن محمد بن سنان: أن أبا الحسن الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسأله علة وضع البيت وسط الأرض؛ لأنه الموضع الذي من تحته دحيت الأرض، وكل ريح تهب في الدنيا فإنها تخرج من تحت الركن الشامي، وهي أول بقعه وضعت في الأرض؛ لأنها الوسط ليكون الفرض لأهل المشرق والمغرب (٢) سواء (٣).

٤- باب علة ما كان ينبغي أن يوضع لدور مكة أبواب

١- عن عبيدالله بن علي الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله تعالى: سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ (٤). فقال: لم يكن ينبغي أن يُصنع على دور مكة أبواب؛ لأنَّ للحاج أن ينزلوا معهم في دورهم في ساحة الدار حتى يقضوا مناسكهم، وإنَّ أول من جعل لدور مكة أبواباً معاوية (٥).

٢- عن حفص بن البختري، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ليس ينبغي لأهل

١- ١ الكافي ٤: ٢٥٩ ذ ح ٣٠، علل الشرائع: ٣٩٦ ب ١٣٣ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٢٣ ذ ح ١٢، وسائل الشيعة ١١: ٢٤ ح ١ وص ١١٩

ذ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ١٨ ح ٦٥، مرآة العقول ١٧: ١٣٢ ذ ح ٣٠، ملاذ الأخيار ٧: ٢٢٣ ذ ح ١٢.

٢- ٢ في بعض المصادر: لأهل الشرق والغرب.

٣- ٣ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩١ صدر ح ٢١١٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٩٠ ضمن ح ١، علل الشرائع: ٣٩٦ ب ١٣٤ ح ١،

روضة المتقين ٤: ٥، وسائل الشيعة ١٣: ٢٤١ ح ١٣، بحار الأنوار ٦: ٩٧ ضمن ح ٢، و ٥٧: ٦٤ ح ٣٩، و ٩٩: ٥٧ ح ١١.

٤- ٤ سورة الحج: ٢٥.

٥- ٥ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٤ صدر ح ٢١٢١، علل الشرائع: ٣٩٦ ب ١٣٥ ح ١، روضة المتقين ٤: ٢٠-٢١، وسائل الشيعة ١٣: ٢٦٨

ح ٣، بحار الأنوار ٩٩: ٨١ ح ٣١.

ص: ٢٤٥

مكة أن يجعلوا على دورهم أبواباً، وذلك أن الحاج ينزلون معهم في ساحة الدار حتى يقضوا حجهم (١).

٥- باب علّة وجوب الحجّ، والطواف بالبيت، وجميع المناسك (٢)

١- عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يتوب على آدم عليه السلام أرسل جبرئيل، فقال له: السلام عليك يا آدم، الصابر على بليّته، التائب عن خطيئته، إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك لأعلمك المناسك التي يريد أن يتوب عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتى أتى البيت، فنزلت عليه غمامة من السماء، فقال له جبرئيل: خطّ برجلك

١- ١ تهذيب الأحكام ٥: ٤٦٣ ح ٢٦١، وسائل الشيعة ١٣: ٢٦٩ ح ٥، ملاذ الأخيار ٨: ٥١٩ ح ٢٦١.

٢- ٢ لقد ذكر أمير المؤمنين على عليه السلام بعض علل الحجّ في خطبته المسمّاة «القاصعة» في نهج البلاغة: ٢٩٢-٢٩٤ خطبة رقم ١٩٢:

ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضرّ ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً. ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقلّ نتائق الدنيا مدرّاً، وأضيق بطون الأودية قطراً، بين جبال خشنة، ورمال دمثة، وعيون وشلة، وقرى منقطعة، لا يزكو بها خفّ، ولا حافر ولا ظلف. ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، وغاية لملقى رحالهم. تهوى إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار سحيقة، ومهاوى فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزّوا مناكبهم ذللاً يهلّلون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له. قد نبذوا السراويل وراء ظهورهم، وشوّهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم، ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصله إلى جنّته.

ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام، ومشاعره العظام، بين جنّات وأنهار، وسهل وقرار، جمّ الأشجار داني الثمار، ملتفّ البني، متّصل القرى، بين برّه سمراء، وروضة خضراء، وأريافٍ محدّقة، وعراضٍ مغدّقة، ورياضٍ ناضرة، وطرق عامرة، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء.

ولو كان الأساس المحمول عليها، والأحجار المرفوع بها، بين زمردة خضراء، وياقوتة حمراء، ونور وضياء، لخفف ذلك مصارعة الشكّ في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفي معتلج الريب من الناس، ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبدهم بأنواع المجاهد، وبتبليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحة إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه.

ص: ٢٤٦

حيث أظلك هذا الغمام.

ثم انطلق به حتى أتى به منى فأراه موضع مسجد منى، فخطه وخط المسجد الحرام بعدما خط مكان البيت.

ثم انطلق به إلى عرفات فأقامه على العرفة وقال له: إذا غربت الشمس فاعترف بذنبك سبع مرّات، ففعل ذلك آدم، ولذلك سمى العرفة؛ لأن آدم عليه السلام اعترف عليه بذنبه، فجعل ذلك سنة في ولده يعترفون بذنوبهم كما اعترف أبوهم، ويسألون الله عزّوجلّ التوبة كما سألتها أبوهم آدم عليه السلام (١).

ثم أمره جبرئيل عليه السلام فأفاض من عرفات، فمرّ على الجبال السبعة، فأمره أن يكبر على كل جبل أربع تكبيرات، ففعل ذلك آدم. ثم انتهى به إلى جمع ثلث الليل فجمع فيها بينصلاة المغرب وبينصلاة العشاء الآخرة، فلذلك سمى جمعاً؛ لأن آدم جمع فيها بينصلاتين، فوقت العتمة في تلك الليلة ثلث الليل في ذلك الموضع (٢).

ثم أمره أن يتبّطح في بطحاء جمع، فانبطح حتى انفجر الصبح.

ثم أمره أن يصعد على الجبل جبل جمع، وأمره إذا طلعت الشمس أن يعترف بذنبه سبع مرّات، ويسأل الله تعالى التوبة والمغفرة سبع مرّات، ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل وإنما جعل اعترافين ليكون سنة في ولده، فمن لم يدرك عرفات وأدرك جمعاً فقد وفي بحجّه، فأفاض آدم من جمع إلى منى فبلغ منى ضحى، فأمره أن يصلّي ركعتين في مسجد منى، ثم أمره أن يقرب إلى الله تعالى قرباناً ليتقبل الله منه ويعلم أن الله قد تاب عليه ويكون سنة في ولده القربان، فقرب آدم عليه السلام قرباناً فقبل الله منه قربانه، وأرسل الله عزّوجلّ ناراً من السماء فقبضت قربان آدم، فقال له

١-١ تقدّمت هذه الفقرة في أبواب ١ باب علّة تسمية عرفات ح ٢.

٢-٢ تقدّمت هذه الفقرة في باب علّة تسمية المزدلفة جمعاً ح ٥.

ص: ٢٤٧

جبرئيل عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى قد أحسن إليك إذ علّمك المناسك التي تاب عليك بها وقبل قربانك، فاحلق رأسك تواضعاً لله تعالى إذ قبل قربانك، فحلق آدم رأسه تواضعاً لله تبارك وتعالى.

ثم أخذ جبرئيل عليه السلام بيد آدم عليه السلام فانطلق به إلى البيت، فعرض له إبليس عند الجمره العقبة، فقال له: يا آدم، أين تريد؟ قال جبرئيل: يا آدم: ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة تكبيرة، ففعل ذلك آدم عليه السلام كما أمره جبرئيل، فذهب إبليس. ثم أخذ جبرئيل بيده في اليوم الثاني فانطلق به إلى الجمره الاولى فعرض له إبليس، فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة تكبيرة. ففعل ذلك آدم فذهب إبليس.

ثم عرض له عند الجمره الثانية، فقال له: يا آدم، أين تريد؟ فقال جبرئيل:

ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة. ففعل ذلك آدم فذهب إبليس.

ثم عرض له عند الجمره الثالثة، فقال له: يا آدم، أين تريد؟

فقال له جبرئيل عليه السلام: ارمه بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة تكبيرة. ففعل ذلك آدم فذهب إبليس.

ثم فعل ذلك به في اليوم الثالث والرابع فذهب إبليس، فقال له جبرئيل: إنك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً.

ثم انطلق به إلى البيت فأمره أن يطوف بالبيت سبع مرّات، ففعل ذلك آدم عليه السلام، فقال له جبرئيل: إنَّ الله تبارك وتعالى قد غفر لك، وقبل توبتك، وحلّت لك زوجتك (١).

٢- عن يحيى بن أبي العلاء الرازي أن رجلاً دخل على أبي عبد الله عليه السلام، فقال:

١- ١ علل الشرائع: ٤٠٠ ب ١٤٢ ح ١، بحار الأنوار ١١: ١٦٧ ح ١٥، و ٩٩: ٢٩ ح ٥.

ص: ٢٤٨

جعلت فداك، أخبرني عن قول الله تعالى: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)

، وأخبرني عن قول الله عزوجل لإبليس: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٢)

، وأخبرني عن هذا البيت كيف صار فريضه على الخلق أن يأتوه؟

قال: فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إليه وقال: ما سألتني عن مسألتك أحد قط قبلك، إن الله عزوجل لما قال للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ضَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: يَا رَبِّ، إِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ جَاعِلًا فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَاجْعَلْهُ مِنَّا مِمَّنْ يَعْمَلُ فِي خَلْقِكَ بِطَاعَتِكَ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣)

، فظنت الملائكة أن ذلك سخط من الله تعالى عليهم، فلاحذوا بالعرش يطوفون به، فأمر الله تعالى لهم ببيت من مرمر، سقفه ياقوته حمراء، وأساطينه الزبرجد، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم.

قال: «ويوم الوقت المعلوم» يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة فيموت إبليس ما بين النفخة الاولى والثانية (٤).

وأما «نون» فكان نهرًا في الجنة أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل، قال الله تعالى له: كن مدادًا، فكان مدادًا، ثم أخذ شجرة فغرسها بيده، ثم قال:

واليد القوة وليس بحيث تذهب إليه المشبهة (٥)، ثم قال لها: كوني قلمًا، ثم قال له: اكتب.

فقال له: يارب، وما أكتب؟

١-١ سورة القلم: ١.

٢-٢ سورة الحجر: ٣٧ و ٣٨، سورة ص: ٨٠ و ٨١.

٣-٣ سورة البقرة: ٣٠.

٤-٤ أخرجت هذه الفقرة في: تفسير البرهان ٣: ٣٦٥ ح ١، بحار الأنوار ٦: ٣٢٨ ح ١٠.

٥-٥ المشبهة: هم الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس الذي يوصف به الأجسام. فقالوا: إن لله تعالى بصراً كبصرنا، ويداً كأيدينا، وقالوا: إنه ينزل إلى السماء الدنيا من فوق، فهم يشبهون صفات الله بصفات المخلوقين. والمشبهة أصناف. «معجم الفرق الإسلامية: ٢٢٥».

ص: ٢٤٩

قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، ففعل ذلك، ثم ختم عليه، وقال: لا تنطقن إلى يوم الوقت المعلوم (١).

٣- عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما عليهما السلام أنه سئل عن ابتداء الطواف، فقال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قال للملائكة:

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَقَالَ مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ (٢)

، فوَقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عز وجل، وكان تبارك وتعالى نوره (٣) ظاهراً للملائكة، فلما وقعت الحجب بينه وبينهما علما أنه قد سخط قولهما، فقالا للملائكة: ما هيلتنا، وما وجه توبتنا؟

فقالوا: ما كنا نعرف لكما من التوبة إلا أن تلوذا بالعرش.

قال: فلاذا بالعرش حتى أنزل الله تعالى توبتهما ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما، وأحب الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الأرض، وجعل على العباد الطواف حوله، وخلق البيت المعمور في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة (٤).

٤- عن الفضل (٥) بن يونس، قال: كان ابن أبي العوجاء (٦) من تلامذة الحسن البصري فأنحرف عن التوحيد، فقيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة.

١- ١ علل الشرائع: ٤٠٢ ح ٢، بحار الأنوار ١١: ١٠٨ ح ١٧، و ٥٧: ٣٦٧ ح ٤، و ٩٩: ٣٢ ح ٧.

٢- ٢ سورة البقرة: ٣٠.

٣- ٣ قال المجلسي قدس سره: المراد بنوره تعالى إما الأنوار المخلوقة في عرشه، أو أنوار الأئمة صلوات الله عليهم، أو أنوار معرفته وفيضه وفضله، فالمراد بالحجب على الأخير الحجب المعنوية.

٤- ٤ علل الشرائع: ٤٠٢ ح ٣، بحار الأنوار ١١: ١٠٩ ح ٢٣، و ٩٩: ٣١ ح ٦.

٥- ٥ في من لا يحضره الفقيه والتوحيد والاحتجاج: عيسى.

٦- ٦ هو عبد الكريم بن أبي العوجاء، أحد الزنادقة في أواسط القرن الثاني للهجرة. انظر في ترجمته والحديث: الكنى والألقاب: ٣.

ص: ٢٥٠

فقال: إنصاحبي كان مخلطاً (١)، كان يقول طوراً بالقدر، وطوراً بالجبر، وما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه. قال: ودخل مكةً تمرّداً وإنكاراً على من يحجّ، وكان يكره العلماء مساءً لته إياهم ومجالسته لهم لخبث لسانه وفساد سريرته، فأتى جعفر بن محمد عليهما السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه، ثم قال له: يا أبا عبد الله، إن المجالس أمانات، ولا بدّ لكل من به سعال أن يسعل، أفتأذن لي في الكلام؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: تكلم بما شئت.

فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر (٢)، وتلوذون بهذا الحجر، وتعدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر (٣)، وتهرولون هرولة البعير إذا نفر، إن من فكر في الأمر قد علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا - ذى نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسسه ونظامه؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق (٤) فلم يستعذبه، وصار الشيطان وليه يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله تعالى به خلقه؛ ليختبر به طاعتهم في إتيانه فتحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام، وأحق من اطيع فيما أمر، وانتهى عمّا نهى عنه وزجر، الله المنشئ للأرواح والصور.

١- ١ أي لم يكن له رأى مستقيم، كان مرّة له رأى القدرية الذين يقولون بقدره العبد، ومرّة له رأى الجبرية بأن لا قدرة للعبد، وإذا تكلم بالجبر لم يدع قدرة العبد، وإذا تكلم بالاستطاعة لم يترك التوفيق من الله لعبد، أو لم يكن له مذهب مستقيم.

٢- ٢ البيدر: الموضع الذي يداس فيه الطعام.

٣- ٣ الطوب: الآجر. والمدر: قطع الطين اليابس.

٤- ٤ أي وجدته وخيماً ثقيلاً ولم يسهل عليه إساغته.



ص: ٢٥١

فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت يا أبا عبد الله فأحلت علي غائب.

فقال: ويلك وكيف يكون غائباً من هو في خلقه شاهد، وإليهم أقرب من جبل الوريد، يسمع كلامهم، ويرى أشخاصهم، ويعلم أسرارهم؟! وإنما المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه. فأما الله العظيم الشأن، الملك الديان، فإنه لا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان، والذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة وأيده بنصره، واختاره لتبليغ رسالاته صدقنا قوله بأن ربه بعثه وكلمه.

فقام عنه ابن أبي العوجاء فقال لأصحابه: من ألقاني في بحر هذا سألتكم أن تلتمسوا لي خمره فألقيتموني إلى جمره (١).

قالوا: ما كنت في مجلسه إلا حقيراً.

قال: إنه ابن من حلق رؤوس من ترون (٢). (٣) ٥- عن محمد بن سنان أن أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: إنَّ علَّة الحجاج الوفادة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة،

١- ١ الخمره: ما يخمر به وعكر النبيذ، وحصيرة صغيرة من السعف، والورس، وأشياء من الطيب تطلى به المرأة لتحسن وجهها، ولكل مناسبة.

أما الجمره: أي النار الموقدة.

٢- ٢ أي أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله كان في طالعه أو قدرته واستيلائه على قلوب العالمين كان بحيث حلق رؤوسهم، وحلق الرأس في العرب كان عاراً عظيماً لتكبرهم ونخوتهم لئلا يعلى على رؤوسهم، فإذا كان الأب بهذه القدرة فلا يستبعد أن أصير مغلوباً له.

٣- ٣ الكافي ٤: ١٩٧ ح ١، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٩ ح ٢٣٢٥، علل الشرائع: ٤٠٣ ح ٤، الأمل للصدوق: ٧١٤ ح ٤، التوحيد: ٢٥٣ ح ٤، الإرشاد للمفيد ٢: ١٩٩- باختلاف-، كنز الفوائد ٢: ٧٥، الاحتجاج ٢: ٢٠٦، روضة المتقين ٤: ١٤٥، بحار الأنوار ٣: ٣٣ ح ٧، و ١٠: ٢٠٩ ح ١١، و ٥٧: ٦٤ ح ٣٨، و ٨٤: ٥٧ ح ٨، مرآة العقول ١٧: ٢٢ ح ١.

ص: ٢٥٢

والخروج من كلّ ما اقترف، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذات، والتقرب في العبادة إلى الله عزّ وجلّ، والخضوع والاستكانة والذلّ، شاخصاً في الحرّ والبرد، والأمن والخوف، دائماً في ذلك دائماً وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرهبه إلى الله سبحانه وتعالى، ومنه ترك قساوة القلب، وخساسة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من في المشرق والمغرب ومن في البرّ والبحر، ممن يحجّ وممن لا يحجّ، من تاجر وجالب وبائع ومشتري، وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم. وعلمه فرض الحجّ مرّة واحدة؛ لأنّ الله تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم قوّة، فمن تلك الفرائض الحجّ المفروض واحد، ثمّ رغب أهل القوّة على قدر طاعتهم (١). (٢)

- ١-١ قال الشيخ الصدوق رحمه الله: جاء هذا الحديث هكذا والذي أعتدته وأفتى به أنّ الحجّ على أهل جدّة في كلّ عام فريضة:
- ١- حدّثنا محمد بن الحسن رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبي جرير القمّي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: الحجّ فرض على أهل جدّة في كلّ عام. [انظر: علل الشرائع: ٤٠٥، بحار الأنوار: ٩٩: ١١٣ ح ٢].
- ٢- وحدّثنا أحمد بن محمد، عن أبيه، عن محمد بن أحمد، عن السنديّ بن الربيع، عن محمد بن القاسم، عن أسد بن يحيى، عن شيخ من أصحابنا، قال: الحجّ واجب على من وجد السبيل إليه في كلّ عام. [انظر: علل الشرائع: ٤٠٥، بحار الأنوار: ٩٩: ١١٣ ح ٣].
- ٣- حدّثنا أحمد بن الحسن، قال: حدّثنا أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن محمد، عن عليّ بن مهزيار، عن عبد الله بن الحسين الميثمي، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ في كتاب الله تعالى فيما أنزل: ولله على الناس حج البيت - في كلّ عام - من استطاع إليه سبيلاً [سورة آل عمران: ٩٧]. [انظر: علل الشرائع: ٤٠٥، بحار الأنوار: ٩٩: ١١٣ ح ٤].
- ٢-٢ علل الشرائع: ٤٠٤ ح ٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٩٠، بحار الأنوار: ٩٩: ٣٢ ح ٨ و: ١١٣ ح ١.

ص: ٢٥٣

٦- عن هشام بن الحكم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: ما العلة التي من أجلها كلف الله العباد الحج والطواف بالبيت؟ فقال: إن الله تعالى خلق الخلق لا لعلمه، إلهائه شاء ففعل فخلقهم إلى وقت مؤجل، وأمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصالحهم في أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب ليتعارفوا، وليرتج كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكارى والجَمال، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى، ولو كان كل قوم إنما يتكلمون على بلادهم وما فيها هلكتها وخربت البلاد، وسقط الجلب (١) والأرباح، وعميت الأخبار، ولم تقفوا على ذلك، فذلك علة الحج (٢).

٧- عن محمد بن سنان أن الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسأله:  
عنه الطواف بالبيت أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ (٣)

فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب، فعلموا أنهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش فاستغفروا، فأحب الله تعالى أن يتعبد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمى الضراح، ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمى البيت المعمور بحذاء الضراح، ثم وضع هذا البيت بحذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به، فتاب الله عليه، وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة (٤).

١-١ الجلب: ما يجلب من خيل وغيرها.

٢-٢ علل الشرائع: ٤٠٥ ح ٦، وسائل الشيعة ١١: ١٤ ح ١٨، و ٢٧: ٩٧ ح ٦٦، بحار الأنوار ٩٩: ٣٣ ح ٩.

٣-٣ سورة البقرة: ٣٠.

٤-٤ علل الشرائع: ٤٠٦ ح ٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٩١، بحار الأنوار ١١: ١١٠ ح ٢٤، و ٥٨: ٥٨ ح ٥، و ٩٩: ٣٣ ح ١٠.

ص: ٢٥٤

٨- عن أبي حمزة الثمالي، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وهو جالس على الباب الذي إلى المسجد وهو ينظر إلى الناس يطوفون، فقال: يا أبا حمزة، بما امرؤ هؤلاء؟ قال: فلم أدر ما أرد عليه.

قال: إنما امرؤ أن يطوفوا بهذه الأحجار، ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم (١).

٩- عن عبد الرحمان بن الحجاج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل رمي صيداً في الحل وهو يؤم الحرم فيما بين البريد والمسجد فأصابه في الحل فمضى يرميه حتى دخل الحرم، فمات من رمية، هل عليه جزاء؟ فقال: ليس عليه جزاء، وإنما مثل ذلك مثل رجل نصب شركاً في الحل إلى جانب الحرم، فوقع فيه صيد فاضطرب حتى دخل الحرم، فمات فليس عليه جزاء؛ لأنه نصب وهو حلال، ورمى حيث رمى وهو حلال، فليس عليه فيما كان بعد ذلك شيء. فقلت: هذا عند الناس القياس.

فقال عليه السلام: إنما شئت لك شيئاً بشيء لتعرفه (٢).

١٠- عن خلاد، عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل ذبح حمامة من حمام الحرم، قال: عليه الفداء. قال: فيأكله.

قال: لا.

قال: فيطره.

١- ١ علل الشرائع: ٤٠٦ ح ٨ وسائل الشيعة ١٤: ٣٢٤ ح ٩، بحار الأنوار ٩٩: ٣٤ ح ١١.

وأورد قطعة منه في مجمع البيان ٦: ٨٥ بحار الأنوار ١٢: ٩٠.

٢- ٢ الكافي ٤: ٢٣٤ ح ١٢، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٦٠ ح ٢٣٦١، علل الشرائع: ٤٥٤ ح ٨ تهذيب الأحكام ٥: ٣٦٠ ح ١٢٥٢،

الاستبصار ٢: ٢٠٦ ح ٧٠٤، روضة المتقين ٤: ١٧٥، وسائل الشيعة ١٣: ٦٦ ح ٢ و: ٦٧ ح ٣، و: ٦٨ ح ٤، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٣ ح ٢٩،

مرآة العقول ١٧: ٨٨ ح ١٢، ملاذ الأخيار ٨: ٣١٢ ح ١٦٥.

ص: ٢٥٥

قال: إذن يكون عليه فداء آخر.

قال: فما يصنع به؟

قال: يدفنه (١).

١١- عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: مكّة والمدينة كسائر البلدان؟

قال: نعم.

قلت: قد روى عنك بعض أصحابنا أنك قلت لهم: أتمّوا بالمدينة بخمس.

فقال: إن أصحابكم هؤلاء كانوا يقدمون فيخرجون من المسجد عند الصلاة فكرهت ذلك لهم فلذلك قلته (٢).

١٢- عن معاوية، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن معي والدتي وهي وجعة.

فقال: قل لها فلتحرم من آخر الوقت، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل المغرب الجحفة.

قال: فأحرمت من الجحفة (٣).

١٣- قال إبراهيم الكرخي: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أحرم بحجة في غير أشهر الحج من دون الوقت الذي وقت رسول

الله صلى الله عليه وآله فقال: ليس إحرامه بشيء، إن أحب أن يرجع إلى منزله فليرجع ولا- أرى عليه شيئاً، وإن أحب أن يمضي

فليمض، فإذا انتهى إلى الوقت فليحرم منه ويجعلها عمرة، فإن ذلك أفضل

١- ١ الكافي: ٤: ٢٣٣ ح ٨، من لا- يحضره الفقيه ٢: ٢٥٩ ح ٢٣٥٦، علل الشرائع: ٤٥٤ ح ٩، تهذيب الأحكام ٥: ٣٧٨ ح ١٣١٩،

الاستبصار ٢: ٢١٥ ح ٧٣٩، روضة المتقين ٤: ١٧٢، وسائل الشيعة ١٢: ١٠٢ ح ١ و: ٤٣١ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ١٥٣ ح ٣٠، مرآة

العقول ١٧: ٨٧ ح ٨، ملاذ الأخيار ٨: ٣٤٧ ح ٢٣٢.

٢- ٢ علل الشرائع: ٤٥٤ ح ١٠، وسائل الشيعة ٨: ٥٣١ ح ٢٧، بحار الأنوار ٨٩: ٨٠ ح ٥.

٣- ٣ علل الشرائع: ٤٥٥ ح ١١، وسائل الشيعة ١١: ٣١٦ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ١٢٩ ح ١٥.

ص: ٢٥٦

عن رجوعه؛ لأنه أعلن الإحرام بالحجّ (١).

١٤- عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المحرم يشدّ على بطنه المنطقة التي فيها نفقته، قال: يستوثق منها، فإنها تمام الحجّة (٢).

١٥- عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في المحرم يأتي أهله ناسياً قال: لا شيء عليه إنما هو بمنزلة من أكل في شهر رمضان وهو ناس (٣).

٦- باب علّة جعل الطواف سبعة أشواط

١- عن أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: قلت: لم صار الطواف سبعة أشواط؟

قال عليه السلام: لأنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَرُدُّوا عَلَيَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ قَالَ اللَّهُ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٤)

وكان لا- يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة وجعله مثابة (٥) وأمناً، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور، فجعله مثابة للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكل ألف سنة شوطاً واحداً (٦).

١- ١ الكافي ٤: ٣٢١ ح ١، علل الشرائع: ٤٥٥ ح ١٢، تهذيب الأحكام ٥: ٥٢ ح ١٥٩، الاستبصار ٢: ١٦٢ ح ٥٣٠، وسائل الشيعة ١١:

٣١٩ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ١٢٩ ح ١٦، مرآة العقول ١٧: ٢٤٠ ح ١، ملاذ الأخيار ٧: ٢٨٧ ح ٥.

٢- ٢ الكافي ٤: ٣٤٣ ح ٢، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٤٦ ح ٢٦٤٦، علل الشرائع: ٤٥٥ ح ١٣، روضة المتقين ٤: ٤١٣، وسائل الشيعة ١٢:

٤٩١ ح ٢ وص ٤٩٢ ح ٥ و ٦، بحار الأنوار ٩٩: ١٤٤ ح ١٤، مرآة العقول ١٧: ٢٨٦ ح ٢.

٣- ٣ علل الشرائع: ٤٥٥ ح ١٤، وسائل الشيعة ١٠: ٥١ ح ٤، و ١٣: ١٠٩ ح ٧، بحار الأنوار ٩٩: ١٧١ ح ١١.

٤- ٤ سورة البقرة: ٣٠.

٥- ٥ مثابة: أي مرجعاً، أو محلاً لحصول الثواب.

٦- ٦ علل الشرائع: ٤٠٦ ب ١٤٣ ح ١، وسائل الشيعة ١٣: ٣٣١ ح ٢، بحار الأنوار ١١: ١١٠ ح ٢٥، و ٥٨: ٥٨ ح ٤، و ٩٩: ٢٠١ ح ٦.

ص: ٢٥٧

٢- عن أبي خديجة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مرّ بأبي عليه السلام رجل وهو يطوف فضرب بيده على منكبه، ثم قال: سألك عن خصال ثلاث لا يعرفهنّ غيرك وغير رجل آخر (١)، فسكت عنه حتى فرغ من طوافه، ثم دخل الحجر فصلّى ركعتين وأنا معه، فلما فرغ نادى: أين هذا السائل؟

فجاء وجلس بين يديه فقال له: سل، فسأله عن ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (٢).

فأجابه، ثم قال: حدّثني عن الملائكة حين ردّوا على الربّ حيث غضب عليهم وكيف رضى عنهم.

فقال: إنّ الملائكة طافوا بالعرش سبع سنين (٣) يدعونه ويستغفرونه ويسألونه أن يرضى عنهم فرضى عنهم بعد سبع سنين. فقال: صدقت.

ثم قال: حدّثني عن رضا الربّ عن آدم.

فقال: إنّ آدم انزل فنزل في الهند، وسأل ربّه تعالى هذا البيت فأمره أن يأتيه فيطوف به اسبوعاً ويأتي منى وعرفات فيقضى مناسكه كلّها، فجاء من الهند وكان موضع قدميه حيث يطأ عليه عمران، وما بين القدم إلى القدم صحارى ليس فيها شيء، ثم جاء إلى البيت فطاف اسبوعاً وأتى مناسكه فقضاها كما أمره الله، فقبل الله منه التوبة وغفر له.

قال: فجعل طواف آدم لهما طافت الملائكة بالعرش سبع سنين (٤)، فقال

١-١ قال المجلسي رحمه الله: لعل المراد بالرجل الآخر: الصادق عليه السلام.

٢-٢ سورة القلم: ١.

٣-٣ كذا في البحار، وهو الصحيح، وفي العلل: سبعة آلاف سنة.

٤-٤ قال المجلسي رحمه الله: أي كانت العلة في جعل طواف آدم وسيلة لقبول توبته طواف الملائكة قبل ذلك وتوسلهم بذلك إلى قبول التوبة، وفيه إيماء إلى علة عدد السبع أيضاً... ويمكن الجمع بين ما ورد في هذا الخبر من كون قبول توبتهم بعد سبع سنين وما ورد في خبر الثمالتي... من سبعة آلاف سنة بحمل هذا على أصل القبول، وحمل ذلك على كماله. ثم إنّ هذا الخبر يدلّ على أنّ الملائكة كانوا يظهرون لائمتنا عليهم السلام وينافيه بعض الأخبار.

ص: ٢٥٨

جبرئيل: هنيئاً لك يا آدم، قد غفر لك، لقد طفئت بهذا البيت قبلك بثلاثة آلاف سنة. فقال آدم: يارب، اغفر لي ولذريتي من بعدى.  
فقال: نعم، من آمن منهم بي وبرسلي.

فقال: صدقت، ومضى.

فقال أبي عليه السلام: هذا جبرئيل أتاكم يعلمكم معالم دينكم (١).

٧- باب علّة الطواف حول الحجر

١- عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن إسماعيل دفن أمه في الحجر وجعله علياً، وجعل عليها حائطاً لئلا يوطأ

قبرها (٢). (٣) ٢- عن معاوية بن عمّار، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شيء من البيت؟

فقال: لا، ولا قلامه ظفر، ولكنّ إسماعيل عليه السلام دفن أمه فيه فكره أن توطأ فحجّر عليه حجراً. وفيه قبور أنبياء (٤).

٣- وصار الناس يطوفون حول الحجر ولا يطوفون فيه؛ لأنّ أمّ إسماعيل دُفنت في الحجر، ففيه قبرها، فطيف كذلك كيلا يوطأ قبرها

(٥).

١- ١ علل الشرائع: ٤٠٧ ح ٢، بحار الأنوار ١١: ١٦٩ ح ١٧، و ٢٦: ٣٥١ ح ٢، و ٩٩: ٢٠١ ح ٧.

٢- ٢ في الكافي: دفن أمه في الحجر وحجر عليها لئلا يوطأ قبر أمّ إسماعيل في الحجر.

٣- ٣ الكافي ٤: ٢١٠ ح ١٣، علل الشرائع: ٣٧ ب ٣٤ ح ١، قصص الأنبياء للراوندي: ١١١ ح ١٠٨، وسائل الشيعة ١٣: ٣٥٣ ح ٢، بحار

الأنوار ١٢: ١٠٤ ح ١٣، روضة المتقين ٤: ١٧، مرآة العقول ١٧: ٤٦ ح ١٣.

٤- ٤ الكافي ٤: ٢١٠ ح ١٥، مدارك الأحكام ٨: ١٢٨-١٢٩، روضة المتقين ٤: ١٧، وسائل الشيعة ١٣: ٣٥٣ ح ١، بحار الأنوار ١٢:

١١٧ ح ٥٥، مرآة العقول ١٧: ٤٧ ح ١٥.

وروى صدره في: تهذيب الأحكام ٥: ٤٦٩ ح ٢٨٩، وسائل الشيعة ٥: ٢٧٦ ح ٢، ملاذ الأخيار ٨: ٥٣٠ ح ٢٨٩.

وروى ذيله في: من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٣ ح ٢١١٧، وسائل الشيعة ١٣: ٣٥٥ ح ٦.

٥- ٥ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٣ ح ٢١١٦، روضة المتقين ٤: ١٦، وسائل الشيعة ١٣: ٣٥٤ ح ٥.



ص: ٢٥٩

٨- باب علّة جعل العمرة واجبة على الناس بمنزلة الحجّ

١- عن معاوية بن عمّار الدهنّي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحجّ من استطاع؛ لأنّ الله تعالى يقول: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ (١)

وإنّما نزلت العمرة بالمدينة، وأفضل العمرة عمرة رجب (٢).

٢- عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ العمرة واجبة بمنزلة الحجّ؛ لأنّ الله يقول: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ هي واجبة مثل الحجّ، ومن تمتّع أجزأته، والعمرة في أشهر الحجّ متعة (٣).

٩- باب علّة جواز المسواك للمحرم

١- عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: المحرم يستاك؟ قال: نعم.

قلت: فإن أدمى، يستاك؟

قال: نعم، هو من السنّة (٤). (٥) ١٠- باب علّة كراهية لبس الطيلسان (٦) المزوّر للمحرم

١- عن عبيد الله الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: وجدنا في كتاب

١- ١ سورة البقرة: ١٩٦.

٢- ٢ تفسير العياشي ١: ٨٨ ح ٢٢٣، علل الشرائع: ٤٠٨ ب ١٤٤ ح ١، دعائم الإسلام ١: ٣٤٢ ح ١٣٨٣ وذ ح ١٣٨٦، بحار الأنوار ٩٩: ٣٣١ ح ٢ و: ٣٣٢ ح ٨ و ١١ و: ٣٣٣ ذ ح ١٣.

٣- ٣ تفسير العياشي ١: ٨٧ ح ٢١٩، بحار الأنوار ٩٩: ٩٧ ح ١١ و: ٣٣٢ ح ١٠.

٤- ٤ قال الكليني رحمه الله: وروى أيضاً: لا يستدمى؛ أي إن أمكنه، لا بأن يترك السواك إذا لم يمكن بدون الإدماء.

كما روى الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام ٥: ٣١٣ ح ٧٦ عن الحلبيّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المحرم يستاك؟ قال: نعم، ولا يدمى. أي يسعى في الرفق حتّى لا يدمى. عنه وسائل الشيعة ١٢: ٥٣٤ ح ٣.

٥- ٥ الكافي ٤: ٣٦٦ ح ٦، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٤٧ ح ٢٦٥٠، علل الشرائع: ٤٠٨ ب ١٤٥ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٤١٦، وسائل الشيعة ١٢: ٥٣٢ ح ٤ و: ٥٦١ ب ٩٢ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ١٨٠ ح ٢، مرآة العقول ١٧: ٣٣١ ح ٦.

٦- ٦ قيل: الطيلسان: ثوب منسوج محيط بالبدن. وقيل: شبه الأردية يوضع على الرأس والكتفين والظهر.

ص: ٢٦٠

جدى عليه السلام: لا يلبس المحرم طيلساناً مززراً، فذكرت ذلك لأبي، فقال: إنما فعل ذلك كراهية أن يزوره عليه الجاهل، فأما الفقيه فإنه لا بأس أن يلبسه (١).

١١- باب علّة عدم استحباب الهدى إلى الكعبة، وما يجب أن يعمل بما قد جعل هدياً للكعبة

١- جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ عليهم السلام، قال: لو كان لى واديان يسيلان ذهباً وفضّة ما أهديت إلى الكعبة شيئاً؛ لأنه يصير إلى الحجة دون المساكين (٢).

٢- وإنما لا يستحب الهدى إلى الكعبة؛ لأنه يصير إلى الحجة دون المساكين (٣).

٣- عن عليّ بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام، قال: سألته عن رجل جعل ثمن جاريته هدياً للكعبة كيف يصنع بها؟ فقال: إن أبي عليه السلام أتاه رجل قد جعل جاريته هدياً للكعبة فقال له: قوم الجارية أو بعها، ثم مر منادياً يقوم على الحجر فينادى: ألا من قصرت نفقته أو قطع به طريقه أو نفذ طعامه، فليات فلان بن فلان، ومره أن يعطى أولاً فأولاً حتى ينفد ثمن الجارية (٤).

١- ١ الكافي ٤: ٣٤٠ ح ٧ و ٨ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٣٨ ح ٢٦١٤، علل الشرائع: ٤٠٨ ب ١٤٦ ح ١، روضة المتقين ٤: ٤٠٠، وسائل الشيعة ١٢: ٤٧٥ ح ٢ و ٣، بحار الأنوار ٩٩: ١٤٤ ح ١٣، مرآة العقول ١٧: ٢٨٠ ح ٧ و: ٢٨١ ح ٨.

٢- ٢ علل الشرائع: ٤٠٨ ب ١٤٧ ح ١، روضة المتقين ٤: ١٩، وسائل الشيعة ١٣: ٢٥٥ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ٦٧ ح ٥.

٣- ٣ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٣ ضمن ح ٢١١٩، روضة المتقين ٤: ١٩، وسائل الشيعة ١٣: ٢٥٥ ح ١.

٤- ٤ قرب الاسناد: ٢٤٦ ح ٩٧١، الكافي ٤: ٢٤٢ ح ٢ وص ٥٤٣ ح ١٨، علل الشرائع: ٤٠٩ ح ٢، تهذيب الأحكام ٥: ٤٤٠ ح ١٧٥ و: ٤٨٣ ح ٣٦٤، و ٩: ٢١٤ ح ٢٠، روضة المتقين ٤: ١٩، وسائل الشيعة ١٣: ٢٤٧ ب ٢٢ ح ١ و: ٢٤٨ ح ٢، و: ٢٥٠ ح ٧، و ١٩: ٣٩٢ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ٦٨ ح ٦ و صدر ح ٩، مرآة العقول ١٧: ١٠٤ ح ٢، و ١٨: ٢٤٩ ح ١٨، ملاذ الأخيار ٨: ٤٦٦ ح ١٧٥ و: ٥٦٠ ح ٣٦٤، و ١٥: ١٢٣ ح ١٨.

ص: ٢٤١

٤- عن حريز، قال: أخبرني ياسين، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن قوماً أقبلوا من مصر، فمات رجل فأوصى إلى رجل بألف درهم للكعبة، فلما قدم الوصي مكة سأل عن ذلك فدلوه على بنى شيبه، فأتاهم فأخبرهم الخبر، فقالوا: قد برئت ذمتك ادفعتها إلينا، فقام الرجل فسأل الناس فدلوه على أبي جعفر محمد ابن علي عليهما السلام.

قال أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام: فأتاني فسألني فقلت له: إن الكعبة غتية عن هذا، انظر إلى من أم هذا البيت وقطع، أو ذهبت نفقته، أو ضلت راحلته، أو عجز أن يرجع إلى أهله، فادفعها إلى هؤلاء الذين سميت لك.

قال: فأتى الرجل بنى شيبه فأخبرهم بقول أبي جعفر عليه السلام فقالوا: هذا ضال مبتدع ليس يؤخذ عنه ولا علم له، ونحن نسألك بحق هذا البيت وبحق كذا وكذا لما أبلغته عنا هذا الكلام.

قال: فأتيت أبا جعفر عليه السلام فقلت له: لقيت بنى شيبه فأخبرتهم فزعموا أنك كذا وكذا، وأنتك لا علم لك، ثم سألوني بالله العظيم لما أبلغك ما قالوا.

قال: وأنا أسألك بما سألوك لما أتيتهم فقلت لهم: إن من علمي لو وليت شيئاً من أمور المسلمين لقطعت أيديهم ثم علقتها في أستار الكعبة، ثم أقمته على المضطبة (١)، ثم أمرت منادياً ينادي: ألا إن هؤلاء سراق الله فاعرفوهم (٢).

٥- عن أبي الحرّ - أبو أبي الحسن -، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: جاء رجل إلى أبي جعفر فقال: إنني أهديت جارية إلى الكعبة فاعطيت بها خمسمائة دينار فما ترى؟

قال: بعها، ثم خذ ثمنها، ثم قم على هذا الحائط - يعني الحجر -، ثم ناد وأعط

١- ١ المضطبة - بالتشديد -: مجتمع الناس، وهي أيضاً شبه الدكان، يجلس عليها ويؤتى بها الهوام من الليل. «النهاية لابن الأثير ٣: ٢٨ - صطب».

٢- ٢ الكافي ٤: ٢٤١ ح ١، علل الشرائع: ٤٠٩ ح ٣، تهذيب الأحكام ٩: ٢١٢ ح ١٨، وسائل الشيعة ١٣: ٢٤٩ ح ٦، بحار الأنوار ٩٩: ٦٦ ح ١، مرآة العقول ١٧: ١٠٣ ح ١، ملاذ الأخيار ١٥: ١٢١ ح ١٦.

ص: ٢٤٢

كَلَّ منقطع به وكلَّ محتاج من الحاج (١).

٤- عن سعيد بن عمر الجعفي، عن رجلٍ من أهل مصر، قال: أوصى أخى بجارية كانت له مغنّيةً فارههً وجعلها هدياً لبيت الله الحرام، فقدمت مكّة فسألته، فقيل لي: ادفعها إلى بنى شيبه، وقيل لي غير ذلك من القول فاختلف على فيه، فقال لي رجل من أهل المسجد: ألا ارشدك إلى من يرشدك إلى الحقّ؟

قلت: بلى.

قال: فأشار إلى شيخ جالس في المسجد فقال: هذا جعفر بن محمد عليهما السلام فأسأله.

قال: فأتيته فسألته وقصصت عليه القصّة، فقال: إنّ الكعبه لا تأكل ولا تشرب وما أهدى لها فهو لزوّارها، فبع الجارية، وقم على الحجر فناد: هل من منقطع به؟ وهل من محتاج من زوّارها؟ فإذا أتوك فسل عنهم (٢) وأعطهم واقسم فيهم ثمنها. قال: فقلت له: إنّ بعض من سألته أمرني بدفعها إلى بنى شيبه، فقال: أما إنّ قائمنا لو قد قام لقد أخذهم وقطع أيديهم وطاف بهم، وقال: هؤلاء سراق الله (٣).

٧- عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، بإسناده عن بعض أصحابنا،

- ١- ١ الكافي ٤: ٢٤٢ و: ٥٤٥ ح ٢٤، علل الشرائع: ٤٠٩ ح ٤، تهذيب الأحكام ٥: ٤٨٦ ح ٣٨٠، روضة المتقين ٤: ١٩، وسائل الشيعة ١٣: ٢٥٠ ح ٨، بحار الأنوار ٩٩: ٦٧ ح ٤، مرآة العقول ١٧: ١٠٥ ح ٣، و ١٨: ٢٥٢ ح ٢٤، ملاذ الأخيار ٨: ٥٦٧ ح ٣٨٠.
- ٢- ٢ أي: سل الناس عنهم هل يصدقون فيما يدعون، فيدلّ على عدم جواز الاعتماد على ادّعاء الفقر بغير بيّنة.
- ٣- ٣ الكافي ٢: ٢٤٢ ح ٤، علل الشرائع: ٤١٠ ح ٥، تهذيب الأحكام ٩: ٢١٣ ح ١٩، وسائل الشيعة ١٣: ٢٥١ ح ٩، بحار الأنوار ٩٩: ٦٧ ح ٣، مرآة العقول ١٧: ١٠٥ ح ٤، ملاذ الأخيار ١٥: ١٢٢ ح ١٧.
- وأورد قطعاً منه في: من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٤ ضمن ح ٢١١٩، روضة المتقين ٤: ١٩.
- وروى ذيله في: الإرشاد للمفيد ٢: ٣٨٣، الغيبة للطوسي: ٤٧٢ ح ٤٩٢، روضة الواعظين: ٢٦٥، إعلام الوري ٢: ٢٨٩، بحار الأنوار ٥٢: ٣١٧ ح ١٤ و: ٣٧٣ ح ١٦٨.

ص: ٢٦٣

قال: دفعت إلى امرأة غزلاً وقالت لي: ادفعه بمكّة ليخاط به كسوة الكعبة، فكرهت أن أدفعه إلى الحجة وأنا أعرفهم، فلما صرت إلى المدينة دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، إن امرأة أعطتني غزلاً وأمرتني أن أدفعه بمكّة ليخاط به كسوة الكعبة، فكرهت أن أدفعه إلى الحجة.

فقال: اشتر به عسلاً وزعفراناً وخذ طين قبر أبي عبدالله عليه السلام واعجنه بماء السماء واجعل فيه شيئاً من العسل والزعفران وفرقه على الشيعة ليداووا به مرضاهم (١). (٢) ١٢- باب علّة وجوب التمتع بالعمرة إلى الحجّ دون القران والافراد

١- عن عبيدالله بن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن الحجّ متصل بالعمرة؛ لأنّ الله عزّوجلّ يقول: فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ (٣)

فليس ينبغي لأحد إلّا أن يتمتّع؛ لأنّ الله عزّوجلّ أنزل ذلك في كتابه وسنّه رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم (٤).

١٣- باب علّة غسل دخول البيت

١- عن عبيدالله بن عليّ الحلبيّ، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: أتغتسل النساء إذا أتين البيت؟ قال: نعم، إن الله عزّوجلّ يقول: أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ

١- ١ قال الشيخ الحرّ العامليّ رحمه الله: لعلّ المراد على حجّاج الشيعة المحتاجين على أنّ ذلك الدواء لا يستعمل إلّا مع الحاجة والضرورة، أو لعلّه مخصوص بهذه الصورة أو بالماء القليل جدّاً الذي لا يمكن قسمته على المحتاجين كالغزل المذكور.

٢- ٢ الكافي ٤: ٢٤٣ ح ٥، علل الشرائع: ٤١٠ ح ٦، روضة المتّقين ٤: ٢٠، وسائل الشيعة ١٣: ٢٥٢ ح ١٠، بحار الأنوار ٩٩: ٦٨ ح ٧، مرآة العقول ١٧: ١٠٦ ح ٥.

٣- ٣ سورة البقرة: ١٩٦.

٤- ٤ علل الشرائع: ٤١١ ب ١٤٩ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٢٥ ح ٤، الاستبصار ٢: ١٥٠ ح ٤٩٣، وسائل الشيعة ١١: ٢٤٠ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ٩١ ح ١٠، ملاذ الأخيار ٧: ٢٢٩ ح ٤.

ص: ٢٦٤

السُّجُودِ (١)

، فينبغي للعبد أن لا يدخل إلّا وهو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى وتطهّر (٢). (٣) ١٤- باب علّة الرَّمَلِ (٤) بالبيت

١- عن زرارة أو محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الطواف أيرمل فيه الرجل؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أن قدم مكة وكان بينه وبين المشركين الكتاب الذي قد علمتم، أمر الناس أن يتجلّدوا، وقال: أخرجوا أعضادكم، وأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله عضديه ثم رمل بالبيت ليريهم أنهم لم يصبهم جهد، فمن أجل ذلك يرمل الناس، وإنّي لأمشى مشياً، وقد كان عليّ بن الحسين عليه السلام يمشى مشياً (٥).

٢- عن يعقوب الأحمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لما كان في غزوة الحديبية وادع رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكة ثلاث سنين، ثم دخل ففضى نسكه، فمرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من أصحابه جلوس في فناء الكعبة، فقال: هؤلاء قومكم على رؤوس الجبال لا يرونكم فيرونكم ضعفاً، قال: فقاموا فشدّوا ازهم وشدّوا أيديهم على أوساطهم ثم رملوا (٦).

١- ١ سورة البقرة: ١٢٥.

٢- ٢ مراده عليه السلام: أنّه تعالى أراد بتطهيرهما للبيت أمرهما الناس بالاغتسال، والظاهر أنّ المراد أنّ الله تعالى لما أراد بتطهير البيت لكم إعظاماً وإكراماً فينبغي أن تتطهروا أيضاً تعظيماً له.

٣- ٣ الكافي ٤: ٤٠٠ ح ٣، علل الشرائع: ٤١١ ب ١٥١ ح ١، تهذيب الأحكام ٥: ٩٨ ح ٦ و: ٢٥١ ح ١٢، وسائل الشيعة ١٣: ٢٠٠ ح ٣ و: ٢٨١ ح ١، و ١٤: ٢٤٧ ح ٣، بحار الأنوار ٩٩: ٣٦٩ ح ٣، مرآة العقول ١٨: ٩ ح ٣، ملاذ الأخيار ٧: ٣٧٣ ح ٦، و ٨: ١٠٥ ح ١٢.

٤- ٤ الرَّمَل: هو الهرولة، وهو إسراع المشى مع تقارب الخطأ. «مجمع البحرين ٥: ٣٨٥- رمل».

٥- ٥ علل الشرائع: ٤١٢ ب ١٥٢ ح ١، وسائل الشيعة ١٣: ٣٥١ ح ٢، بحار الأنوار ٩٩: ١٩٥ ح ٥.

٦- ٦ علل الشرائع: ٤١٢ ح ٢، وسائل الشيعة ١٣: ٣٥٢ ح ٣، بحار الأنوار ٩٩: ١٩٥ ح ٥.

ص: ٢٦٥

١٥- باب علّة عدم تمتّع النبيصلى الله عليه وآله وسلم بالعمرة إلى الحجّ، وأمر بالتمتّع

١- عن الحلبيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: خرج رسول الله حين حجّ حجّة الوداع خرج في أربع بقين من ذى القعدة حتّى أتى مسجد الشجرة فصلى بها، ثمّ قاد راحلته حتّى أتى البيداء فأحرم منها (١) وأهلّ بالحجّ وساق مائة بدنة وأحرم الناس كلّهم بالحجّ لا يريدون عمرة، ولا يدرون ما المتعة، حتى إذا قدم رسول الله مكّة طاف بالبيت وطاف الناس معه ثمّ صلى ركعتين عند مقام إبراهيم واستلم الحجر، ثمّ أتى زمزم، فشرب منها وقال: لولا أن أشقّ على امتي لاستقيت منها ذنوباً أو ذنوبين (٢)، ثمّ قال: ابدؤا بما بدأ الله عزّوجلّ به، فأتى الصفا فبدأ به، ثمّ طاف بين الصفا والمروة سبعاً.

فلما قضى طوافه عند المروة قام فخطب أصحابه وأمرهم أن يحلّوا ويجعلوها عمرة، وهو شيء أمر الله عزّوجلّ به، فأتى الصفا فبدأ به، فأحلّ الناس. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم، ولكن لم يكن يستطيع أن يحلّ من أجل الهدى الذي معه، إنّ الله عزّوجلّ يقول: وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ (٣).

فقام سراقه بن مالك بن جعشم الكنانيّ، فقال: يا رسول الله، علمتنا ديننا كأنّا خلقنا اليوم، رأيت هذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أم لكلّ عام؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا، بل للأبد.

وإنّ رجلاً (٤) قام، فقال: يا رسول الله، نخرج حجّاجاً ورؤوسنا تقطر من النساء؟

١-١ لعل المراد بالإحرام هنا عقد الإحرام بالتلبية، أو إظهار الاحرام وإعلامه لئلا ينافى الأخبار المستفيضة الدالة على أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أحرم من مسجد الشجرة.

٢-٢ الذنوب: الدلو العظيمة؛ وقيل: لا تسمى ذنوباً إلّا إذا كان فيها ماء.

٣-٣ سورة البقرة: ١٩٦.

٤-٤ هو عمر بن الخطّاب.

ص: ٢٦٦

فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله: إنك لن تؤمن بها أبداً.

وأقبل عليّ عليه السلام من اليمن حتّى وافى الحجّ فوجد فاطمة عليها السلام قد أحلت، ووجد ريح الطيب، فانطلق إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله مستفتياً ومحرشاً (١) على فاطمة عليها السلام.

فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ، بأيّ شيء أهلت؟

فقال: أهلت بما أهلّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: لا تحلّ أنت، وأشركه في هديه، وجعل له من الهدى سبعاً وثلاثين (٢)، ونحر رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً وستين نحرها بيده، ثم أخذ من كلّ بدنة بضعة (٣) فجعلها في قدر واحد، ثم أمر به فطبخ، فأكلا منها وحسوا من المرق، فقال: قد أكلنا الآن منها جميعاً، فالمتعة أفضل من القارن السائق الهدى وخير من الحجّ المفرد، وقال: إذا استمتع الرجل بالعمرة، فقد قضى ما عليه من فريضة المتعة.

وقال ابن عباس: دخلت العمرة في الحجّ إلى يوم القيامة (٤).

٢- عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع لما فرغ من السعي قام عند المروة فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الناس، هذا جبرئيل - وأشار بيده إلى خلفه - يأمرني أن أمر من لم يسق هدياً أن يحلّ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت (٥) لفعلت كما

١- ١ أى مغضباً. والمراد هنا نوع عتابه لها، وهذه اللفظة ليست في أخبارنا، بل هي في أخبار العامة.

٢- ٢ لعل أحد الخبرين في العدد محمول على التقيّة أو نشأ من سهو الرواة.

٣- ٣ البضعة: القطعة من اللحم.

٤- ٤ الكافي ٤: ٢٤٨ ح ٦، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٣٦ ح ٢٢٨٨، علل الشرائع: ٤١٢ ب ١٥٣ ح ١، روضة المتّقين ٤: ١١٧، وسائل

الشيعة ١١: ٢٢٢ ح ١٤، بحار الأنوار ٢١: ٣٩٥ ح ١٨، و ٩٩: ٨٨ ح ٦، و ٨٩: ٧ ح ٧، و ٢٤٢ ح ١، مرآة العقول ١٧: ١١٦ ح ٦.

٥- ٥ أى لو عنّ لى هذا الرأى الذى رأيتة آخراً وأمرتكم به فى أوّل أمرى، لما سقت الهدى معى وقلّدتة وأشعرتة، فإنّة إذا فعل ذلك لا يحلّ حتّى ينحر، ولا ينحر إلّايوم النحر، فلا يصحّ له فسخ الحجّ بعمرة، ومن لم يكن معه هدىّ فلا يلتزم هذا، ويجوز له فسخ الحجّ. وإّما أراد بهذا القول تطيب قلوب أصحابه؛ لأنّنه كان يشقّ عليهم أن يحلّوا وهو محرّم، فقال لهم ذلك لئلا يجدوا فى أنفسهم، وليعلموا أنّ الأفضل لهم قبول ما دعاهم إليه، وأنّنه لولا الهدىّ لفعلته. «النهاية لابن الأثير ٤: ١٠- قبل».



ص: ٢٦٧

أمرتكم، ولكنتي سقت الهدى وليس لسائق الهدى أن يحلّ حتى يبلغ الهدى محلّه، فقام إليه سراقه بن مالك بن جعثم الكناني، فقال: يارسول الله، علمنا ديننا فكأننا خلقنا اليوم، رأيت هذا الذي أمرتنا به لعامنا أم لكل عام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا، بل للأبد.

وإن رجلاً قام، فقال: يارسول الله، نخرج حجّاجاً ورؤوسنا تقطر من النساء (١)؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنك لن تؤمن بها أبداً (٢).

٣- عن فضيل بن عياض، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الناس في الحجّ فبعضهم يقول: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهتماً بالحجّ، وقال بعضهم: مهلاً بالعمرة، وقال بعضهم: خرج قارناً، وقال بعضهم: خرج ينتظر أمر الله عزّ وجلّ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: اعلم الله عزّ وجلّ أنّها حجّة لا يحجّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدها أبداً فجمع الله عزّ وجلّ له ذلك كله في سفره واحدة ليكون جميع ذلك سنةً لأمته، فلما طاف بالبيت وبالصفا والمرّوة أمره جبرئيل عليه السلام أن يجعلها عمرة إلامن كان معه هدى فهو محبوس على هديه لا يحلّ لقوله عزّ وجلّ: حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ (٣) فجمعت له العمرة والحجّ، وكان خرج على خروج العرب الاوّل؛ لأنّ العرب كانت

١- ١ أي من ماء غسل الجنابة، وقد قال ذلك تقيحاً وتشنيعاً على ما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم به.

٢- ٢ الكافي ٤: ٢٤٦ ضمن ح ٤، علل الشرائع: ٤١٣ ح ٢، تهذيب الأحكام ٥: ٤٥٥ ضمن ح ٢٣٤، مستطرفات السرائر: ٢٢ ح ٣، وسائل الشيعة ١١: ٢١٤ ضمن ح ٤ و: ٢١٨ ح ٥، بحار الأنوار ٩٩: ٩٠ ح ٨، مرآة العقول ١٧: ١١٢ ضمن ح ٤، ملاذ الأخيار ٨: ٥٠٠ ضمن ح ٢٣٤.

٣- ٣ سورة البقرة: ١٩٦.

ص: ٢٦٨

لا- تعرف إلّا الحجّ وهو في ذلك ينتظر أمر الله تعالى، وهو يقول عليه السلام: «الناس على أمر جاهليّتهم إلّا ما غيرهم الإسلام» وكانوا لا يرون العمرة في أشهر الحجّ فشقّ على أصحابه حين قال: اجعلوها عمرة لأنهم كانوا لا يعرفون العمرة في أشهر الحجّ، وهذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّما كان في الوقت الذي أمرهم فيه بفسخ الحجّ فقال: دخلت العمرة في الحجّ إلى يوم القيامة وشبّك بين أصابعه- يعني في أشهر الحجّ- قلت: أفيعدّ بشيء من أمر الجاهلية؟

فقال: إنّ أهل الجاهلية ضيّعوا كلّ شيء من دون إبراهيم عليه السلام إلّا الختان والتزويج فإنّهم تمسكوا بها ولم يضيّعوها (١).

١٦- باب علّة عدم عدوبة ماء زمزم وصار غوراً

١- عن ابن عقبة، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كانت زمزم أبيض من اللبن، وأحلى من الشهد، وكانت سائحة، فبغت على المياه (٢)، فأغارها الله عزّ وجلّ، وأجرى إليها عيناً منصبر (٣).

### تعليق على رسالة ابن باز

١- ١ علل الشرائع: ٤١٤ ح ٣، بحار الأنوار ٩٩: ٩٠ ح ٩.

٢- ٢ قال المجلسي قدس سره: يدلّ بظاهره على أنّ للجّمادات شعوراً ما، ويمكن أن يكون المراد بغى أهلها بحذف المضاف كقوله: وأسأل القرية [سورة يوسف: ٨٢] أو يكون كناية عن أنّها لما كانت لشرافتها مفضّلة على سائر المياه، نقص من طعامها للعدل بينها، فكأنّها بغت لفضلها.

٣- ٣ المحاسن للبرقي ٢: ٤٠٠ ح ٢٢، الكافي ٦: ٣٨٦ ح ١، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٥ ضمن ح ٢١٢١، علل الشرائع: ٤١٥ ب ١٥٤ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٢٢، بحار الأنوار ٦٦: ٤٤٩ ح ١٠، و ٩٩: ٢٤٢ ح ٢ و ٣، مرآة العقول ٢٢: ٢٣٧ ح ١.

ص: ٢٦٩

تعليق على رسالة ابن باز

حسن السقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضى الله عن صحابته المتقين.

أما بعد: فقد قرأت ذلك الكتيب الذي حوى رسالتين إحداهما لفضيلة الشيخ العلامة محمد واعظ زاده الخراساني والثانية للشيخ العلامة ابن باز الحنبلي، وكان الشيخ العلامة واعظ زاده قد بدأ فوجّه رسالته إلى الشيخ ابن باز ناقشه بأدب جم في قضيتين: الأولى: قضية تعبير الوهابيين في مسألة التوسل والاستغاثة واستلام الجدران والأبواب بأنها وسيلة للشرك.

والثانية: في قضية افتاء الشيخ ابن باز بجواز الصلح مع اليهود!!

وقد أرسل فضيلة الخراساني رسالته للشيخ ابن باز سنة ١٤١٣ هـ، ولم يجب عليها الشيخ ابن باز إلا بعد سنتين وبضعة أشهر بعد أن نشر الشيخ الخراساني رسالته!! فأجاب الشيخ ابن باز عن القضية الأولى وسكت عن الثانية فلم يجب عنها!! وقد طبعت الرسالتان في كتيب واحد ووصلتني نسخة منه، وبعد قراءتها

ص: ۲۷۰

أحببت التعلیق والتعقیب علی بعض ما جاء فی رسالۃ الشیخ ابن باز، واللّه الهادی إلی الصواب:  
فأقول:

أقرّ فضیلۃ الشیخ ابن باز فی مقدمه کلامه بعد أن ذکر شیئاً من کلام فضیلۃ الشیخ الخراسانی أنّ التبرک بما مسّ جسده علیہ الصلاة والسلام من وضوء أو عرق أو شعر أو نحو ذلك أمر معروف وجائز عند الصحابة رضی اللّٰه تعالیٰ عنهم وأتباعهم، وأقرّ أيضاً بأنّ استلام الحجر الاسود وتقبيله واستلام الركن اليماني كذلك.

وهنا ننبه علی شیئین:

الأول: أنه بذلك ثبت إقراره بأنّ التمسح بالحجارة فی هذين الموضوعين دون غيرهما، والتي وصفها بأنها لا تضر ولا تنفع هو إقرار بقاعدة عظيمة، وهي أنّ التمسح والتبرک إذا لم یقترن معه اعتقاد تأثير الممسوح المستلم لم یکن شركاً ولا کفراً ولا بدعاً ولا یجب سد الذریعة فیها، ولا یتحوّل ذلك إلی کفر وشرك إلا إذا قارن ذلك أو أضيف له اعتقاد التأثير أی الضر والنفع!!

وهنا نسأل الشیخ ابن باز مؤکدین هذه القضية هل تعتبر شرعاً من استلم هذين الحجرين معتقداً أنّهما یضران وینفعان من دون اللّٰه تعالیٰ ویؤثران بنفسهما کافراً مشرکاً أم لا؟

ثم یثبت بإقراره الأول المتقدم أنّ مسح الشیء لیس کفراً إن کان مشروعاً، لكن هو بدعاً ومن وسائل الشرك إن لم یکن مشروعاً.  
الثانی: أنّ عبّر عن التبرک بما مسّ جسده الشریفصلی اللّٰه علیہ وآله بأنه أمر معروف وجائز عند الصحابة رضی اللّٰه عنهم وأتباعهم بإحسان إلی يوم الدين.

وأستغرب أنا من هذا التعبير!! (عند الصحابة، من تبعهم بإحسان) وكان اللائق أن یقول: (إنه أمر معروف وجائز شرعاً) لا سيما وأنّ فی الصحابة من یخالف

ص: ۲۷۱

ذلك كما اعترف الشيخ وأقرّ بذلك في سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما حيث كان يستلم منبر النبي صلى الله عليه وآله!! وقول الشيخ (لم يوافق عليه أبوه ولا غيره) غير صحيح إذ لم يثبت نهى أبيه له أو نهى الصحابة رضي الله عنهم له عن فعله ذلك!! ثم لم يثبت ما أورده الشيخ من أن سيدنا عمر رضي الله عنه قطع الشجرة (شجرة بيعه الرضوان) بل المعروف عند علماء السلف ومنهم ابن جرير الطبري أن سيدنا عمر رضي الله عنه ذهب يسأل عنها ولم يجدها!! ففي تفسير الإمام الحافظ الطبري السلفي (۸۷/۲۶) عند تفسير الآية الكريمة التي ذُكرت فيها الشجرة قال:

«وزعموا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول هنا، وبعضهم يقول هاهنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا هذا تكلف، فذهبت الشجرة وكانت سمراء إما ذهب بها سيل وإما شيء سوى ذلك».

فلو كان سيدنا عمر رضي الله عنه قطعها لما قيل ذلك، ولما خفي الأمر على مثل الحافظ ابن جرير ولكان نَبه عليه!! وعلى كل الأحوال، فالاصل في ذلك ليس فعل الصحابة وإنما هو نصوص الشرع القرآن والسنة وهي تفيد أن ذلك ليس كفراً ولا شركاً بدليل جواز التمسح أو استلام الحجر الأسود والركن اليماني والملتزم، والشرك والكفر لا يكون شركاً عند التمسح بشيء دون آخر مع اعتقاد عدم التأثير والضرر والانتفاع في الكل!!

وقد سئل الإمام أحمد كما هو ثابت في كتاب العلل المروى عنه عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وآله وتقبيل منبره فقال: لا بأس بذلك.

وأنتم تعلمون ذلك!!

فلو كانت هذه الأمور ذرائع للشرك والكفر لما سُرع استلام الحجر الأسود وتقبيله ولا الركن اليماني ولا التبرك بعرق النبي صلى الله عليه وآله وشعره وغير ذلك إذ يستحيل

ص: ٢٧٢

شرعاً وعقلاً أن يكون في هذه الأمور غير شرك أو غير ذريعة للشرك وفي غيرها شرك!!

وقول الشيخ ابن باز: (وأما ما نقل عن ابن عمر رضى الله عنهما من تتبع آثار النبي صلى الله عليه وآله واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه رضى الله عنه، لم يوافق عليه أبوه ولا غيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وهم أعلم منه بهذا الأمر وعلمهم موافق لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة. وقد قطع عمر رضى الله عنه الشجرة التي بويح تحتها النبي صلى الله عليه وآله في الحديبية لما بلغه أن بعض الناس يذهبون إليها ويصلون عندها خوفاً من الفتنة وسداً للذريعة) فقول غير صحيح من أوجه: منها: أن ابن عمر مجتهد، وكان أبوه عمر مجتهداً أيضاً رضى الله تعالى عنهما، وقول المجتهد لا ينقض بقول مجتهد آخر كما هو مقرر في الأصول!!

ثم هذا على فرض صحته ثبوت عدم موافقه سيدنا عمر لما فعله ابنه وهذا لم يثبت!! على أن الحافظ ابن حجر أجاب عن هذا على ثبوته إذ قال في «الفتح» (١/ ٥٦٩):

«لأن ذلك من عمر محمول على أنه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة، أو خشى أن يشكل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظنه واجباً، وكلا الأمرين مأمون من ابن عمر.... فهو حجة في التبرك بآثار الصالحين». وما كتبه المعلق هناك على ذلك الكلام هو محض اجتهاد لا يصمد أمام النصوص التي ستأتى بعد قليل إن شاء الله تعالى في الكلام على أسطورة قطع سيدنا عمر للشجرة!!

هذا ولم يثبت أن سيدنا عمر وغيره من الصحابة رضى الله عنهم لم يوافقوا ابن عمر على ما فعله البتة وهو محض تقوّل لا دليل عليه ودون إثباته والجزم به إظهار أين روى ذلك وما هي درجة إسناده من الصحة والضعف!! ونحن نطالب الشيخ ببيان ذلك!! وإن لم يجب ولم يبين بأن ذلك ثابت بسند صحيح لا علة له تينصحه

ص: ۲۷۳

قولنا بعدم ثبوت ذلك عنه!!

إذا ثبت ذلك فإنه لا ينقض اجتهاد سيدنا ابن عمر لا سيما والأدلة الشرعية والعقل السليم موافق لما فعل ابن عمر!! فيكون بين الصحابة خلاف في ذلك!! فلا يكون ذلك كفرةً ولا ذريعةً للشرك والكفر؛ بل ليس ذلك ببدعة طالما أن له دليلاً وعمل به الصحابة والسلف وأفتى الإمام أحمد بأنه لا بأس به!!

وإنني هنا لا أودّ عرض جميع النصوص التي تثبت متابعة ابن عمر وإثبات التبرك عن غيره من الصحابة واستقصاء ذلك!! بل أكتفي أن أقول بأنّ الدارمي روى في سننه (۹۲) بسند صحيح عن أبي الجوزاء أوس بن عبدالله قال: «قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي صلى الله عليه وآله فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسُمّي عام الفتق» (۱).

أما قوله (وقد قطع عمر رضى الله عنه الشجرة.... وسداً للذريعة) فهذا غير صحيح ولا ثابت!! وذلك لأنّ هذه القصة رواها ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (۲/ ۱۰۰) عن نافع وإسنادها صحيح إلى نافع كما قال ابن حجر في «الفتح» (۷/ ۴۴۸) لكنها منقطعة بين نافع وسيدنا عمر!! لأنّ نافعاً لم يدرك سيدنا عمر ولم يرو عنه، وقد صرح الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (۱۰/ ۳۷۰) في ترجمة نافع أنّ الإمام أحمد بن حنبل قال:

«نافع عن عمر منقطع». وقد توفي نافع سنة ۱۲۰ هـ، وهذا مما يؤكد أنه لم

۱- ۱ إسنادها صحيح، أبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسي الملقب بعارم، إمام ثقة، قال الدارقطني: لم يظهر له بعد اختلاطه حديث منكر. وسعيد بن زيد: ثقة، قال ابن معين وابن سعد والعجلي وسليمان بن حرب: ثقة، وقال البخاري والدارمي: صدوق حافظ. وصحح له ابن القيم في كتاب «الفروسيه» ص ۲۰ وقال الصديقم الألباني عنه في «إرواء الغليل» ۵/ ۳۳۸: «لا ينزل به حديثه عن رتبة الحسن إن شاء الله تعالى». وعمرو بن مالك النكري ثقة، انظر «تناقضات الألباني الواضحات» ۲/ ۷۰.

ص: ۲۷۴

يدرك ذلك، وكان ينبغي له أن يصرح بذكر اسم شيخه في هذه الرواية!! وكان أحياناً يجتهد في إبداء بعض الآراء ويخطئ في ذلك كما سيتبين بعد قليل إن شاء الله تعالى!! ونحن وإنصححنا السند إلى نافع فإنه لا بد من التنبيه على أن في سند هذه القصة عبدالوهاب بن عطاء وليس بالقوى عند أبي حاتم وغيره، كما يجد ذلك من يطالع ترجمته في مثل تهذيب الكمال وغيره. فالمعروف المقرر عند الحديث أن مثل هذا القول المنقطع ليس بحجة!! لا سيما وقد صرح بعض الحفاظ كالإسماعيلي بأن هذا مثله هو من قول نافع ولا- يعتبر مسنداً (۱)!! ولا- سيما قد ثبت عنه وعن سيدنا ابن عمر ما يخالفه!! كما ثبت عن غير سيدنا ابن عمر بإسناد صحيح ما هو ضده أيضاً!!

أما ثبوت ما يخالف هذا عنه: فروى ابن سعد (۲/ ۱۰۵) قال: [أخبرنا علي بن محمد عن جويرية بن أسماء عن نافع قال: خرج قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك- أي بعد نزول الآية التي ذكرت فيها الشجرة- بأعوام فما عرف أحد منهم الشجرة واختلفوا فيها، قال ابن عمر: كانت رحمته من الله].

فهذا النص يبين أنهم لم يكونوا يعرفونها بعد ذلك، فكيف يقطع سيدنا عمر ما ليس بمعلوم ولا معروف؟! ولو فرضنا أنه قطع شجرة- وليس هذا بصحيح ولا ثابت- فمعناه أنه قطع شجرة أخرى ادعى بعض الناس أنها شجرة بيعه الرضوان!! ويؤكد ما قرناه ويبطل أسطورة قطع سيدنا عمر للشجرة ما رواه نافع نفسه بسند صحيح عنه عن عبد الله بن عمر!! فقد روى البخاري في الصحيح (۶/ ۱۱۷/ ۲۹۵۸) من طريق نافع قال: قال ابن عمر:

«رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمته من الله.- يقول راوى الحديث:- فسألنا نافعاً: على أي شيء بايعهم،



ص: ۲۷۵

علی الموت؟ قال: لا، بل بايعهم علی الصبر».

أقول: أما قوله فی هذا الأثر (رجعنا) یعنی هو وبعض الصحابة الآخرين ومنهم المسيب والد سعيد بن المسيب حيث جاء عنه كما فی البخاری (۷/ ۴۴۷/ ۴۱۶۳ و ۴۱۶۴) أنّ سعيداً قال: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة قال: «فلما رجعنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها» وفي الرواية الأخرى «فرجعنا إليها العام المقبل فعمت علينا». وهذا في حياة النبي صلى الله عليه وآله وقبل خلافة سيدنا عمر بدهر طويل، وتقدم نقلًا من تفسير الحافظ ابن جرير (۸۷/ ۲۶): أنّ عمر بن الخطاب مرّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، والظاهر أن ذلك كان في خلافته فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول هنا، وبعضهم يقول: هاهنا. فلما كثر اختلافهم قال: سيروا هذا تكلف، فذهبت الشجرة وكانت سمراء إما ذهب بها سيل وإما شيء سوى ذلك. اه من تفسير ابن جرير.

فكيف بعد هذا يقال: إنّ سيدنا عمر قطعها أي في خلافته؟!!!

وأما قول ابن عمر (كانت رحمة من الله) فيه قولان ذكرهما في الفتح (۱۷۱/ ۶) الصحيح منهما عندنا للقرائن هو قوله هناك: «ويحتمل أن يكون معنى قوله: رحمة من الله، أي: كانت الشجرة موضع رحمة الله ومحل رضوانه؛ لنزول الرضا عن المؤمنين عندها» هذا لا شك فيه!!

وقوله (فسألنا نافعاً على أي شيء بايعهم.... قال: بل بايعهم على الصبر) مردود وغير صحيح البتة!! لأنّ البخاري روى بعد هذا حديثين أثبت فيهما تصريحصحابيين بأنهم كانوا يبايعون على الموت!!

فبدل هذا على أنّ ما لم يسنده نافع لا حجة فيه، وهذا أوضح مقال على ذلك فتدبر!!

لا سيما وأنّ البخاري والأئمة لم يعولوا على ما يُنقل بإسناد منقطع عن سيدنا

ص: ۲۷۶

عمر، بل قاموا بسرد كثير من الأحاديث والآثار المروية عن ابن عمر، والتي كان يتبع فيها المواضع التي كان قد صلى النبي فيها ليصلي فيها، ثم جاء سالم بن عبد الله ابن عمر بعد ذلك فاقتدى بأبيه فكان يتبع المواضع التي صلى فيها أبوه وأخبره أن النبي صلى الله عليه وآله كان يصلي فيها!! ولو كان قد ثبت عن عمر شيء في هذا لأوردوه وهو والدهم مع كون اجتهاده لا ينقض اجتهادهم!! وقد عقد البخاري في صحيحه (۱/ ۵۶۷ / ۴۸۳ - ۴۹۱) باباً سماه: (باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وآله) وأورد فيه تسعة نصوص تدل على أن هذا التبرك والتتبع هو مذهب الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين!! وليس كما يقول المعلق على الفتح (۱/ ۵۶۹) في الحاشية هناك بكل جرئة غريبة من أن ذلك من ذرائع الشرك!! كبرت كلمة لا دليل عليها لا سيما وأن فيها تسفيهاً صريحاً لفعل الصحابة والتابعين والأئمة ونبذ أقوالهم وأفعالهم لرأى ليس له دليل معتبر، وإنما هو قائم على الخيالات والأوهام البعيدة عن النصوص الثابتة الشرعية!!

لا سيما والحافظ ابن حجر يقول هناك (۱/ ۵۶۹ فتح):

«وقد تقدم حديث عتيان وسؤاله النبي صلى الله عليه وآله أن يصلي في بيته ليتخذ مصلى، وأجابه النبي صلى الله عليه وآله إلى ذلك، فهو حجة في التبرك بآثار الصالحين».

وقد ذكر الحافظ نحو هذا الكلام أيضاً في الفتح (۱/ ۵۲۲) وحاول أن يرد عليه المعلق هناك بكلام لا دليل عليه وإنما يقوم على الرأي المخطئ الصريح!!

وقد روى البخاري (۴۸۳) عن موسى بن عقبه أنه قال:

«رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلى فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وآله يصلي في تلك الأمكنة».

وبذلك يتلخص أن قضية قطع سيدنا عمر لشجرة ببيعة الرضوان غير صحيحة ولا يتصور أن يفعل ذلك سيدنا عمر رضي الله عنه، ويثبت بما قدمناه أن من الأمور المستحبة عند الصحابة رضي الله عنهم أيضاً استلام الأشياء المتعلقة بالأنبياء

ص: ۲۷۷

والصالحين وأنها ليست من الشرك في شيء.

ثم ذكر الشيخ ابن باز أن دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثه بهم من الشرك الأكبر!!

وأقول: لنا رسالته مستقلة في هذا الموضوع أسميناها «الإغاثه بأدلة الاستغاثه» أثبتنا فيها جواز الاستغاثه بالأحاديث والآثار الصحيحة الثابتة وأن ذلك ليس شركاً ولا كفراً!! ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه (۳/ ۳۳۸) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك إذ استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضى بين الخلق».

قال الحافظ ابن حجر عند شرح مثل هذا الحديث في الفتح (۱۱/ ۴۴۱):

«وفيه أن الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم في الدنيا من التوسل إلى الله في حوائجهم بأنبيائهم».

وقد ثبت أيضاً في البخاري (۲/ ۵۰۱) وغيره أن الناس يلجأون إلى النبي صلى الله عليه وآله عند القحط؛ ليدعو الله لهم في إنزال الغيث، ولم يقل لهم النبي صلى الله عليه وآله: إن المطر بيد الله وليس بيدي، وعليكم أن تدعو الله تعالى أنتم لقوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ.

فإذا قال الشيخ: (بأن هذا توسل واستغاثه بالحى وكلامنا في الميت)!!

قلنا: الجواب عن هذا من وجهين:

الأول: أن الشرك شرك سواء كان في الدنيا أو في الآخرة وسواء كان المستغاث أو المتوسل به إلى الله تعالى حياً أو ميتاً؛ لأن الكفر كفر في جميع الأحوال طالما أنك لا تنظر إلى الاعتقاد والنية والقصد!! وعمومات مثل هذه النصوص تكفى أن تشمل الاستغاثه بالنبي صلى الله عليه وآله قبل وفاته وبعد وفاته وفي الآخرة!!

الثاني: أنه قد ثبتت نصوص غير هذه تثبت الاستغاثه به صلى الله عليه وآله بعد وفاته،

ص: ۲۷۸

فحدیث الدارمی الصحیح الذی تقدّم فی مسأله التبرک وفتح الکوی وإمطارهم، وما رواه ابن أبی شیبّه بإسناد صحیح كما تعلمون فیما ذکره الحافظ ابن حجر فی الفتح (۲/ ۴۹۵) من روایه أبی صالح السمان عن مالک الدار الذی کان خازن سیدنا عمر رضی الله عنه حیث قال:

«أصاب الناس قحط فی زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبی صلی الله علیه و آله فقال:

یا رسول الله استسق لأمتک فإنهم قد هلكوا...».

وقد أقره سیدنا عمر ولم ینکر علیه أحد من الصحابه، فصارت المسأله حائزۀ علی الإجماع السکوتی!! فلو کان ذلك شركاً أو کفراً لما وسع سیدنا عمر والصحابه رضی الله عنهم السکوت والإقرار علی ذلك!!

ولیس المقام هنا مقام حصر للأدله، ومن أراد أن یتبعها فعليه برسالتنا «الإغاثۀ» وغيرها من كتب أهل العلم!! لكن یکفی أن أقول هنا: إنَّ أمام الشیخ ابن باز، وهو الإمام أحمد بن حنبل جوّز الاستغاثۀ بغير الله تعالی:

فقد روى الإمام الحافظ البيهقي فی شعب الإيمان وابن عساكر من طریق عبد الله ابن الإمام أحمد، بإسناد صحیح اعترف بصحته حتى الألبانی المتناقض!! فی ضعيفته (۲/ ۱۱۱) وهو فی كتاب المسائل لعبد الله ابن الإمام أحمد (۲۱۷) قال:

سمعت أبی يقول:

«حججتُ خمس حجج منها ثنتین راکباً وثلاثاً ماشياً، أو ثنتین ماشياً وثلاثاً راکباً، فضلتُ الطريقَ فی حجهُ و كنتُ ماشياً فجعلتُ أقول: یا عباد الله دلّونا علی الطريق. فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت علی الطريق.».

وهذا تطبیق لحدیث سیدنا عبد الله بن مسعود رضی الله عنه المرفوع:

«إذا ضلَّ أحدكم شیئاً أو أراد غوثاً وهو بأرض لیس بها أنیس فلیقل:

یا عباد الله أغیثونی، یا عباد الله أغیثونی، فإنَّ لله عبداً لا نراهم». وهذه استغاثۀ صریحه بغير الله تعالی!! وللحدیث عدۀ ألفاظ تجدها فی رسالتنا الإغاثۀ ص (۲۲).

ص: ٢٧٩

وقد نص جماعة من أهل الحديث على أن ذلك جُرب فتحقق، منهم:

الحافظ الطبراني عقب روايته لهذا الحديث، و الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠ / ١٣٢) والإمام النووي في الأذكار (١) و اعترف بحسنه الألباني في ضعيفته (٢ / ١١١) حيث قال هناك:

«وبعد كتابه ما سبق وقفت على إسناد البزار في زوائده... قلت: وهذا إسناد حسن كما قالوا...».

وهذا كله وغيره كثير يثبت أن ما ذكره الشيخ ابن باز من قوله: إن ذلك شرك أكبر، ليس بصحيح!! بل ليس شركاً أصغر، وإنما هو من الأمور المستحبات التي وردت في الأحاديث الثابتة و استعملها السلف الصالح!!

وأذكر القارئ هنا بأن الحافظ المحدث الذهبي نقل عبارات عديدة عن السلف تفيد بكلصراحة بأن هذه الأمور ليست شركاً بل هي من الأمور المشروعات أو المستحبات، فمن ذلك قول الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٩ / ٣٤٣) قال ابراهيم الحربي: «قبر معروف الترياق المعجرب. يريد إجابته دعاء المضطر عنده؛ لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء».

وقال الذهبي في «السير» (١٠ / ١٠٧) أيضاً في ترجمة السيدة نفيسة:

«والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين».

أما الآيات الكريمة التي أوردها الشيخ فإنها لا تدل على ما يريد!! وذلك لأنه ليس كل دعاء عبادة، و معنى حديث «الدعاء هو العبادة» أى دعاء الله تعالى من جملة عبادة الله أو من أعظم العبادات كما قال ذلك المناوى في «الفيض» (٣ / ٥٤٠)!! لا- أن كل دعاء عبادة البته!! و تدل على ذلك النصوص مثل قوله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً وقد توسعت في شرح

ص: ۲۸۰

ذلك وبيانه وما يتعلق به في كتابي «التنديد بمن عدّد التوحيد» ص (۳۰-۴۲) فليراجع!!  
والعجب أن الشيخ أورد قوله تعالى: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَدَّ عَلَيْهِمْ!!

وأقول مجيباً: لا يمكن تطبيق هذه الآية على المسلمين المؤمنين الموحدين، الذين يتوسلون ويستغيثون بالنبصلى الله عليه وآله وغيره من عباد الله الصالحين!! وذلك لأن معنى الاستغاثة أن زوار الأنبياء وقبور الأولياء يطلبون منهم أن يدعوا الله لهم في قضاء حوائجهم، ولا يعبدونهم ولا يعتبرونهم آلهة، ويعتقدون أنهم لا يستقلون من دون الله تعالى بالضر والنفع، ولا يسجدون لهم!! خلافاً لأولئك الكفار الذين نزلت فيهم هذه الآية وغيرها من الآيات الكريمة حيث كانوا يسجدون لتلك الأصنام ويعبدونها من دون الله تعالى!! أما قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله فمثل هذه المقالة منهم هي محض كذب منهم عند محاججة النبصلى الله عليه وآله لهم وإقامة الحجّة عليهم، فلا يدعون ولا ينقادون للأنبياء ولا يدرون بماذا يجيبون فيقولون هذه الجمل التي لا يعتقدونها ولا يؤمنون حقيقة بمضمونها فهي كذب بحت منهم، وقد بين الله تعالى لنا أن هذه الجمل هي محض كذب منهم حيث قال في الآيات الأخرى التي أوردها الشيخ مفسراً لها على غير ما قرناه وهي قوله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ فبين الله تعالى لنا أن هؤلاء الكفار كاذبون فيما زعموه؛ لأنهم لا يعرفون الله ولا يريدون السجود له ولا يعترفون ولا يؤمنون به، والدليل على ذلك وهو الذي لا يختلف فيه اثنان قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا الفرقان ٦٠، وقوله تعالى: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي الرعد: ٣٠، وقال تعالى: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ\*

ص: ۲۸۱

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ يَسْ: ۷۹، وقال تعالى: وَلَا تَسْجُدُوا لِلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْجُدُوا لِلَّهِ عَدُوًّا بَغِيْرَ عِلْمِ الْأَنْعَامِ: ۱۰۸، فهذه الآيات جميعها تثبت خطأ الاستدلال بالآيات الأخرى التي ذكرناها على أن الاستغاثة ومطلق الدعاء شرك!! لأن هذه الآيات تثبت أن أولئك ما كانوا يؤمنون بالله تعالى مطلقاً، فضلاً عن أن يعتقدوا بأن أولئك الأصنام وغيرها ممن اتخذوا آلهة من دون الله تعالى ما هي إلا وسيلة تقربهم لله تعالى وتشفع لهم عنده!! فلو كان كذلك لعظموا الله تعالى، ولكن شيء من ذلك لم يكن لذلك قال الله تعالى عنهم: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ وبذلك ينهدم كلام الشيخ واستدلاله بتلك الآيات الكريمة.

وهنا نعيد له كلامه الذي هناك بعد هذا البيان الواضح ونقول له:

(فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية!!)

وما أورد الشيخ هنا كص (۵) في مقالته من آيات فسرها كما يريد على أن دعاء غير الله من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم شرك!! فلا يتم له بها الاستدلال؛ لأننا قدّمنا ما هو الصحيح من معناها لا سيما وقد خالفه في الملائكة في هذه القضية الشيخ الألباني حيث استثنى الملائكة لحديث حسن أورده في ضعيفته (۲/ ۱۱۱) هناك إذ قال:

«فهذا الحديث إذا صح يعين أن المراد بالحديث الأول (يعباد الله) إنما هم الملائكة، فلا يجوز أن يلحق بهم المسلمون من الجن أو الإنس ممن يسمونهم برجال الغيب».

ثم اعترف بعد ذلك بأسطر بأنه وقف على إسناد الحديث في زوائد البزار وأنه حسن كما قال الحافظ!!

(ملاحظة): ثم ألفت النظر هنا إلى مسألة الاستغاثة بالأنبياء- أي سؤالهم عند الوقوف على قبورهم وخاصة بالنسبة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله أن يدعو الله لنا في قضاء الحاجات كما نص على ذلك جمع من الأئمة منهم الإمام الحافظ النوري في المجموع

ص: ۲۸۲

شرح المهدب ۸ / ۲۷۴ فی باب ما يستحب أن يقول عند الزيارة- أن الأنبياء أحياء وكذا الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون ولا نحتاج لتأويل كلمة أحياء وإخراجها عن المعنى الذى نفهمه؛ والذى تدل عليه اللغة العربية التى نزل بها القرآن إلى معنى لا- نفهمه؛ لأن الله تعالى يخاطبنا فى هذه الآية بما نفهم و نعقل!! فإذا كانوا أحياءً وبعد سلام الزائر عليهم خاطبهم ليدعو الله له فى قضاء حاجته فما هو المانع من ذلك؟! وما هو الشرك فى هذا؟!!!

لا سيما و ابن قيم الجوزية يقول فى كتابه «الروح» كما نقل المحدث الكتانى عنه فى «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (حديث رقم ۱۱۵):

«صح عن النبي صلى الله عليه وآله أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه صلى الله عليه وآله اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء... وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غُيبوا عنا بحيث لا ندرکهم وإن كانوا أحياءً موجدین كالملائكة فإنهم أحياء موجودون ولانراهم». انتهى ما أردنا نقله.

فتأمل!!

ثم نقل الشيخ كلاماً لابن تيمية لم يخرج ما فيه من الكلام عما ذكرناه وفندناه من أقوال لا دلالة فيها وإنما هو إعادة الكلام وإبدائه فيما لا تحقيق فيه!!

ونلفت النظر هنا إلى أن كلام ابن تيمية لا قيمة له عندنا؛ لأنه هو الأساس فى هذه الخصومة بينه وبين باقى المسلمين، فلا يجوز أن نأتى بكلام الخصم سواء من الفتاوى أو من رسالته إلى أتباع الشيخ عدى بن مسافر فنورده على أنه حجة أو كلام من شخص معتبر!! فإن الشيخ العلامة الخراسانى لو جلب للشيخ كلام أحد أئمة الإمامية لم يقبل منه الشيخ ذلك، ولقال له: هذا لا يعترف به عندنا فلا فائدة من إيراد كلامه هنا!!



ص: ٢٨٣

فكذلك ابن تيمية لا قيمة و لا اعتبار له عند جمهور علماء أهل السنة من غير المتمسكين في القديم والحديث، وكم لهم عليه وعلى أفكاره من ردود يعرفها الشيخ، وكذا لا قيمة له عند الإمامية والزيدية والإباضية وغيرهم من المسلمين الموحدين!!

فكلام ابن تيمية لا يصح إيراده وهو غير مقبول، ومن كانت لديه حجة فليوردها بعيداً عن ابن تيمية!!  
والمناظرة أو المباحثة والمناقشة يجب أن تكون الأدلة والأقوال التي يتم الحوار بناءً عليها متفقاً عليها أو معترفاً بها عند الخصم، وإلا كان إيراده من العبث الذي لا قيمة له!!

وبقى شيان في كلام الشيخ يجب الجواب عنهما باختصار وإلا فإننا سنطيل تفصيله والاستدلال عليه وهما:

الأول: اعتباره أن تقبيل الشيء واستلامه نوع من أنواع العبادة!!

والجواب عنه: أن الأمر ليس كذلك فقد قبل النبي صلى الله عليه وآله وجه الصحابي الجليل عثمان بن مظعون وهو ميت وقبل ما بين عينيه!! انظر «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠) وغيره.

ومن ذلك تقبيل يد الوالدين واستلامهما مع تعظيمهما واحترامهما لا يعتبر عبادة بالاتفاق!!

فاستلام الشيء لا يعتبر من العبادات حتى يحكم بدمه وأنه من الشراكيات والبدع المذمومات!!

والثاني: أن حديث «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» لا يصح وإن رواه الشيخان؛ لأن معناه مصادم لما جاء في القرآن كما سنبين وليس هذا بعجب!! فقد أمر الإمام أحمد بالضرب على أحاديث وقد خرجها فيما بعد الشيخان!! منها حديث «يهلك أمتي هذا الحي من قريش قالوا: ما تأمرنا يا

ص: ٢٨٤

رسول الله قال: «لو أن الناس اعتزلوهم».

قال عبد الله ابن الإمام أحمد في المسند (٣٠١ / ٢) عقبه مباشرة:

«قال أبي في مرضه الذي مات فيه: اضرب على هذا الحديث، فإنه خلاف الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله يعني قوله: اسمعوا وأطيعوا».

وهذا الحديث الذي فيه اتخاذ اليهود والنصارى قبور أنبيائهم مساجد فيه بكل صراحة تعظيم أنبيائهم!! لكن القرآن الكريم بين أن اليهود لم يكونوا يحترمون الأنبياء بل كانوا يكذبونهم ويقتلونهم!! قال تعالى: أ فَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ البقرة: ٨٧، وقال تعالى:

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ البقرة: ٩١.

ولذلك أورد هذا الحديث المحدث الشريف عبد الله ابن الصديق الغماري أعلى الله درجته في كتابه «الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة».

وأورد السيد المحدث الغماري هناك: أن الله تعالى أثبت في القرآن الكريم إذابة اليهود لنبيهم الأكبر سيدنا موسى عليه السلام في عدة آيات منها قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤَدُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ الصف: ٥، هذا ولا يعلم أنهم أقاموا الأكبر وأعظم أنبيائهم سيدنا موسى قبراً يزورونه ويعظمونه حتى الآن!! فكيف يقال بعد ذلك: إنهم عظموا قبور أنبيائهم واتخذوها مساجد!!

وأما النصارى فليس لهم إلا نبي واحد!!

وأما إنكار الشيخ التوسل بالأنبياء في آخر جوابه أو مقاله، فجوابه أن الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع كثيرة جداً أفردت بتصنيفات مستقلة معلومة عندكم فيها أحاديث كثيرة صحيحة منها حديث عثمان بن حنيف في قصة الأعمى الذي علمه النبي صلى الله عليه وآله أن يقول: «اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة» رواه الترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم وصححه الأئمة، وفي رواية ابن

ص: ٢٨٥

أبي خيثمة في تاريخه بإسناد صحيح زيادة: «وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك» وكذا علم سيدنا عثمان بن حنيف رضي الله عنه - راوى هذا الحديث - رجلاً بعد وفاته صلى الله عليه وآله أن يدعو بمثل هذا الدعاء، وهو صحيح، ورغم محاولات بعضهم لتضعيفه، وتجد تفنيد أقوال من يحاول تضعيفه والكلام على تلك الروايات وعلى سندها وتحقيق ذلك في كتاب المحدث الغماري «إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي» (ص ١٧ من طبعه دار الإمام النووي الثانية) فلتراجع!! ويكفي أن يعلم بأن الحافظ ابن كثير وهو أحد تلاميذ ابن تيمية نقل في «البدایة والنهاية» (١٤/٤٥) أن ابن تيمية أقرّ أخيراً بجواز التوسل وأصرّ وبقي منكرًا للاستغاثة!! والأصل في ذلك كله قوله تعالى: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وقوله تعالى:

يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ.

هذا ونسأل الله تعالى أن يمنحنا وإياكم وسائر المسلمين الرجوع للحق وتقوى الله تعالى في السرّ والعلن، وأن يكرمنا جميعاً بالتفقه في دينه والثبات على التوحيد الخالص، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يكرمهم بالفقه في الدين والحرص على الخيرات وترك المنكرات، وأن يولى عليهم خيارهم ليحكموا بشرع الله تعالى انصياعاً لقوله جلّ جلاله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ولقوله تعالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضوان الله تعالى على صحابته المتقين، وآخر دعواناً أن الحمد لله رب العالمين.

**معجم ما كتب في الحجّ و الزيارة (١١)**

ص: ٢٨٦

معجم ما كتب في الحجّ و الزيارة (١١)

١٧٥٠- قاعدة الاسلام في المدينة

محمد جمال الدين محفوظ

الدارة س ٧: ع ١ (٨ / ١٩٨١ م) ص ٢٦٠-٢٨٦.

١٧٥١- قافلة مكة

عصام عبد القادر غندور

بيروت: دار التوفيق، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ٤٦٩ ص، ٢٤ سم.

١٧٥٢- قاموس الحج والعمرة من حجة النبي وعمرته

أحمد عبدالغفار عطار

بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩ هـ، ٢٧٦ ص.

١٧٥٣- قبائل مكة قبل الاسلام

حسين أمين

في: موسوعة العتبات المقدسة ج ٢:

قسم مكة ص ٦١-١٠٢.

بيروت: مؤسسة الأعلمي للمعلومات، ط ٢، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م.

١٧٥٤- قبسات من حج عام ١٤٠٠ هـ

جدة: وزارة الحج والأوقاف، ط ١، ١٤٠٠ هـ.

١٧٥٥- قبسات من حج عام ١٤٠٢ هـ

جدة: وزارة الحج والأوقاف، ط ١، ١٤٠٢ هـ.

١٧٥٦- قبسات من موسم الحج ١٤٠٩ هـ

جدة: وزارة الحج والأوقاف، ٤٠٣ ص، ٢٤ سم.

ص: ٢٨٧

١٧٥٧- قبسات من موسم الحج ١٤١٠ هـ

مكة المكرمة: وزارة الحج والأوقاف، ١٤١٠ هـ، ٣٨٧ ص، ٢٤ سم.

١٧٥٨- قبل سفرك إلى الحج

السيد سلامة السقا

منار الإسلام (أبوظبي) س ٢٠: ع ١١ (١١/١٤١٥ هـ - ٤/١٩٩٥ م) ص ١١.

١٧٥٩- القبلة إلى المسجد الحرام

بيروت: دار الكتاب اللبناني، (لمحات من حياة الرسول صلى الله عليه وآله، ١٠).

١٧٦٠- القبلة والطواف

محمد مهدي الآصفي

ميقات الحج ع ٣ (١٤١٦ هـ) ص ١٢٠-١٤٠.

١٧٦١- قبة اليهود- وقبة الشراب في المسجد الحرام

حمد الجاسر

البيان (الكويت) ص ١٩: ع ٢٢٣ (١/١٤٠٤ هـ / ١٠/١٩٨٤ م) ص ٩-١٢.

١٧٦٢- قداست وأمنيت حرم

(بالفارسية)

عبدالله جوادى آملی

طهران: مركز تحقيقات وانتشارات حج، ط ١، ١٣٦٧ ش، ٤٩ ص، ٢١ سم.

١٧٦٣- قداسته الحرم وأمنه وآثارها الاجتماعية والسياسية

محمد على التسخيري

التوحيد (طهران) ع ٣٢ (٥-٦/١٤٠٨ هـ) ص ٧٨.

١٧٦٤- قدسية الحرم وأمنه

عبدالله جوادى آملی

مكتب مندوب الامام الخميني والمشرف العام على الحجاج الايرانيين، ط ١، ١٣٦٧ ش، ٤٤ ص، ٢١ سم.

١٧٦٥- قدسية الحرمين الشريفين

إعداد: وحدة بحوث اللغات الاسلامية

لبنان: هجر- أرض اللواء، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ٨٧ ص، ٢٤ سم.

١٧٦٦- القديم والجديد في دار الهجرة

على القاضي

منبر الاسلام س ٥٠، ع ١ (٧/١٩٩١) ص ٣٠-٣٤.

١٧٦٧- قرآن واحكام (كعبه كانون همبستگى اسلامى)

(بالفارسية)

ص: ٢٨٨

عبدالكريم بي آزار شيرازي

طهران: بعثت، ١٣٥٢ ش، ٥٣ ص.

١٧٦٨- القرآن والكعبة والخلافة

أحمد حسن الباقوري

الوعى الاسلامى س ٧: ع ٨٣ (١٣٩١ هـ) ص ١٢-١٩.

١٧٦٩- قربانى ارزشمنند خدا وعيد قربان (بالفارسية)

السيد على خامنى

طهران: وزارة الارشاد الاسلامى، ١٣٦١ هـ، ١٥ ص.

١٧٧٠- قربانى در حج تمتع

(بالفارسية)

يعقوب على برجى

مىقات حج: ع ٢٠ (تابستان ١٣٧٦ ش) ص ٤٢-٥٧.

١٧٧١- قربانى در منى و مشكل اسراف

(بالفارسية)

محمد جواد ارسطا

مىقات حج: ع ٢٥ (پاييز ١٣٧٧ ش) ص ٤٤-٧٢.

١٧٧٢- قربانى در منى

(بالفارسية)

محمد جواد موسوى غروى

طهران: ١٣٦٣ ش، ١٨٢ ص.

١٧٧٣- القرامطة وفتنتهم فى مكة

يعقوب الجعفرى

مىقات الحج: س ٤: ع ٧ (١٤١٨ هـ) ص ٢٠١-٢٢٣.

١٧٧٤- القرى لقاصد أم القرى

أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد ابن أبى بكر محب الدين الطبرى

تصحيح: مصطفى السقا

بيروت: دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.

١٧٧٥- قرن المنازل

عبد الهادى الفضلى

مىقات الحج: س ٣، ع ٥ (١٤١٧ هـ) ص ٨٤-٩٣.

١٧٧٦- قرن المنازل

(بالفارسية)

عبدالهادى الفضلى، ومهدى يشوايى  
مىقات حج: ع ١٥ (بهار ١٣٧٥ ش) ص ٧٢-٨١.

١٧٧٧- قرن المنازل

دراسة وتحقيق فى موضعه

على ابراهيم المبارك البحرانى

مىقات الحج: ع ١٠ (١٤١٩ ه) ص ٤٠-٦١.

ص: ٢٨٩

١٧٧٨- قريش في ضواحي مكة

العرب س ١٦: ص ٣٠٧.

١٧٧٩- قريش قبيلة العرب (قبل الاسلام)

أحمد ابراهيم الشريف

كلية الآداب والتربية (الكويت): ع ١ (حزيران ١٩٧٢ م) ص ١٠١-١٣٢.

١٧٨٠- قريش وأخبارها

أحمد بن محمد الجهمي

ظ: معجم الادباء ٤ / ١٣٢.

١٧٨١- قسم المدينة المنورة

جعفر الخليلي

في: موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣

بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط ٢، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٣٤٣.

١٧٨٢- قصة بناء الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل الكعبة المشرفة

محمد محمد أبو شهبه

الرابطة (مكة المكرمة) س ٢١: ع ١٢ (ذو الحجة ١٤٠٣ هـ - ١٠ / ١٩٨٣ م) ص ٢٤-٢٦، ع ١١ (ذو القعدة ١٤٠٣ هـ - سبتمبر ١٩٨٣ م) ص

٢٦-٢٨.

١٧٨٣- قصة الكعبة

أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري

المنهل ظ (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣- ٤ / ١٤١٠ هـ / ١٠ - ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٧.

١٧٨٤- قصي الشاب يُعيد بناء مكة

أحمد السباعي

المنهل (جدة) مج ١١: ج ٤ (٤ / ١٣٧٠ هـ / ١ - ٢ / ١٩٥١ م) ص ١٨٩-١٩١.

١٧٨٥- قصيدة في مشاهد أهل البيت

زين العابدين المكي عبد الشكور

مكة المكرمة: المطبعة الماجدية، (في ذيل: درة العقد الثمين، لمحمد تقى الدين الزرعة الطائفى المكي).

١٧٨٦- قضاء (قضاء) أهل المدينة

أبو الحسن علي بن محمد المدائني ٢٢٥ هـ

ظ: فهرست النديم ١١٧، العرب.

س ٣١: ج ٧، ٨، (١) ٨ / ٢ / ١٤١٧ هـ) ص ٤٥٥.

١٧٨٧- القطائع النبوية في بلاد بنى سليم

حمد الجاسر

العرب س ٨: ع ١ (٧ / ١٣٩٣ هـ / ٨ / ١٩٧٣ م) ص ١-٨.



ع ٢ (١٣٩٣ / ٨ / ١٥ / ٩ / ١٩٧٣ م) ص ٨١ - ٩٠.

ع ٣ (١٣٩٣ / ٩ / ١٥ / ١٠ / ١٩٧٣ م)

ص: ٢٩٠

ص ١٧٧-١٩١.

ع ٤ (١٠٥/١٣٩٣ / ١١ / ١٩٧٣ م) ص ٢٤١-٢٥٤.

ع ٥-٦ (١١، ١٢ / ١٢ / ١٣٩٣ / ١٢، ١ / ١٩٧٤ م) ص ٣٥٨-٣٦٦.

ع ٧-٨ (١، ٢ / ٢ / ١٣٩٤ / ٢، ٣ / ١٩٧٤ م) ص ٥٠٩-٥١٣.

ع ٩-١٠ (٣، ٤ / ٤ / ١٣٩٤ / ٤، ٥ / ١٩٧٤ م) ص ٦٥٩-٦٦٢.

١٧٨٨- القطائع النبوية: حمام والسد

حمد الجاسر

العرب. س ٢٢: ع ٥-٦ (١١، ١٢ / ١٢ / ١٤٠٧ / ٦، ٧ / ١٩٨٧ م) ص ٢٨٩-٢٩٣.

١٧٨٩- قطب الدين النهروالي مؤرخ مكة:

حياته وآثاره ومشاهير آله

حمد الجاسر

العرب. س ١: ع ١ (٧ / ١٣٨٦ / ١٠ / ١٩٦٦ م) ص ٥٥-٦٢.

ع ٢ (٨ / ١٣٨٦ / ١١ / ١٩٦٦ م) ص ١٤٧-١٥٦.

ع ٣ (٩ / ١٣٨٦ / ١٢ / ١٩٦٦ م) ص ٢٣٨-٢٤٤.

ع ٤ (١٠ / ١٣٨٦ / ١ / ١٩٦٧ م) ص ٣٣٦-٢٣٨.

ع ٥ (١١ / ١٣٨٦ / ٢ / ١٩٦٧ م) ص ٤٣١-٤٣٣.

ع ٦ (١٢ / ١٣٨٦ / ٣ / ١٩٦٧ م) ص ٥٥٧-٥٥١.

ع ٧ (١ / ١٣٨٧ / ٤ / ١٩٦٧ م) ص ٦٣٠-٦٣٦.

ع ٨ (٢ / ١٣٨٧ / ٥ / ١٩٦٧ م) ص ٧٢٧-٧٣٣.

ع ٩-١٠ (٣، ٤ / ٤ / ١٣٨٧ / ٦ / ١٩٦٧ م) ص ٨٧٥-٨٧٣.

ع ١١ (٥ / ١٣٨٧ / ٨ / ١٩٦٧ م) ص ١٠٢٩-١٠٣٥.

١٧٩٠- قلائد الدرر في مناسك من حج واعتمر

أحمد كاشف الغطاء

بغداد: مط دار اليوم، ط ١، ١٩٢٤ م.

النجف: المط العلمية، ط ٢، ١٩٤٨ م، ١٦٨ ص، طبع حجر.

١٧٩١- قلب جزيرة العرب

فؤاد حمزة

الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ط ٢، ١٣٨٨ / ١٩٦٨ م، ٤٧٠ ص، ٢٤ سم.

١٧٩٢- قلب الحجاز (بحوث جغرافية)

ص: ٢٩١

وتاريخية وأدبية)

مكة المكرمة: دار مكة، ط ١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ٢٣٦ ص، ٢٤ سم.

١٧٩٣- قنديل حرم

(رحلة الى الحج في سنة ١٢٨٩ هـ، بالفارسية)

نواب محمد كلبعلی خان رامپوری

رامپور: ١٢٩٠ هـ ٢٤ ص.

١٧٩٤- القول التام في واقعة بيت الله الحرام

محمد بن أبي السرور

خ: سپهسالار، ج ٥ / ٤١٢.

القول المحقق المحكم في زيارة الحبيب المكرم

بشير بن بدر الدين السهواني

ظ: الثقافة الاسلامية في الهند ٢٤٥.

١٧٩٥- القول المختار الجلي في جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله والولي

محمد سعيد بن عبد الله الرباطي

القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥ م، ٧٦ ص.

١٧٩٦- القول المنصور في زيارة سيد القبور

(في الرد على الكلام المبرم في نقض القول الحكم).

بشير بن بدر الدين السهواني.

ظ: الثقافة الاسلامية في الهند ٢٤٥.

١٧٩٧- القول المنصور في زيارة سيد القبور

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مهدي الجرجاني الحنفي ت ٣٩٨ هـ

ظ: إيضاح المكنون ٢ / ٢٥٥.

١٧٩٨- القوم لا يقرأون ومتى كان طريق الفيل مجهولاً؟

(في جغرافية الحجاز)

حمد الجاسر

العرب. س ٢٤: ع ٣، ٤ (٩، ١٠ / ١٠٠ / ١٤١٠ هـ / ٣، ٥ / ١٩٨٩ م) ص ٢٥٣ - ٢٥٨.

١٧٩٩- قيام كعبه سر آغاز خونين قرن

(بالفارسية)

شاكر كسرائي

طهران: انتشارات نور، ١٣٦٠ ش، ١٤٢ ص، ٢١ سم.

١٨٠٠- كامل الزيارات

جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى ابن قولويه ت ٣٦٧ هـ

تصحيح وتعليق: عبد الحسين الأميني

ص: ٢٩٢

تقديم: محمد على الاوردبادي

النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية، ١٣٥٦ هـ، ٣٣٥ ص، حجرية.

تقوم بتحقيقه: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث في قم.

١٨٠١- الكتائب في الحرمين الشريفين وما حولهما

عبداللطيف عبدالله دهيش

مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م،

٧٣ ص، ٢٤ سم.

١٨٠٢- كتاب أدعية المواقف

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ

ظ: رجال النجاشي ٣٩٠.

١٨٠٣- كتاب بين المسجدين

علي بن أحمد بن علي بن محمد بن جعفر ابن عبدالله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب العقيقي

ظ: معجم المؤلفين ٧ / ٢١، العرب.

س ٣١: ج ٧، ٨ (١)، ١٤١٧ / ٢ هـ) ص ٤٥٥.

١٨٠٤- كتاب الحراث (في الحجاز)

أبو عبيدة معمر بن المثنى

ظ: فهرست النديم ٦٠، العرب.

س ٣١: ج ٧، ٨ (١)، ١٤١٧ / ٢ هـ) ص ٤٥٦.

١٨٠٥- كتاب عن المدينة والحجاز

أبو عبيدالله عمرو بن بشر السكوني

ظ: العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١)، ١٤١٧ / ٢ هـ) ص ٤٥٦.

١٨٠٦- كتاب عن وقعة الحرّة

علي محمد المدائني ت ٢٢٥ هـ

ظ: العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١)، ١٤١٧ / ٢ هـ) ص ٤٥٦.

١٨٠٧- كتاب في تاريخ المدينة

ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد بن برهان الدين ت ٧٩٩ هـ

ظ: الدرر الكامنة ١ / ٤٩، إبناء الغمر ١ / ٥٣، العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١)، ١٤١٧ / ٢ هـ) ص ٤٥٧.

١٨٠٨- كتاب في تاريخ المدينة

جعفر حسين بن يحيى بن ابراهيم بن هاشم الحسيني ت ١٣٤٢ هـ

ظ: معجم مصنفى الكتب العربية ١٣٣، العرب.

س ٣١: ج ٧، ٨ (١)، ١٤١٧ / ٢ هـ) ص ٤٥٧.

ص: ٢٩٣

- ١٨٠٩- كتاب في تاريخ المدينة  
أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن ابن المُستفاض الغريابي  
ظ: الاعلان بالتوبيخ ٢٧٣، العرب.  
س ٣١: ج ٧، ٨، (١)، ٢ / ١٤١٧ هـ) ص ٤٥٧.
- ١٨١٠- كتاب في تاريخ المدينة  
الجمال المطري محمد بن أحمد بن خلف ابن عيسى  
ظ: العرب. س ٣١: ج ٧، ٨، (١)، ٢ / ١٤١٧ هـ) ص ٤٥٧.
- ١٨١١- كتاب في تاريخ المدينة  
محمد بن موسى بن علي المراكشي (٧٨٩-٨٢٣ هـ)  
ظ: معجم مصنفى الكتب العربية، العرب. س ٣١: ج ٧، ٨، (١)، ٢ / ١٤١٧ هـ) ص ٤٥٧.
- ١٨١٢- كتاب في تاريخ مكة  
العرب س ٢٢: ص ٨٤٣.
- ١٨١٣- كتاب في الحج  
أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري  
ظ: رجال النجاشي ٨٢، الذريعة ٦ / ٢٥٠.
- ١٨١٤- كتاب في الحج  
علي بن عبيدالله بن حسين العلوي (يرويه كله عن موسى بن جعفر عليهما السلام)  
ظ: رجال النجاشي ٢٥٦، الذريعة ٦ / ٢٥١.
- ١٨١٥- كتاب في العقيق  
هارون بن زكريا الهجرى (ق ٣، ٤ هـ)  
ظ: وفاء الوفاء ٣ / ١٠٨٣، ١٠٩٣، العرب. س ٣١: ج ٧، ٨، (١)، ٢ / ١٤١٧ هـ) ص ٤٥٨.
- ١٨١٦- كتاب في فضائل المدينة والحجة لها  
محمد بن أحمد بن عمر التستري (٢٨٣-٣٤٥ هـ)  
ظ: معجم مصنفى الكتب العربية ٤٢٧، العرب. س ٣١: ج ٧، ٨، (١)، ٢ / ١٤١٧ هـ) ص ٤٥٨.
- ١٨١٧- كتاب القربان  
الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ  
ظ: رجال النجاشي ٣٩٠.
- ١٨١٨- كتاب المجموع الظريف في حجة المقام الشريف  
أحمد بن يحيى بن الجيعان ت ٩٣٠ هـ.  
العرب. س ١٠: ع ٩-١٠ (٣)،

ص: ٢٩٤

١٣٩٦ هـ / ٣، ٤ / ١٩٧٦ م) ص ٦٥٩ - ٦٩٦ (حمد الجاسر).

١٨١٩ - كتاب المدينة وزيارة قبر النبي والأئمة عليهم السلام

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ

ظ

رجال النجاشي ٣٩.

١٨٢٠ - كتابات اسلامية عن مكة المكرمة

دراسة وتحقيق: سعد عبد العزيز الراشد

[السعودية]: ١٤١٦ هـ.

١٨٢١ - الكتابة في مجتمع المدينة

شاكر محمود عبد المنعم

التضامن الاسلامي س ٣٦: ع ٩ (٣ / ١٤٠٢ هـ) ص ٤٩ - ٥١.

١٨٢٢ - كتب الأنساب وتاريخ الجزيرة العربية

عبد العزيز الدوري

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ج ١ (١٩٧٩ م) ص ١٢٩ - ١٤١.

مجلة مجمع اللغة العربية الاردني س ٢:

ع ٥، ٦ (٥ - ١٢ / ١٩٧٩ م) ص ٥ - ٢٩.

١٨٢٣ - كتب منازل الحج من روافد الدراسات

العرب: س ١٢: ص ٣٢١.

١٨٢٤ - كسوة الكعبة

أبو عبدالباسط

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ١٤٤ (١٤٠١ هـ) ص ٦٩ - ٧٣.

١٨٢٥ - كسوة الكعبة

فريال داود عبد الخالق

المورد مج ٩: ع ٤ (شتاء ١٩٨٠ م) ص ١٧١ - ١٧٨.

١٨٢٦ - كسوة الكعبة الشريفة

موسى صالح شرف

منار الإسلام (أبو ظبي) س ١٥: ع ١ (٨ / ١٩٨٩ م)

ص ٤٠ - ٥٤.

١٨٢٧ - كسوة الكعبة عبر التاريخ

محمد اسماعيل فرج

نور الاسلام (بيروت) ع ٢٧، ٢٨ (١١ - ١٢ / ١٤١٢ هـ) ص ١٤ - ٢٠.

١٨٢٨ - كسوة الكعبة المشرفة

عبدالعزيز مؤذن

مكة المكرمة: قسم الدراسات العليا الحضارية بجامعة أم القرى، ١٤٠٣ هـ (رسالة ماجستير).



ص: ٢٩٥

١٨٢٩- كسوة الكعبة المشرفة عبر العصور

محمد بيبر

الفصل. س ١٦: ع ١٢٦ (١٢/١٤٠٧ هـ / ٨/١٩٨٧ م).

١٨٣٠- كسوة الكعبة المشرفة... وفنون الحجاج

ابراهيم حلمي

القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م (كتاب اليوم، ٢٣٠).

١٨٣١- كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ

السيد محمد الدقن

القاهرة: ظ، ١٩٨٦، ٣٢٠، صور، لوحات.

١٨٣٢- كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور

محمد زين العابدين البرزنجي

خ: جستريني

العرب س ٢٠: ع ٧-٨ (١، ٢ / ١٤٠٥ هـ / ٩، ١٠ / ١٩٨٥ م) ص ٤٣٣-٤٥٦.

ع ٩-١٠ (٣، ٤ / ١٤٠٦ هـ / ١٠، ١١ / ١٩٨٥ م) ص ٥٩١-٦٠٨.

ع ١١-١٢ (٥، ٦ / ١٤٠٦ هـ / ١، ٢ / ١٩٨٦ م) ص ٧٦٧-٧٧٥ (حمد الجاسر).

ظ:

المورد: ج ٢٤، ص ١٩١.

١٨٣٣- الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام

شريف يوسف

مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٢٩ (١٣٩٨ هـ) ص ١٨٨-٢١٨.

١٨٣٤- الكعبة

جمال الدين الألوسي

الرسالة الاسلامية: ع ٣١، ٣٢ (١٣٩٠ هـ) ص ٤٩-٥٦.

١٨٣٥- الكعبة

عبد القدوس الانصاري

المنهل (جدة) مج ٤٠: ج ٧ (٧ / ١٣٩٩ هـ / ٥-٦ / ١٩٧٩ م) ص ٤٨٢-٤٩٠.

١٨٣٦- الكعبة

محمد بن مسعود بن محمد ابن عياش السلمى السمرقندى العياشى (ت ٣٢٠ هـ)

ظ: رجال النجاشي ٣٥٢.

١٨٣٧- كعبه در آيينه تشبيهه

(بالفارسيه)

ص: ٢٩٦

محمد شجاعى

مىقات مج: ع ١٥ (بهار ١٣٧٥ ش) ص ١١٢-١٢٤.

١٨٣٨- الكعبة على مرّ العصور

على حسين الخربوطلى

القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٦، ١٢٤ ص، (قرأ، ٢٩١).

١٨٣٩- الكعبة: قريش تبنى الكعبة سنة ١٤ قبل الهجرة/ ٨٠٦ ميلادية.

كريزويل، ك. ك. أس

ترجمة: محمد رجب

المجلة التاريخية المصرية مج ٢: ع ٢ (اكتوبر ١٩٤٩ م) ص ٢٥-٣٥.

١٨٤٠- الكعبة مركز الارض

محمد عوض محمد

المنهل (جلده) مج ١٣: ج ١٠ (١٢/ ١٣٧٢ هـ / ٨/ ١٩٥٣ م) ص ٥٧٥-٥٧٨.

١٨٤١- الكعبة المشرفة

أمينه الصاوى

القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٧٦ م، ٣٠٤ ص.

القاهرة: مؤسسه أخبار اليوم، ١٩٨٨، ٣١٩ ص، (كتاب اليوم، العدد ٢٨٢).

١٨٤٢- الكعبة المشرفة آدابها وأحكامها

محمد بن المسعودى

المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ٨٨ ص، ٢٤ سم.

١٨٤٣- الكعبة المشرفة: تاريخاً وتقديساً

صالح حتحات

المجاهد س ٩: ع ٩١ (٧/ ٨٨) ص ٣٠-٣١.

١٨٤٤- الكعبة المشرفة: دراسة أثرية لمجموعة أفعالها ومفاتيحها المحفوظة فى متحف طوب قابى باستانبول

تأليف: طرجان يلماز

ترجمة: تحسين عمر طه أوغلى

مراجعة: أحمد محمد عيسى

تقديم: أكمل الدين احسان أوغلى

استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، ١٩٩٣ م (٩٨ صورة فوتوغرافية).

١٨٤٥- الكعبة المشرفة ذلك الجمال القائم حتى قيام الساعة

فاطمة

شموع: ع ٦ (٧- ٩/ ١٩٨٧ م).

ص: ٢٩٧

١٨٤٦- الكعبة المشرفة في الشعر العربي القديم

عبد الغنى زيتونى

الخفجى س: ع ٧ (٧/ ١٩٩١ م) ص ٢-٤.

١٨٤٧- الكعبة المشرفة قلب العالم

المنهل (جدة) مج ٥١: ع ٤٧٥ (٣-٤ / ١٤١٠ هـ) ص ١٢-١٣.

١٨٤٨- الكعبة المعظمة على مرّ التاريخ

احمد الشنوانى

التصوف الإسلامى (القاهرة) س ١٠:

ع ٧ (٧/ ١٩٨٨ م) ص ٢٢-٢٤.

١٨٤٩- كعبه مغناطيس دلها:

(شعر بالفارسيه)

جواد محدثى

مىقات حجص ٣: ع ٩ (پاييز ١٣٧٣ ش)، ص ١٤٩-١٥٠.

١٨٥٠- كعبه- مناسك حج

(بالفارسيه)

ناصر الدين شاه الحسينى

طهران: مؤسسه چاپ و انتشارات علمى، ١٣٣٧ ش، ٢٢٠ ص، ٢١ سم.

١٨٥١- الكعبة والحج في العصور المختلفه مع أهم مناسك الحج على المذاهب الأربعة

أبو القاسم زين العابدين

مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعى، ط، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ٢٥٠ ص، ٢٤ سم.

١٨٥٢- الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم

أحمد عبدالغفور عطارت ١٤١١ هـ

بيروت: ط ١، ١٣٩٧ هـ، ٢٠٠ ص.

١٨٥٣- كفاية الزوار في زيارة النبي والأئمة الاطهار الأخيار

(بالفارسيه)

عبدالحى بن محمد رفيع

خ: مكتبة السيد المرعشى بقم ٤٣٩٥ في ١٣٢ ورقة

ظ: فهرسها ١١/ ٣٩٤-٣٩٥.

١٨٥٤- كل شىء عن الندوة العالمية الثانية لدراسة تاريخ الجزيرة العربية

عبدالقدوس الانصارى

المنهل (جده) مج ٤٠: ج ٧ (٧/ ١٣٩٩ هـ / ٥-٦ / ١٩٧٩ م) ص ٤٢٦-٤٥٠.

١٨٥٥- الكلام المبرور في الرد على القول المنصور



ص: ٢٩٨

(حول زيارة الرسول صلى الله عليه و آله)

عبد الحى بن عبدالحليم الانصارى اللكهنوى وُتسبب إلى تلميذه عبد العزيز

ظ: الثقافة الاسلاميه فى الهند ٢٤٥.

١٨٥٦- الكلمات المفيدة على أخبار المدينة

(وهو شرح مذيّل بأخبار المدينة لابن شبة)

عبدالله بن محمد الدويش (١٣٧٣- ١٤٠٨ هـ)

ظ: العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١)، ٢ / ١٤١٧ هـ).

١٨٥٧- كنز الزائرين فى الزيارات

محمد صالح بن الآق محمد

ظ: الذريعة ١٨ / ١٥٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٥٤.

١٨٥٨- كنز المطالب فى فضل البيت الحرام والشاذروان وما فى زيارة القبر الشريف من المآرب

حسن الحمزاوى المالكي العدوى المصرى (١٢١٠- ١٣٠٣ هـ).

ظ: ریحانة الأدب ٢ / ٧٣، ايضاح المكنون ٢ / ٣٨٧.

١٨٥٩- كنگره اسلامى حج (بالفارسيه)

أحمد بن حسن المطهرى الساوجى

النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م، ١٤٠ ص.

١٨٦٠- كنگره اسلامى حج

(بالفارسيه)

على گلزاده غفورى.

طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامى، ١٣٥٣ ش، ٢٦٠ ص.

١٨٦١- كنوز الاسرار فى الصلاة والسلام على النبى المختار صلى الله تبارك وتعالى عليه وسلم وعلى آله واصحابه الأبرار.

عبدالله بن محمد الهاروش

القاهرة: مطبعة الكيلانى ١٩٨٧ م، ٨٨ ص (سبيل الله).

١٨٦٢- كنوز الاسرار فى الصلاة والسلام على النبى المختار

جمعها: عبدالفتاح القاضى

راجعها: عبد الجليل قاسم

القاهرة: ١٩٨٥ م، ١٧٥ ص.

١٨٦٣- الكواكب الزهرية فى ليالى الدوريه

ص: ٢٩٩

(مجموعه اشعار ومحاورات أدبية بين أدباء أهل المدينة)

جعفر بن اسماعيل بن جعفر البرزنجي

ظ: العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١)، ٢ / ١٤١٧ هـ) ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

١٨٦٤- الكواكب السيارة في الحث على الزيارة

أبو محمد المكي بن مريده المراكشي

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٨٠٠.

١٨٦٥- كوكب الحج في سفر المحمل بحرأ وسيره برأ

محمد صالح

(وهو ذيل مشعل المحمل يبين فيه منازل الحج من مصر الى مكة المشرفة ومنها الى المدينة المنورة، ويصف هاتيكن المنازل والبقاع،

ويشرح قبائل العرب الحجازية وفضائلها وأخلاق بعضها ومساكنها أتم الشرح).

القاهرة: بولاق، ١٣٠٣ هـ، ٧٣ ص.

١٨٦٦- الكوكب المضيء في زيارة سيدنا محمد النبي العربي

عبدالقادر بن محمد الحواري المدني الحنفي

القاهرة: مكتبة بهنسي، ١٩٢٧ م، ١٢٩ ص.

١٨٦٧- كيف أرسى الرسول قواعد المجتمع الاسلامي في المدينة؟

محمد رعد

المنطلق: ع ٢ (ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ) ص ٤٧ - ٥١.

١٨٦٨- كيف تؤدي مناسك الحج والعمرة؟

محمد الصالح العثيمين

المدينة المنورة: الجامعة الاسلامية، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ٨ ص.

١٨٦٩- كيف تؤدي مناسك الحج والعمرة؟

يونس السامرائي

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ١٤٠ (١٤٠٠ هـ) ص ٥٥ - ٦١.

١٨٧٠- كيف تحج الى بيت الله الحرام؟

محمد الحسين الأديب

النجف: مطالحيديريه، (١٩٥٥ م)، ١٦٠ ص.

١٨٧١- كيف تحج وتعتمر؟

الرابطة (مكة المكرمة) س ٢٦: ع ٢٦١ (٧ / ١٩٨٨ م) ص ٢٥ - ٢٨.

١٨٧٢- كيف حج رسول الله؟

ص: ٣٠٠

عبدالرحمن العدوى

المجاهد (القاهرة) ع ١٢٨ (٦ / ١٩٩١ م) ص ٣٩ - ٤١.

١٨٧٣- كيف حج النبي؟

صالح حتحات

المجاهد س ٩: ع ٩٢ (٨ / ١٩٨٨ م) ص ٣٥ - ٣٦.

١٨٧٤- كيف حج النبي؟ دليل عملي في مسائل الحج والعمرة

محمود مهدي الاستامبولي

دمشق: المكتب الاسلامي، ط ٣، ١٤٠٢ هـ.

١٨٧٥- كيف حج واعتمر الرسول وكيف تزور قبره الشريف؟

ابن عمّار الأتفهى

القاهرة: المكتبات الازهرية.

١٨٧٦- كيف صنع الله الهجرة لرسوله؟

عبدالقدوس الانصارى

المنهل (جده) مج ١١: ج ١ (١ / ١٣٧٠ هـ / ١٠ - ١١ / ١٩٥٠ م) ص ٧ - ١٠.

١٨٧٧- كيف نجعل من الحج مؤتمراً سنوياً يعالج مشاكل المسلمين؟

محمد بكر

التصوف الاسلامي (القاهرة) س ١٣:

ع ٧ (٦ / ١٩٩١ م) ص ١٨ - ٢٠.

١٨٧٨- كيف ينظر المسلمون الى الحجاز وجزيرة العرب، مشاعر وأحاسيس ودراسات وملاحظات.

أبو الحسن على الحسنى الندوى

مصر: دار الاعتصام، ط ٢، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ١٢٥ ص، ٢١ سم.

١٨٧٩- كيفية الحج والعمرة

عبد غالب أحمد عيسى

بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧ م، ٨٠ ص.

١٨٨٠- كيفية الصلاة على النبي

النعمان بن محمد التميمي المغربي ت ٣٦٣ هـ

ط: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (المقدمة) ٦٨، مصادر الأدب لاسماعيل لبونا، ٦٤.

ص: ۳۰۱

۱۸۸۱- گزارش آتش سوزی مسجد نبوی در سال ۸۶۶ هجری و بنای مجدد آن از زبان یک شاهد عینی (ترجمه فارسیه ل (رسالة هداية التصديق الى حكاية الحريق) لفضل الله بن روزبهان خنجی ت ۹۲۷ هـ)

رسول جعفریان

میقات حج. س ۳: ع ۱۰ (زمستان ۱۳۷۳ ش) ص ۱۰۶-۱۱۶.

۱۸۸۲- گزارش از اعزام دانشجویان به عمره

(بالفارسیه)

میقات حج: ع ۲۲ (زمستان ۱۳۷۶ ش) ص ۱۵۲-۱۶۲.

۱۸۸۳- گزارش از دو باز سازی کعبه و مسجد الحرام

محمد رضا فرهنگ

میقات حج: ع ۲۰ (تابستان ۱۳۷۶ ش) ص ۱۰۴-۱۱۴.

۱۸۸۴- گزارش از طرح قربانی حج سال ۱۳۷۲

(بالفارسیه)

طهماسب مظاهری

میقات حج س ۲: ع ۷ (بهار ۱۳۷۳ ش) ص ۶۷-۸۰.

۱۸۸۵- گفتگو با نماینده محترم ولی فقیه در امور حج و زیارت پیرامون حج

(بالفارسیه)

میقات حج. س ۳: ع ۱۰ (زمستان ۱۳۷۳ ش) ص ۱۵۶-۱۷۳.

۱۸۸۶- گوشه‌ای از اسرار حج

(بالفارسیه)

جعفر سبحانی

میقات حج س ۲: ع ۸ (تابستان ۱۳۷۳ ش) ص ۳۲-۳۶.

۱۸۸۷- لیکک اللهم لیکک: هنا الكعبة المشرفة وهذا هو البيت الحرام

محمد طنطاوی

العربی (الکویت) ع ۷ (۶/ ۱۹۵۹ م) ص ۲۳.

۱۸۸۸- لقاء الحج یکشف لنا الطريق

أبو عمر

لواء الإسلام (القاهرة) س ۴۵: ع ۴ (۶/ ۱۹۹۰ م) ص ۲۰-۲۱.

۱۸۸۹- لقاء مع المؤرخ الحجازی عاتق



ص: ٣٠٢

بن غيث البلادي

ميقات الحج. س ٣: ع ٦ (١٤١٧ هـ) ص ١٩٥ - ٢١٦.

١٨٩٠ - لقاء وحوار (حول الحج)

ميقات الحج: ع ٩ (١٤١٩ هـ) ص ٢٠٧ - ٢٣٧.

١٨٩١ - لقاءات المجلة الموسم حج عام ١٤٠٨ هجرية

بدر رشاد الدوبي

التضامن الاسلامي (مكة المكرمة) س ٤٣: ع ٧ (١٩٨٨ / ٩ م) ص ٧٦ - ٨٥.

١٨٩٢ - للحجاج... وغيرهم

محمد سيد طنطاوي

منير الاسلام (القاهرة) س ٤٩: ع ١٢ (١٩٩١ / ٦ م) ص ٦ - ١٠.

١٨٩٣ - اللطائف المنيفة في فضل الحرمين وما حولهما من الاماكن الشريفة

عبدالله عبدالقادر المصري الحنفي الفيومي ت ١٠١١ هـ

ظ

المنهل (جده) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣ - ٤ / ١٤١٠ هـ / ١٠ - ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٦.

١٨٩٤ - لماذا اختار النبي المدينة موطناً لهجرته

محمد خليفة التونسي

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ٣٤ و ٣٥ (١٣٩١ هـ) ص ٩٠ - ١٠١.

ع ٣٦ (١٣٩١ هـ) ص ٩١ - ٩٩.

ع ٣٧ (١٣٩١ هـ) ص ١١ - ٢٠.

١٨٩٥ - لماذا بقت الرسول في مكة؟

عبدالقادر أحمد عطا

القاهرة: دار الاعتصام.

١٨٩٦ - لماذا ظهر الاسلام في جزيرة العرب؟

أحمد موسى سالم

بيروت: دار الجيل، ١٩٧٧ م، ٣٣٥ ص، ط ٢، ١٩٨١ م، ٣٣٥ ص.

١٨٩٧ - لماذا ظلت مكة ملتقى العلم والثقافة؟

عبدالمنعم الجداوي

الهلال (القاهرة) س ٩٦: ع ٧ (١٩٨٩ / ٧ م) ص ١٠٠ - ١٠٧.

١٨٩٨ - لماذا لا يجوز لغير المسلمين دخول مكة والمدينة والاقامة فيها؟

عبدالوارث كبير

العربي ع ٨٤ (١٩٦٥ / ١١ م) ص ١٤٤.

ص: ٣٠٣

١٨٩٩- لمحات فنية من آيات الحج

محمود البستاني

ميقات الحج: ع ١٠ (١٤١٩ هـ) ص ٦٢-٧٠.

١٩٠٠- لمحات في نشوء الحركة العلمية في الحجاز فيصدر الاسلام: دور المسجد في حياة المسلمين ولا سيما الحياة العلمية خلال

تلك الفترة.

سامي الصفار

في:

الندوة العلمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين.

(الرياض: كلية الآداب- جامعة الملك سعود، ١٥-١٢ / محرم / ١٤٠٤ هـ).

١٩٠١- لمحات من فلسفة الحج في الإسلام

عبدالنافع محمود

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ١٠٨-١٠٩ (١٣٩٧ هـ) ص ٥-٨.

١٩٠٢- لمحّة تاريخية عن المدينة المنورة

على حافظ

المنهل (جدة) حج ٢٧: ج ١٠ (١٠ / ١٣٨٦ هـ / ١ / ١٩٦٧ م) ص ١٢٩٢.

ج ١٢ (١٢ / ١٣٨٦ هـ / ٤ / ١٩٦٧ م) ص ١٤١٧.

١٩٠٣- لمحّة عن الحج ومناسكه

محمد جواد حجتي كرمانى

ميقات الحج: ع ٨ (١٤١٨ هـ) ص ٧٩-١٠٣.

١٩٠٤- لمحّة في بعض آيات الحج

عبدالله خياط

المنهل (جدة) حج ١١: ج ٩-١٠ (١١-١٢ / ١٣٧٠ هـ / ٨-٩ / ١٩٥١ م) ص ٣٨٩-٣٩٤.

١٩٠٥- لمن هذه الدوارس في جنات العقيق

أحمد سباعى

المنهل (جدة) حج ٢: ج ١٠ (٩ / ١٣٥٧ هـ / ١٠ / ١٩٣٨ م) ص ٢٢-٢٧.

١٩٠٦- اللهجات العامية في الحجاز ونجد اسباب حدوثها وردها الى اصولها الصحيحة

عبدالقدوس الانصارى

المنهل (جدة) حج ٢: ج ١ (١٢ / ١٣٥٦ هـ)

ص: ٣٠٤

١٩٣٨ / ٢ / م) ص ٣-٧.

١٩٠٧- ليالي مكة

على الجمبلاطى و عبدالمنعم قنديل

مصر: دار النهضة، ٢٢١ ص، ٢١ سم.

١٩٠٨- ليشهدوا منافع لهم

وهية الزحيلي

ميفات الحج ع ٢ (١٤١٥ هـ) ص ٢٨-٣٩.

١٩٠٩- ليلة مكة

(على هامش رحلتى فى الحجاز)

عبدالكريم جرمانوس

الرسالة (القاهرة) س ٥: ع ٢٠٧ (٢١ يونيو ١٩٣٧) ص ١٠١٨-١٠٢٠.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).  
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ  
كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ  
الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه  
المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و  
بساحه صاحب الزمان (عجلَ الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠  
الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.  
مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)  
تحت عناية سماحه آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب  
الجوامع، بالليل والنهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و  
عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسايل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل  
(=الهواتف المنقله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعه جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت  
-عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم  
الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و...  
- منها العداة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -  
في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.  
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد  
جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" ومفترق "وفائي" / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

